

تراثيات

مجلة محكمة يصدرها مركز تحقيق التراث

العدد الأول

يناير ٢٠٠٣

الهيئة العامة
لدار الكتب والوثائق القومية

رئيس مجلس الإدارة
أ.د. صلاح فضل

تراثيات/ مجلة محكمة يصدرها مركز تحقيق التراث بدار
الكتب والوثائق القومية .ـ س ١، ع ١ (يناير ٢٠٠٣)
.ـ القاهرة:
مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، ٢٠٠٣ - .
مج ؛ ٢٩سم.
نصف سنوية.

إخراج وطباعة:
مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة.

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠٠٣/١٢٢٠٧

تراثيات

مجلة محكمة يصدرها مركز تحقيق التراث

في هذا العدد



المراسلات والاشتراكات:
مركز تحقيق التراث ـ دار الكتب والوثائق القومية
كورنيش النيل ـ القاهرة
ت: ٥٧٥١٠٨٦ ـ فاكس: ٥٧٨٩٦٧٨
E-Mail: scenlers@darelkotob.org

سعر النسخة: داخل جمهورية مصر العربية:
١٠ جنيهات للأفراد، ٢٠ جنيها للهيئات.
خارج جمهورية مصر العربية: ١٠ دولار أمريكي

قواعد النشر...

١ ـ يقبل للنشر بهذه المجلة البحوث والدراسات التي تعنى بالتراث والمخطوطات. كما تنشر ملخصات الرسائل الجامعية المجازة، وتقارير المؤتمرات والندوات التي تدخل في مجال تخصص المجلة، على أن يرفق بالبحث ملخص في حدود ١٠ أسطر أو (١٠٠ كلمة).

٢ ـ يراعى ألا يتجاوز البحث أو المقال ٢٠ صفحة. وبالنسبة للرسائل المحققة يراعى ألا تزيد صفحاتها عن ٤٠ صفحة.

٣ ـ تقدم الأعمال مكتوبة على الكمبيوتر ومسجلة على اسطوانة مرنة (٣,٥ بوصة).

٤ ـ تخضع الأعمال المقدمة للتحكيم العلمي قبل نشرها.

٥ ـ يشترط في البحوث والدراسات والمقالات المقدمة ألا تكون قد نشرت من قبل، وألا يكون قد سبق تقديمها لأية جهة أخرى.

٦ ـ لا تردّ أصول الأعمال المقدمة للمجلة، سواء قبلت للنشر أو لم تقبل.

٧ ـ ترتب المواد داخل العدد وفقا لاعتبارات فنية صرفة.

٨ ـ لا يجوز إعادة نشر أية مادة من مواد المجلة إلا بعد الحصول على إذن كتابي من رئيس التحرير.

٩ ـ تقبل البحوث المكتوبة باللغتين العربية والإنجليزية، على أن يرفق بالبحوث المكتوبة بالإنجليزية ملخص واف باللغة العربية.

١٠ ـ ما ينشر في المجلة يعبر عن وجهة نظر صاحبه، ولا يمثل رأي المجلة بالضرورة.

١١ ـ توجه جميع المراسلات الخاصة بالنشر إلى رئيس التحرير. أو إلى مركز تحقيق التراث بدار الكتب والوثائق القومية.

١٢ ـ تمنح إدارة المجلة مكافأة لمؤلف كل بحث أو مقال أو دراسة، كما ترسل له نسخة مجانية من العدد الذي نشر به البحث أو المقال.

تصدير وجيز

إذا كانت دار الكتب والوثائق القومية فى مصر، على مدى تاريخها العريق تمثل بيت التراث العربى بكل فروعه الثرية، فإن دورها قد تجاوز منذ مطلع القرن الماضى مجرد المخزن الحافظ للمقتنيات، والمؤتمن على كنوزها لتصبح حاضنة راعية لنموها وشيوع فائدتها، فقد أخذت تقدم عيون المخطوطات فى مطبوعات كاملة شملت أبرز موسوعات العربية وأهم نتاجاتها المعرفية، كما تأسست فيها منذ عقود طويلة أهم لجان تحقيق التراث على المستوى الوطنى والقومى وأخرجت من أسفار التاريخ والأدب والثقافة الدينية والعلمية ما جعل هذا التراث الغنى مادة خصبة للبحث وإعادة القراءة والتقويم.

وهى إذ تقدم اليوم العدد الأول من مجلة تراثيات التى يصدرها مركز تحقيق التراث بالهيئة، ليستقطب فيها جهود علمائه المخلصين ويعرض وجوه أنشطتهم العديدة، ويقدم شذرات دالة من إنتاجهم الدؤوب، فإنها تفتح بذلك صفحة جديدة فى التواصل العلمى المثمر بين كل المؤسسات العربية والأجنبية العاملة فى هذا الميدان، مما يؤدى إلى تنسيق الجهود وتحديث المعلومات وتلافى تكرار المشروعات المتشابهة، ويعطى صورة صحيحة للدور الذى تقوم به دار الكتب والوثائق القومية فى رعاية هذا التراث وتنميته علميا وإشاعة معلوماته ليدخل فى نسيج الثقافة الحية ويعمل على تطويرها لتلائم تحديات العصور الجديدة.

والله من وراء القصد

دكتور/ صلاح فضل

افتتاحية العدد

التراث ذاكرة الأمة ، والأمة التي تُهمل تراثها أو تنسلخ عنه كالإنسان الذي يفقد ذاكرته فيفقد معها الماضي والحاضر والمستقبل جميعا .

وتراث العرب والمسلمين يمثل حلقةً ذهبيةً في سلسلة المعارف البشرية ، ويمثل في الوقت نفسه عنصرًا من عناصر وحدة الفكر والضمير بين أبناء الوطن العربي كله ، ووشيجة من وشائج القربى بين الشعوب الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها .

وانطلاقاً من الإحساس بأهمية هذا التراث ، أُنشئت الهيئات والمؤسسات والمجالس العلمية التي تُعنى بتسجيله وحفظه والتعريف به ونشره لينتفع به الناس . وقد وعت دار الكتب المصرية تلك الحقيقة منذ إنشائها ، فكان القسم الأدبي الذي أخرج مجموعة من أمهات كتب التراث في طبعات مازالت نموذجا يحتذى في التحقيق والإخراج الطباعي معاً . وبعد إلغاء القسم الأدبي ، كان لابد من التفكير في وريث شرعي له ، وفي صيغة تستطيع الدار من خلالها أن تؤدي دورها في نشر التراث ، فأنشأت مركز تحقيق التراث منذ خمسة وثلاثين عاما .

ولقد مرّ المركز خلال رحلة وجوده بعدة مراحل ، فبدأ بدراسة أكاديمية يلتحق بها الراغبون من خريجي الجامعات النابهين ، وتُلقى عليهم ـ فيها ـ محاضرات عن التراث ومجالاته ، وعن التحقيق وأساليبه ومدارسه وأدواته . ثم تحول إلى مركز لتدريب شباب الباحثين على التعامل مع تراثنا المخطوط وتحقيق نصوصه تحت إشراف نخبة من كبار أساتذة الجامعات المهتمين بالتراث والمشتغلين به في شتى مجالاته ، الدينية واللغوية والأدبية والعلمية والتاريخية . وخلال تلك الفترة نشر المركز مجموعةً قيِّمةً من كتب التراث ، وخرجت من عباءته مجموعة من الباحثين جمعوا بين العلم والخبرة بالتحقيق والقدرة على التعامل مع مصادر المعلومات . وتلك في حدّ ذاتها ثمرة عظيمة الفائدة لأنها تأتي في وقت توشك فيه مهنة التحقيق أن تندثر .

وبعد أن بلغ المركز رشده واكتمل نضجه ، كان طبيعيا أن يفكر في إصدار مجلة تكون لسان حاله ، وتسدّ ثغرة في عالم المجلّات العربية التي تزخر بها الساحة الثقافية : مجلة تسعى بالدرجة الأولى إلى التعريف بهذا التراث ، وتكون في الوقت ذاته همزة وصل بين المشتغلين به دراسة وتحقيقا ، مجلة تفتح صدرها للتعريف بجهود المحققين ، ونشر بعض ما يحقق من نصوص ، مجلة تتّبع أخبار التراث وتعرِّف بشيوخه وأعلامه ومؤسساته .

ولسوف تصدر هذه المجلة نصف سنوية بصفة مبدئية . وستكون موادها موجهة للمتخصصين بالدرجة الأولى ، ولكنها ستخاطب أيضا كل من له اهتمام بالتراث وقضاياه ، وبعالم المخطوطات والنشر . ولهذا فإنها ترحب بإسهامات الباحثين والمعنيين بالتراث فهرسةً ودراسةً وتحقيقًا ونشرًا . وكُلنا أمل في أن تكون ـ بحق ـ نافذة على التراث ، تعرِّف به ، وتستجلي ملامحه ، وتلبي حاجة المشتغلين به ، وتجذب إليه مزيدًا من الأنصار والمحبين .

والله سبحانه وتعالى نسأل أن يجعل عملنا هذا خالصا لوجهه ، وأن ينفع به بقدر ما بذل فيه من جهد ، وما صاحبه من نيَّة صادقة . فهو سبحانه وليّ ذلك والقادر عليه .

رئيس التحرير

التراث وحوار الحضارات

أ . د . رفعت هلال*

منذ بداية التسعينيات من القرن الماضي بدأ الغرب في نشر فكر جديد يحتم الصراع بين الثقافات والحضارات ، وقامت مجموعة من مفكريه وكتّابه بالدعاية لهذا الفكر الجديد .

وللأسف الشديد كانت الحضارة الإسلامية العربية واحدة من أوائل الحضارات التي يستهدفها هذا الصراع .

وقد بدأت نغمة تهميش دور الحضارة العربية كنغمة خافتة وعلى استحياء ، ثم تعالت وتصاعدت حتى تم تجريد الحضارة العربية من جميع إنجازاتها ووصمها بالتخلف والتعصب .

ونحن لا نستطيع أن نلوم إلا أنفسنا في هذا المجال ، فنحن الذين فرطنا في حضارتنا ؛ لم ننشرها ولم تتناقلها أجيالنا بالفخار والاعتزاز ، وعلى العكس من ذلك فقد بهرتنا الحضارة الغربية المادية حتى أنستنا تراثنا الذي يمثل الأساس وقاعدة الانطلاق للحضارة المعاصرة .

ويمثل تراثنا العلمي واحدًا من أهم أدواتنا في الصراع الدائر بين الحضارات . ومع أننا لا نؤمن بهذا الصراع أساسا ، وإنما نؤمن بالتفاعل والتكامل بين الحضارات ، إلا أننا لابد أن نعزز موقفنا ونبرز الإنجازات العلمية العظيمة لحضارتنا .

لقد تفردت الحضارة العربية بقيم لم يسبقها إليها أية حضارة أخرى ، قيم يمكن إيجازها في النقاط التالية :

١- الانفتاح غير المحدود على الحضارات الأخرى .
٢- الاستيعاب .
٣- العطاء المتوازن بين المادة والروح .
٤- الأمانة : فقد قام العلماء العرب بنقل المعارف والعلوم من الحضارات التي سبقتهم بكل أمانة ، ونسبوا الفضل إلى أصحابه ، وسمحوا بنقل معارفهم وعلومهم إلى الحضارات الأخرى بدون تعصب .
٥- التسامح : فليس للعلم في الحضارة العربية جنس أو لون أو وطن ، ولذا تعاملت الحضارة العربية مع كل شعوب الأرض بروح سمحة لا تعرف التعصب أو التعالي .

وقد ظهرت هذه القيم والصفات أكثر ما ظهرت في تراثنا العلمي حيث ترجم العلماء

(*) رئيس قطاع المراكز العلمية بدار الكتب ، ومدير مركز التراث العلمي بجامعة القاهرة .

العرب علوم الأوائل وطوروها ثم ابتدعوا علوما جديدة لم تكن معروفة مثل حساب المثلثات ، وأسسوا المنهج التجريبي في العلوم . ففى كتاب «القانون» للشيخ الرئيس ابن سينا وضع هذا العالم العظيم أسس اختيار الدواء وتحديد الجرعة المناسبة وتحديد منافعه ومضاره وتوصيفه . وما جاء في كتاب «القانون» في هذا الخصوص يعتبر بحق قانون مهنة الصيدلة إلى يومنا هذا .

ومظاهر عظمة العلم في الحضارة العربية أكثر من أن تحصى . فالعرب هم الذين ابتدعوا حساب المثلثات ، وحولوا الفلك من التنجيم إلى علم له قواعد وقوانين ونظريات . ناهيك عن نبوغهم فى الطب والصيدلة والكيمياء والعمارة ، والهندسة وغيرها من العلوم .

وإذا كان البعض ينظر إلى هذا التراث العلمي على أنه شيء من الماضي وقد تعدَّته الحضارة الحالية وأصبحت في غير حاجة إليه ، إلا أن تحقيق هذا التراث ونشره يصبح ضرورة في وقتنا الحاضر ، لما يمثله من قيم علمية ، ولأن بعضه مازال صالحا حتى الآن ، بدليل ما نشهده اليوم من ثورة على العقاقير الكيميائية ودعوة إلى الرجوع إلى الطبيعة والعلاج بالأعشاب . فضلاً عن أن العديد من الاكتشافات العلمية التي تمت على أيدي علماء عرب قد قام بنشرها علماء أجانب ونسبوها إلى أنفسهم ، ومثال ذلك أبحاث عمر الخيام في الرياضيات ، فقد قام بنشر معادلات تفاضلية كاملة ، وللأسف الشديد لم تنسب عمليات التفاضل البديل إليه وإنما نسبت إلى علماء الغرب .كما أن جزءاً كبيرًا من أبحاث ابن الشاطر في الفلك وخاصة تلك التي أدت إلى معرفة مركزية الشحن لم تنسب إلى هذا العالم العربي العملاق .

إن تراثنا العلمي في أشد الحاجة إلى محققين أكفاء قادرين على فهم المحتوى العلمي بقدر ما هم قادرون على فهم اللغة التي كتب بها هذا التراث . وواقعنا الحالي يجعل من الصعب الجمع بين هاتين القدرتين ، وللتغلب على هذه العقبةينبغي أن يشارك في تحقيق التراث العلمي عالم متخصص في العلم المراد تحقيقه ، وعالم متخصص في اللغة . وهذه المزاوجة يمكن أن تؤدي إلى ما نرجوه من تحقيق تراثنا العلمي . كما أن دار الكتب يمكن أن تخصص جزءاً من موقعها على شبكة الإنترنت لنشر ما يتم تحقيقه بصورة موجزة باللغات الأجنبية بالإضافة إلى اللغة العربية .

التراث . . لماذا ؟

أ . د . حسين نصار*

لماذا الحديث أصلا عن التراث ؟

ولماذا المطالبة بالحفاظ على التراث الموجود في مصر ؟

ولماذا التفكير في تكرار العمل الذي قام به علي باشا مبارك ، عند إنشاء دار الكتب ، من جمع المخطوطات المتناثرة في المساجد ، القائمة في جميع أرجاء مصر ، وإيداعها مركزا واحدا ، كان حينذاك دار الكتب ؟

ولماذا المطالبة باستعادة المخطوطات التي تسللت إلى خارج العالم العربي ، أو الحصول على صور دقيقة واضحة منها ؟

ولماذا تقام المراكز المتعددة لتحقيق هذا التراث ؟

ولماذا يتصدى علماء كثيرون إما لتحقيقه أو لنقد ما يحقق منه ؟

ولماذا إهدار أموال الدولة والجماعات والأفراد وأوقاتهم من أجل القيام بهذه الأعمال ؟

وما هو التراث ؟

أليس هو الماضي الذي انقضى فمات ؟

أليس حمل الموتى عبءا على الأحياء ؟

ألا يثقل خطاهم ؟ ألا يقيد عقولهم ؟ ألا يعوق تقدمهم ؟ بل ألا يخمد إبداعهم في كل ما ينتجون من أدب وفن وعلم ؟

هذه أسئلة تروج ـ هي وأمثالها ـ بين المتعلمين من أبناء الأمة العربية ، فتؤدي إلى بلبلتهم .

فيدعو بعض من يصفون أنفسهم بالتقدمية ويطالبون بقصر التفكير على بناء المستقبل إلى طرح التراث جملة ، كأنه لم يكن وليس بكائن .

---

* المستشار العلمي لمركز تحقيق التراث بدار الكتب .

وتتوسط جماعات من المثقفين ، فلا يطرحون التراث جملة ، ولا يقبلونه جملة ، وإنما يخضعونه لدراسة تحت أضواء متعددة ، يأتي بعضها من أغوار الماضي ، ويسطع بعضها من ظروف الحاضر ، ويلوح بعضها من آمال المستقبل وطموحاته . فيرون في التراث أصنافا .

وتغلو جماعات فتنادي بالالتزام بالتراث جملة ، لأنه من إنتاج عصور القوة والازدهار والأجداد الأخيار . ويتناسون أن الماضي ليس عصرا واحدا .

وأعتقد أن الأمر يحتاج إلى الابتعاد عن جميع الأفكار الشائعة عن التراث ، والتأمل الدقيق الفاحص للقضية ، لحسن إدراك كل عناصرها .

قد أقول : إن الجنين يولد صفحة بيضاء خالية من كل شيء ، مهملاً . مؤقتاً ما نقرأ عن الجينات التي تورث هذا الوليد بعض ما في أبيه وأمه ، وعن أن هذا الجنين يتلقى ـ وهو في الرحم ـ بعض الأشياء عن أمه .

أما المؤكد فهو أن هذا الطفل يبدأ في الوعي ببعض ما يدور حوله من أمه وأبيه وإخوته ، بعد أيام أو أسابيع ، وأن هذا الوعي يتسع ويدق ويزداد مع مرور الوقت ، فيعطي الطفل إقبالا وإعراضا ، وحركات وأعمالا ، أي أنه يعطيه سلوكا .

وهذا السلوك تراث .

وهو تراث يتلقاه الطفل شاء أم أبى : واعيا وغير واع ، محبا وكارها .

وتتسع دائرة هذا التراث مع اتساع المجتمع الذي يعيش فيه الوليد طفلا ثم صبيا ثم شابا . . . إلي آخر حياته . وقد يرفض المرء بعض هذا التراث ، ولكن هذا الرفض لا يأتي إلا بعد المعرفة ، والتسلل إلى الأعماق فيتمسك الإنسان بالوفاء والصدق والشجاعة والكرم وغيرها مما تعارف المجتمع على أنها فضائل .

ولا يقتصر ما نأخذ من المجتمع على السلوك المحض ، بل يتعداه إلى الفكر الخالص .

فنحن ندين بالإسلام أو المسيحية أو اليهودية لأن أسرتنا تعتنق هذا الدين أو ذاك ، ونحن نتغنى بكرم حاتم الطائي وشجاعة عنترة العبسي الجاهليين ، وبوفاء السموءل اليهودي لأن مجتمعنا يعجب بهم . ونحن نجلّ عددا من الحكام والسياسيين السالفين لأن المجتمع ما زال يجلهم . وهكذا الأمر في جميع المناحي .

وإذن فالإنسان ـ في قسط كبير من سلوكه وتفكيره ـ تراث حيّ ، لا اختيار له فيه ، ولا سعى إلى تحصيله ، ومن العسير عليه أن يتخلص إلا من عناصر فردية منه .

ومن الطبيعي أن الأسئلة التي أوردتها في صدر هذا المقال تتجاهل هذا النوع من التراث عن وعي أو بدون ، وتركز النظر على التراث الفكري المدون وغير المدون .

والتراث المصري غنيٌّ غنىً فاحشا ، تبدأ آثاره مع بدء البشرية في التحضر ، وتشب فتعلو في العصر الفرعوني قمة ما تزال تخلب ألباب الناس في كل أنحاء العالم إلى اليوم .

ثم يشارك البطالمة الإغريق ، والرومان اللاتين ، والأقباط والمسلمون الذين يتحدثون بالعربية ، مما فتح الأبواب بين التراثين العربي والمصري حتى قبل دخول العرب مصر . فهو تراث يستغرق من الزمن آلاف السنين .

وقد انساح التراث العربي في العالم القديم كله ، فشغل المنطقة الممتدة بين الهند وأسوار الصين شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا ، ومن أواسط أوربا شمالا إلى أواسط إفريقيا جنوبا . يضاف إلى ذلك مناطق متناثرة في أفريقيا الجنوبية (مثل زنجبار في تنزانيا) وإندونيسيا وماليزيا في الشرق الأقصى .

أي أنه ممتد في الزمان والمكان إلى آماد بعيدة ، وشاركت فيه أجناس مختلفة ، وصدر بلغات متعددة .

ولكنني ـ بحكم دراستي ـ أتحدث هنا عن التراث العربي اللغة وحده .

وقد أبدأ بالتراث العربي العلمي ، الذي نؤمن جميعا أن التطور تجاوزه ، يدعو كثيرون إلى أن ننبذه وراء ظهورنا ، وهي دعوة فيها حق كثير ، ولكنها لا تخلو من الباطل .

فتاريخ العلم من الدراسات العالمية القائمة . وللأوروبيين جهود مشكورة في تاريخ العلوم العربية المتعددة . وأعتقد أن الوفاء للوطن المصري والأمة العربية يفرض علينا ألا نترك هذه الدراسات بين أيدي أجانب عنها ، خاضعة لصدقهم أو كذبهم ، لعدلهم أو انحيازهم ، لفهمهم أو عدم قدرتهم على الفهم ، ويفرض علينا ـ على الأقل ـ أن نشارك بنصيب في هذا التاريخ ، يجب أن يكون واعيا وموضوعيا . ولن نستطيع أن نعطي هذا البحث ما يستحق من ضمانات إلا بوجود التراث العلمي الذي نؤرخ له ميسراً بين أيدينا ، غير عسير على الفهم . ولا يمكن هذا إلا بحفظ هذا التراث في خزائن كتب حصينة ، وبتحقيق نماذج

مختارة منه نضعها بين أيدي جميع القراء : لا الباحثين وحدهم . وأعتقد أنه يجب أن يكون في هذه النماذج منافع إلى جانب المنفعة التاريخية .

وأود أن أزعم أن التراث العلمي ليس كتبا فقط ، وإنما هو كشوف ونظريات وآراء وتفكير علمي وسلوك . وهذه كلها مفخرة للعالم العربي يجب على المؤرخين أن يسجلوها ويبرزوها .

فنحن نصف العصور بعد سقوط بغداد في ٦٥٦هـ بالتخلف ، وهي التي منحتنا ابن خلدون عالم الإجتماع الفذ ، والمقريزي مؤرخ مصر الكبير ، والسيوطي والقلقشندي والعمري وغيرهم .

فما الذي خلَّص هؤلاء من عوامل التأخر في عصورهم ، وما الذي أتى بالتأخر أصلا ، وهل كان تأخرا شاملا كل مناحي الفكر أو مقصوراً على بعضها فقط ؟

إنها معرفة تحتاج إلى تاريخ يكشف ، والتاريخ يحتاج إلى تراث يخضعه للبحث .

وربما كان القول في المجال الديني أيسر وأوضح . فجميع المسلمين يتفقون على إجلال القرون الأولى وما أنتجت من تراث علمي ديني . ثم تمر السنوات ، ولا ينقطع الإنتاج ولكنه – في معظمه – هزيل لا يسامي الإنتاج السابق عليه . بل وصل الأمر إلى حد إغلاق باب الإجتهاد عند السُّنّة ، وإخماد التيار العقلي المتمثل في المعتزلة ، وطرح الاتجاه الديمقراطي الذي هو أحد أركان الخوارج .

فكيف وقع كل هذا إن كان قد وقع حقا كله أو بعضه ؟ وما أسباب وقوع ما وقع؟ بل لماذا أغلق باب الاجتهاد عند السُّنّة ، ولم يغلق عند الشيعة ؟ ما أسباب التقدم الأول والتأخر الذي تلاه ؟ وما الأسباب التي يمكن أن تأخذ بأيدينا إلى تقدم نطمع فيه ، ونلتزم نحن بها لنصل إلى ما نتمنى ؟

إن ذلك يحتاج إلى التاريخ ، والتاريخ يحتاج إلى وثائق يقيم عليها الدرس ، ويدعم بها ما يصل إليه من نتائج . والوثائق نماذج من التراث .

ولكن التراث ليس ضروريا للتاريخ وحده ، بل هو ضروري لمنافع أخرى ، لا تقل عن التاريخ أهمية إن لم تَفُقْه ، ولأضرب أمثلة من الفنون ، ولأبدأ بالفنون الشعبية .

لست في حاجة إلى حديث طويل عما يقع في هذه الفنون بل في جميع الصنائع اليدوية ، تدفع الأسرة التي تريد أن يتعلم ابنها (الصبي) إحدى هذه الصناعات إلى أستاذ (أسطى) ليعلمه إياها . وتتحرى الأسرة أن يكون الأسطى ماهرا في صناعته ، قادرا على

تلقينه أسرارها (معلما) : فيتخذه الصبي (عَمّا) له . وتمتد الصلة إلى أن يحس أنه استنفذ ما عند المعلم وأحاط بأسرار العمل ، وفي قدرته أن يستقل به ، بل ويبدع فيه ما لم يعطه أستاذه ، فينفصل عنه إلى عمله الخاص .

هكذا كان الأمر ، وهو كائن اليوم ، وفي المعتقد أنه يدوم أبدا .

وقد بدأت بالصنائع ، لأنها الأمر المشاهد الذي لا يجهله منا أحد ، ولكن ما قلتُه عنها ينطبق على غيرها . فنحن نقرأ في الصحف ونشاهد في التلفاز ، ونسمع من الإذاعة ، أن هذا العمل الدرامي أخرجه فلان ، وأن فلانا وفلانا وأحيانا أكثر من اثنين ، كانوا مساعدين له في إخراجه . والمعنى البسيط لهذا أن هؤلاء المساعدين (صبيان) ما زالوا في مرحلة الأخذ والتدرب .

والعماد الأهم في هذه المرحلة هو العودة إلى التراث ، والتعرف على أسرار جودة الجيد منه ، ورداءة الرديء ، للاستفادة من كليهما .

فإذا ما وصلنا إلى الأدب لم يتغير الحال ، نقرأ في العصرين الجاهلي والإسلامي أن فلانا كان راوية الشاعر الفلاني ، أي (صبيّه) ، يأخذ منه أسرار التفوق الشعري . وقد كان هذا عاملا في نشأة المدارس الشعرية وأشهرها مدرسة عبيد الشعر ، التي كان رأسها الأول أوس ابن حجر ، وضمّت جماعة من الشعراء المشهورين في العصرين المذكورين .

ونقرأ أن أبا نواس عندما بدأ ينظم الشعر ، وأراد أن يطمئن إلى سلامة ما ينظم ، وإلى تجويده ، ذهب إلى خلَف الأحمر من أكابر رواة الشعر في زمنه ، فأول ما همَّ بالكلام ، منعه خلف ، وأمره أن يعود ويحفظ آلافا من أبيات الشعر السابق أولاً . ففعل أبو نواس ، وعاد إلى خلف ، فاستمع إلى بعض ما حفظ . وعندما اطمأن إلى صحة دعواه ، أمره أن يحاول نسيان ما حفظ ثم يعود إليه . فلما فعل ، قال له خلف ، الآن تستطيع أن تقول الشعر (الجيد) .

وإذن فالإحاطة بالتقاليد القديمة (التراث) أمر ضروري لاتقان العمل الجديد ، بل للإبداع فيه . لا يقتصر ذلك على فن الشعر ، بل يتعداه إلى كل الفنون ، إن لم أقُل جميع مناحي العمل البشري . ولذلك كان قدماؤنا يقولون : أول الجديد قتل القديم علما .

ولا تقف وظيفة التراث عند معرفة أسرار الصناعة فقط ، بل تتعدى ذلك (الاستلهام) . إن الماضي له جماله الخاص عند البشر ، وللتراث فتنته عند المبدعين والمتلقين . وأقرب الأمثلة ما حظيت به الدراما التاريخية في المسرح والسينما والإذاعة والتليفزيون من نجاح باهر أغرى العاملين فيها بالتزامها سنويا ، على الرغم من تكاليفها الباهظة . ومن أدلّ الدلائل

على ذلك النجاح الكبير الذي تمتعت به مسلسلات ألف ليلة وليلة في الإذاعة ، على الرغم من أنها مسموعة وليست مرئية ، ومن ثم لا تتوافر فيها وسائل الإبهار .

وإذا أبحثتُ لنفسي النظر إلى الأدب الإنجليزي نجد إليوت ـ زعيم المجددين في القرن الماضي ـ يجعل من شعره متناً علميا أو موسوعة ثقافية ، لكثرة ما ينهل من التراث وربما لا نجد ما يماثل هذه الحالة عند المجددين من شعرائنا وكتابنا . ولكننا نجدهم ينهلون من التراث الفرعوني والإغريقي والأشوري والفينيقي والأوروبي . وأخيرا العربي والإسلامي . إما يتخذون الحدث التاريخي إطاراً لعمل من إبداعهم ، قد يصوغون فيه رموزا لما يريدون ، كما فعل توفيق الحكيم وصلاح عبدالصبور في مسرحياتهما ، وطه حسين ونجيب محفوظ في قصصهما ، وغير من ذكرت كثيرون ، أو ينتقون من التراث الفني القديم صوراً جزئية . يفعل بعضهم ذلك عن عمد ، فيكون أقرب إلى الفشل منه إلى النجاح . ويفعله بعضهم عن غير وعي فيوفقون توفيقا بعيدا .

ومن أحدث المباديء في النقد ما يسمى بالتناص ، وهو أن الأديب الحديث ، وخاصة الشاعر ، يعيش في التراث ، ويستقي منه ويحوِّر فيه ويغير ؛ وذلك إبداعه . فلا يعاب عليه إلا الأخذ المباشر الواعي ، أما الأخذ مما تمثله الإنسان في ثقافته وعبر عن شخصيته فذلك إبداع آخر .

ولعلِّي أشبِّه هذا العمل بالتمثيل الغذائي . فنحن نتناول خضرا ولحوما وفواكه وأجبانا . . إلخ . ولكنها تتحول ـ بفضل ما تختلط من إفرازات المعدة والأمعاء ـ إلى عجائن ثم عصائر ، وأخيرا تتحول إلى مكونات أعضاء الجسم ، فتكون خلفا جديداً لا صلة له بما تناولناه من طعام .

فالطعام ضروري لخلق الصورة العضوية الأخيرة ، والتراث ضروري لخلق الصورة الفنية الأخيرة ، أي للإبداع ، ومعنى هذا أنه منجم عظيم ، يستخرج منه المجتمع والفرد أعظم المواقف والقيم ، وينتقي منه الفنان والأديب روائع الأجناس والنماذج والرموز والصور الكلية والجزئية .

ولكن للتراث خطره فالذي يضعف أمامه ويتعبد له ، يتجمد فكره وتجف مواهبة ويذوى إبداعه ، سواء كان إنسانا فردا أو مجتمعا كاملا ، وسواء كان مفكرا أو فنانا .

فالواجب إذن أن نحيط معرفة بالتراث لا لنكون أنداداً له ، بل لنتفوق عليه إن كنَّا من أصحاب أدوات التفوق .

هذا هو تراثنا

أ . د . عبدالستار الحلوجي*

يواجه الإسلام والمسلمون في هذه الأيام حملة ظالمة تقرن الإسلام بالإرهاب وتشعل نار الفتنة بين المسلمين . وأعداء الإسلام يعلمون جيدا أن أي مواجهة صريحة بينهم وبينه ستكون الغلبة فيها لدين الله ، لأنه يملك من مقومات البقاء والصمود ما يجعله يقنع العقول ويأسر القلوب ، وينتشر - حتى في ديارهم - بلا معجزات تبهر البصر ، وبلا ضغوط تقهر البشر ، وإنما بما يمثله من قيم ومبادىء تجعله صالحا لكل زمان ومكان ، وقادرًا على التصدي لكل محاولات التشكيك والتضليل ، ولهذا يلجأون إلى ترويج الأباطيل عن هذا الدين الحنيف ، وإلى بث الفرقة بين أتباعه ، واستعداء بعضهم على بعض ، لاستنفاد قوتهم والسيطرة على مقدراتهم . وما حدث في البوسنة وأفغانستان وكشمير بالأمس القريب من تدمير وإهلاك للحرث والنسل ، وما تتعرض له المنطقة العربية في هذه الأيام من ضغوط واستفزازات وادعاءات باطلة ، وما يتجمع في سماواتها من سحب تنذر بالويل والثبور ، ما هي إلامظاهر وأعراض لما يراد لهذه الأمة من مكر ، وما يدبر لها من كيد ، وما يحاك لها من مؤامرات .

وهذه الحملة الشرسة ضد الإسلام والمسلمين ليست الأولى ولن تكون الأخيرة ، فالصراع بين الحق والباطل صراع أبدي ، والتاريخ خير شاهد على ذلك ، وما نشهده اليوم من هجوم على الإسلام لا ينبغي أن يخيفنا أو يصيبنا بالفزع أو الجزع ، لأنه يعني أن الغرب والشرق معًا يستشعرون الخطر من هذا الدين الذي ينتشر ولا ينحسر ، والذي تتفتح له العقول وتطمئن به القلوب وتتهاوى أمامه جميع السدود .

في هذا الوقت الذي يُمتحن فيه الإسلام والمسلمون ، لابد لنا من وقفة مع النفس ، نبحث في أعماقنا عن هويتنا ، ونجمع الخيوط المتفرقة التي تنسج شخصيتنا الإسلامية ، فنحن مطالبون اليوم ، أكثر من أي وقت مضى ، بأن نكتشف أنفسنا ، وأن نتعرف على جوهر ديننا ، لأن هذا الدين هو طوق النجاة لنا في هذا الخضم الهائل الذي تتدافع فيه أمواج الباطل من كل مكان . وما ورثناه من تراث إسلامي هو الوقود الذى تستمر به . جذوة الحياة متوقدة في نفوسنا ، ويوم نبتعد عن ديننا أو نتنكر لتراثنا ، تنماع شخصيتنا ونفقد كل مقومات البقاء .

---

(١) أستاذ بكلية الآداب - جامعة القاهرة .

تلك مقدمة أراها ضرورية بين يدي الحديث عن التراث الإسلامي .

وقبل أن نبدأ رحلتنا مع هذا التراث ، أحب أن نتفق على تعريف واضح له حتى لا تهتز الأرض من تحت أقدامنا في أي مرحلة من مراحل الطريق . ذلك أن كل لفظ من الألفاظ له دلالة لغوية توضحها معاجم اللغة ، ولكن بعض الألفاظ يحمَّل دلالة اصطلاحية عند أهل الاختصاص . فالحديث ـ مثلا ـ هو الكلام ، أمّا عند المتخصصين في العلوم الشرعية فهو كلام النبي ﷺ خاصةً ، والفقة في اللغة هو الفهم ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾[1] أما في الاصطلاح فهو فهم أحكام الدين خاصة .

والتراث والميراث في اللغة شيء واحد ، وهما مشتقان من الإرث ، وهو ما يخلِّفه الآباء للأبناء من متاع مادي وقيم معنوية . ولكن أهل الاختصاص يحاولون التفرقة بين اللفظين فيطلقون الميراث (وجمعها مواريث) على الأشياء المادية كالمال والعقار ، ويخصون التراث بالأشياء المعنوية كالمؤلفات والأفكار التى يخلِّفها لنا السابقون ، والعادات والتقاليد التي يغرسها الآباء في نفوس الأبناء ، مع أن القرآن الكريم قد استخدم لفظ التراث للدلالة على الماديات في قوله تعالى : ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمًّا﴾[2] ، وفي حديثنا هذا سنستخدم اللفظ بالمعنى الاصطلاحي لابالمعنى اللغوي ، وأقصد به ما خلَّفه لنا أسلافنا من مؤلفات ، وما أرسوه فينا من قيم ومبادئ ، وما وضعوه لنا من ضوابط للسلوك .

وإذا كان هذا هو فهمنا لمدلول كلمة «التراث» ، فماذا نقصد بالتراث الإسلامي؟ هل نعني به كتابات القدماء عن الإسلام؟ أم كتابات المسلمين في شتى فروع المعرفة؟

إن النظرة الضيقة هي التي تقصر دلالة اللفظ على ما خلّفه لنا أسلافنا من مؤلفات في العلوم الإسلامية كالتفسير والحديث والفقه والتوحيد وغيرها من العلوم الشرعية ، وهي نظرة قد يبررها أن المسلمين السابقين هم أفضل مَنْ كَتب عن الإسلام ، وأن كتاباتهم هي المصدر الأساسي الذى اعتمد عليه واستقى منه كل من أتى بعدهم من المسلمين وغير المسلمين ، ولكنها ـ كما قلتُ ـ نظرة ضيقة ، لأن كلمة (الإسلامي) هنا صفة للتراث وليست موضوعًا له ، صحيح أن العلوم الإسلامية مجال من مجالات التراث الإسلامي ، بل إنها عموده الفقري بلا منازع ، ولكن دلالة اللفظ تتسع لتشمل كل ما خلَّفه لنا علماء

---

(١) سورة هود (١١) ، آية ٩١ .

(٢) سورة الفجر (٨٩) ، آية ١٩ .

المسلمين عبر العصور من مؤلفات في مختلف فروع المعرفة ، وبشتى اللغات ، وفي كل بقعة من بقاع الأرض بلغتها دعوة الإسلام .

فمن حيث الموضوع تدخل مؤلفات جابر بن حيان الكيميائية ، ومؤلفات الخوارزمي الرياضية ومؤلفات الرازي وابن سينا الطبية ، ومؤلفات ابن يونس المصري ونصير الدين الطوسي الفلكية ، ومؤلفات الإدريسي والمقدسي الجغرافية ، تدخل هذه المؤلفات وكثير غيرها تحت مظلة التراث الإسلامي ، ومن حيث اللغة تُعَدّ مؤلفات الفردوسي وعمر الخيام وجلال الدين الرومي تراثا إسلاميا وإن كُتبت باللغة الفارسية ، وتُعد كتابات ابن كمال باشا وآشق باشا وفضولي تراثا إسلاميا وإن كُتبت باللغة التركية . ومن حيث المكان تمثل مؤلفات المسلمين في الأندلس وفارس وأفريقيا ، بل وفي الجمهوريات السوفيتية لبنات متألّقة في صرح التراث الإسلامي .

وثمة ملاحظة يجدر بنا أن نسجلها هنا بلا حساسية ، وهي أن معظم مفردات هذا التراث كُتب باللغة العربية ، لا لأن مؤلفيها كانوا عربا ، وإنما لأن اللغة العربية رافقت الإسلام في انتشاره وابتلعت اللغات المحلية التي كان يتكلمها ويكتب بها أبناء تلك البلاد من الفرس والترك والأسبان والأفارقة والمصريين ، لأنها لغة القرآن ، ولغة العبادة للمسلمين على اختلاف ألوانهم ولغاتهم ، فالمسيحي الإنجليزي يصلي بالإنجليزية ، والفرنسي يصلي بالفرنسية ، والصيني يصلي بالصينية ، أمّا المسلم فلا تصح صلاته بغير اللغة العربية ، وذلك شرف لهذه اللغة قبل أن يكون شرفا للعرب ، لأن الإسلام لم يميز العرب على غيرهم بدليل قول الله سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1] وقول النبي ﷺ في خطابه الشهير في حجة الوداع : «إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد . كلكم لآدم وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس لعربى على عجمي فضل إلا بالتقوى»[2] .

ولعل مما يلفت الانتباه ويثير العجب أن أعظم علماء النحو العربي هو سيبويه الفارسي ، وأن المحدثين الأربعة الكبار (البخاري ومسلم والنسائي والترمذي) خرجوا من المنطقة التي تعرف الآن بالجمهوريات السوفيتية ، وأن أعظم شعراء العصر العباسي كابن الرومي وأبي العتاهية وأبي تمام وأبي نواس كانوا من أصول غير عربية ، ولكنهم جميعا كانوا تحت الراية

(١) سورة الحجرات (٣٩) ، آية ١٣ .

(٢) جمهرة خطب العرب ، جمع أحمد زكي صفوت . القاهرة : مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، ١٩٩٣ ، جـ١ ص ٥٩ .

عربًا ، لأن إلههم واحد ، ودينهم واحد ، ونبيهم واحد ، وقبلتهم واحدة ، ولغتهم واحدة ، وثقافتهم واحدة .

هذا التراث الإسلامي بالمفهوم الذي قدمّناه ، والذي دخلت في نسيجه خيوط عربية وفارسية وتركية ويونانية هو الذي شكَّل وجدان هذه الأمة ، فالإمام البخاري ـ مثلاً ـ هو شيخ المحدِّثين بلا منازع ، وكتابه «الجامع الصحيح» هو أوثق مصادر الحديث باتفاق أهل العلم ، ولا يوجد مسلم على وجه الأرض لم يسمع عن البخاري . ولكن مَنْ منَّا يسأل نفسه عن جنسيته أو يعرف أنه من أوزبكستان ؟ ومَنْ من المسلمين يفرق بين عالم أوزبكي أو طاجكي وبين عالم مكّي أو مدني ؟

ولم يكن البخاري نموذجا فريدا ، فالطبري والخوارزمي وابن سينا والفارابي والبيروني كانوا من آسيا الوسطى ، وكانوا يرحلون في طلب العلم شرقا وغربا ، لا يفرِّقون بين عالم شامي أو مغربي أو يمني .

لقد انصهر الجميع في بوتقة الإسلام ، وأصبح كل منهم يمثل بالنسبة لنا قيمة من القيم التي نعتزّ بها ، ويشكِّل خيطا متألقا في نسيج الحضارة الإسلامية التي ازدهرت عدة قرون ، وأخرجت البشرية من ظلمات العصور الوسطى إلى مشارف عصر النهضة ، ولذا ننظر فنرى أوروبا تقيم في أواخر القرن الثاني عشر للميلاد مدارس لتعليم اللغة العربية في إسبانيا[١] وصقلية ، تترجم تراث المسلمين من العربية (لغة الحضارة في ذلك الزمان) إلى اللاتينية ، بل إنها ترجمت تراث اليونان إلى اللاتينية عن طريق ما وجدته من ترجمات عربية لهذا التراث ، ولم تُعرف الأصول اليونانية لمؤلفات أرسطو وأفلاطون إلا بعد ثلاثة قرون حين سقطت القسطنطينية في منتصف القرن الخامس عشر للميلاد .

ودعونا نتفق بعد ذلك على أن هذا التراث بُني على دعامتين أساسيتين هما الأقوال والأفعال . ويأتي على رأس الأقوال المصدران الأساسيان من مصادر التشريع الإسلامي ، وأعني بهما القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، والقرآن الكريم نصّ **﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾**[٢] ، ولعله الكتاب السماوي الوحيد الذي لم يتعرض لتحريف أو تبديل ، فقد حرص النبي ﷺ على حفظه وتدوينه حرصا شديدا ،

---

(١) فقد أسس ريموند أسقف طليطلة من ١١٢٦ - ١١٥١ مدرسة للترجمة .
(٢) سورة فصلت (٤١) ، آية ٤٢ .

وكان الصحابة يحفظونه ويكتبون لأنفسهم ، ولكنه لم يُجمع في كتاب إلا في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين استحرّ القتل بالقُراء يوم اليمامة سنة ١٢هـ فاقترح عليه الفاروق عمر أن يقوم بجمع القرآن خوفا من مقتل حملته وحافظيه ، فاستدعى زيد بن ثابت كاتب الوحي لرسول الله ﷺ وكلّفه بجمع القرآن[١] في صحف ظلّت عنده حتى لقي ربه ، فانتقلت إلى خليفته عمر ، وبعد مقتل عمر آلت الصحف إلى أم المؤمنين حفصة بنت عمر . ولما ظهرت بوادر الخلاف بين المسلمين في قراءة القرآن إبَّان فتح أرمينية وأذربيجان في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه ، طلب الصحف التي عند حفصة أم المؤمنين ، واستدعى زيد بن ثابت وثلاثة من القرشيين هم عبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام ، وأمرهم بأن يجمعوا الناس على مصحف واحد كُتبت منه عدة نُسَخ أُبقيت واحدة منها في المدينة المنورة وأرسلت الأخرى إلى الأمصار[٢] . ومازال مصحف سيدنا عثمان هو المصحف الجامع الذي لم يشذّ عنه أحد من المسلمين عبر العصور .

أما النص الثاني فهو الحديث النبوي الشريف ، وقد ظل يروى شفاهة حتى أمر الخليفة عمر بن عبدالعزيز بتدوينه سنة ١٠٠هـ ، والسبب في ذلك أن النبي ﷺ كان قد نهى عن أن يكتب المسلمون عنه شيئا غير القرآن ، لأن القرآن لم يكن قد اكتمل نزوله بعد ، ولأنه ﷺ كان يخشى أن يخلط المسلمون بين كلامه وكلام الله سبحانه وتعالى ، خاصة في تلك الفترة المبكرة من تاريخ الدعوة الإسلامية[٣] .

وكان طبيعيا أن يحدث خلال تلك الفترة الطويلة نسيان أو تزيّد في الحديث النبوي ، وأن ينسب بعض ضعاف النفوس إلى النبي ﷺ ما لم يقله ، وقد تصدى علماء المسلمين لهذه الظاهرة منذ وقت مبكر ، فوضعوا علم (مصطلح الحديث)[٤] الذي يحدد ضوابط دقيقة لقبول نصوص الأحاديث ، وأرسوا قواعد محكمة لدراسة السند أو سلسلة الرواة ، وظهرت كتب كثيرة تعرف بكتب الجرح والتعديل ، أي تجريح الرجال وتعديلهم ، وقد تكفل هذان العلمان بتنقية أحاديث النبي ﷺ من الضعيف والمشكوك فيه . ويعد «صحيح البخاري»

---

(١) صحيح البخاري ، الرياض : مطبعة دار السلام ، ١٩٩٩ ، ص ٨٩٤ .

(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ، القاهرة : مطبعة الشيخ عثمان عبدالرازق ، ١٣٠٦هـ ، جـ ١ ص ٦٣ .

(٣) انظر : تقييد العلم ، للخطيب البغدادي ، تحقيق يوسف العش ، دمشق : المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، ١٩٤٩ ، ص ٥٧ .

(٤) ويسمى أيضًا : علم أصول الحديث ، وعلم دراية الحديث .

نموذجا رائعا لتحري أقصى درجات الدقة في قبول الحديث . ولهذا وُصف ـ بحق ـ بأنه أصحّ الكتب بعد كتاب الله تعالى .

وبعد هذين النصّين يأتي في مرتبة تالية كل المؤلفات التراثية في اللغة والأدب والتاريخ والجغرافيا والعلوم الطبيعية والرياضية وغيرها ، وقد تأثر كثير منها بطريقة المحدّثين في توثيق نصوص الأحاديث ، فكانت الأقوال والأخبار تروى مسبوقة بسلسلة طويلة من الأسانيد تقابل ما نسميه اليوم بالإشارات المرجعية Citation .

أما الأفعال فأعني بها أفعال النبي ﷺ وصحابته ، ومعروف أن السُّنة النبوية المطهرة أقوال وأفعال وإقرار ، فالأقوال يمثلها الحديث الشريف ، والأفعال توضحها السيرة النبوية ، والإقرار (أي أن يرى النبي ﷺ صحابيا يتصرف تصرفًا ما فيقرّه عليه) موزع بين كتب الحديث وكتب السيرة .

ولا أظنني بحاجة إلى التأكيد على أن النبي ﷺ هو إمامنا وقدوتنا بنص القرآن الكريم **﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ﴾**[1] وأقواله وأفعاله نبراس لنا ، نسترشد بها ونسير على هديها . ولم يكن النبي ﷺ مجرد مبلِّغ عن ربه ، ولم يكن مجرد شارح للقرآن الكريم أو مفسر لبعض نصوصه ، وإنما كان مشرِّعا أيضًا ، فالصلاة ـ وهي عماد الدين ـ لم يحدد القرآن الكريم مواقيتها ، ولم يفصل هيئاتها وعدد ركعات كل فرض من فروضها ، وإنما تكفل بذلك النبي ﷺ فقال : «**صلّوا كما رأيتموني أصلي**»[2] . وبعض الحدود (وهي بمثابة القانون الجنائي الإسلامي) مثل حدّ الرجم لم يرد في القرآن وإنما طبّقه النبي ﷺ .

وأنا أقول ذلك ردًا على الذين يشككون في الحديث ويقولون : نكتفي بالقرآن ، مع أن القرآن يصف الرسول الكريم بقوله : **﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾**[3] ، ويقرن طاعة الله بطاعة رسوله حيث يقول : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾**[4] ، **﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾**[5] ، **﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ**

---

(١) سورة الأحزاب (٣٣) ، آية ٢١ .

(٢) صحيح البخاري ، ص ١٠٤ .

(٣) سورة النجم (٥٣) آية ٣ - ٤ .

(٤) سورة النساء(٤) ، آية ٥٩ ، وسورة محمد (٤٧) ، آية ٣٣ .

(٥) سورة آل عمران ، (٣) آية ١٣٢ .

فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾[١] ، ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[٢] .

وإذن فأفعال النبي ﷺ وأفعال صحابته الأكرمين الذين تتلمذوا عليه ونهلوا من معينه جزء متمم لما وصلنا عنهم من أقوال . وهذه تلك «الأقوال والأفعال» تؤكد عظمة الإسلام وسماحته وتدعونا للفخر به والاعتزاز بالانتساب إليه . وهي في الوقت نفسه وشائج قربى تجمع الأمة وتوحد فكرها وتنظم العلاقة السوية بينها وبين غيرها من الأمم .

لقد اتُّهم الإسلام قديما بأنه انتشر بحدّ السيف ، ويُتهم حديثا بأنه دين عنف وقهر وإرهاب ، مع أن قرآننا ينص صراحة على حرية العقيدة ، وعلى أنه ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾[٣] ، ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾[٤] ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[٥] . بل إنه يطالب الإبن المسلم الذي يحضه أبوان مشركان على الكفر ، يطالبه بأن يبرّهما ويحسن إليهما ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾[٦] .

والقرآن الكريم يأمر النبي ﷺ بأن يبلغ رسالة الله إلى البشر ، ويرسم له إطارا لا يتعداه ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[٧] ، ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾[٨] .

وبرغم هذه الآيات الصريحة في الدعوة إلى الإسلام باللين والحسنى ، وفي مجادلة أصحاب الديانات السماوية الأخرى «بالتي هي أحسن» ، برغم ذلك يُتهم الإسلام بأنه يبيح سفك الدماء . وهي تهمة تدحضها آيات كثيرة منها قول الحق سبحانه : ﴿ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ

---

(١) سورة آل عمران (٣) ، آية ٣١ - ٣٢ .
(٢) سورة النساء (٤) ، آية ٦٥ .
(٣) سورة البقرة (٢) ، آية ٢٥٦ .
(٤) سورة الكافرون (١٠٩) ، آية ٦ .
(٥) سورة الكهف (١٨) ، آية ٢٩ .
(٦) سورة لقمان (٣١) ، آية ١٥ .
(٧) سورة النحل (١٦) ، آية ١٢٥ .
(٨) سورة العنكبوت (٢٩) ، آية ٤٦ .

ربُّكُمْ عليْكُمْ ألاَّ تُشْرِكُوا به شيْئًا وبالْوالديْن إحْسانًا ولا تقْتلُوا أوْلادكُم مّنْ إمْلاقٍ نّحْنُ نرْزُقُكُمْ وإيَّاهُمْ ولا تقْربُوا الْفواحش ما ظهر منْها وما بطن ولا تقْتُلُوا النَّفْس الَّتي حرَّم اللَّهُ إلاَّ بالْحقّ ذلكُمْ وصَّاكُم به لعلَّكُمْ تعْقلُون ﴾[1] ، ﴿ولا تقْتُلُوا النَّفْس الَّتي حرَّم اللَّهُ إلاَّ بالْحقّ ومن قُتل مظْلُومًا فقدْ جعلْنا لوليّه سُلْطانًا فلا يُسْرف فّي الْقتْل إنَّهُ كان منصُورًا ﴾[2] ، ﴿ومن يقْتُلْ مُؤْمنًا مُّتعمّدًا فجزاؤُهُ جهنَّمُ خالدًا فيها وغضب اللَّهُ عليْه ولعنهُ وأعدَّ لهُ عذابًا عظيمًا ﴾[3] . ﴿وعبادُ الرَّحْمن الَّذين يمْشُون على الأرْض هوْنًا وإذا خاطبهُمُ الْجاهلُون قالُوا سلامًا * والَّذين يبيتُون لربّهمْ سُجَّدًا وقيامًا * والَّذين يقُولُون ربَّنا اصْرفْ عنَّا عذاب جهنَّم إنَّ عذابها كان غرامًا * إنَّها ساءتْ مُسْتقرًّا ومُقامًا * والَّذين إذا أنفقُوا لمْ يُسْرفُوا ولمْ يقْتُرُوا وكان بيْن ذلك قوامًا * والَّذين لا يدْعُون مع اللَّه إلهًا آخر ولا يقْتُلُون النَّفْس الَّتي حرَّم اللَّهُ إلاَّ بالْحقّ ولا يزْنُون ومن يفْعلْ ذلك يلْق أثامًا * يُضاعفْ لهُ الْعذابُ يوْم الْقيامة ويخْلُدْ فيه مُهانًا ﴾[4] .

بل إن الإسلام لم يفرض الجهاد إلا لردِّ العدوان وكفالة حرية العقيدة . فالحرب فيه لاتكون إلا دفاعا عن النفس أو اتقاءً لهجوم متوقع ، والمسلم مطالب «بأن يكتفي من الحرب بالقدر الذي يكفل له دفع الأذى ، ومأمور بتأخيرها ما بقيت له وسيلة إلى الصبر والمسالمة . . وكل تحريض أمر به ولي الأمر في القرآن ، فهو التحريض على تجنيد الجند وحض العزائم على حرب لم يبق له محيد عنها ، ولا غرض له منها إلا أن يكفَّ بأس المعتدين»[5] .

﴿فقاتلْ في سبيل اللَّه لا تُكلَّفُ إلاَّ نفْسك وحرّض الْمُؤْمنين عسى اللَّهُ أن يكُفَّ بأْس الَّذين كفرُوا واللَّهُ أشدُّ بأْسًا وأشدُّ تنكيلاً ﴾[6] ،﴿ وقاتلُوا في سبيل اللَّه الَّذين يُقاتلُونكُمْ ولا تعْتدُوا إنَّ اللَّه لا يُحبُّ الْمُعْتدين ﴾[7] ﴿فمن اعْتدى عليْكُمْ فاعْتدُوا عليْه بمثْل ما اعْتدى عليْكُمْ واتَّقُوا اللَّه واعْلمُوا أنَّ اللَّه مع الْمُتَّقين ﴾[8] ،﴿وإنْ عاقبْتُمْ فعاقبُوا بمثْل ما عُوقبْتُم به ولئن صبرْتُمْ لهُو خيْرٌ لّلصَّابرين ﴾[9]

(١) سورة الأنعام (٦) ، آية ١٥١ .
(٢) سورة الإسراء (١٧) ، آية ٣٣ .
(٣) سورة النساء (٤) ، آية ٩٣ .
(٤) سورة الفرقان (٢٥) ، الآيات ٦٣ - ٦٩ .
(٥) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ، لعباس العقاد ، القاهرة : المؤتمر الإسلامي ، ١٩٥٧ ، ص ٢٣٥ .
(٦) سورة النساء (٤) ، آية ٨٤ .
(٧) سورة البقرة (٢) ، آية ١٩٠ .
(٨) سورة البقرة (٢) ، آية ١٩٤ .
(٩) سورة النحل (١٦) ، آية ١٢٦ .

ويمضي القرآن الكريم إلى ما هو أبعد من ذلك فيفتح الباب على مصراعيه لإقامة علاقات مودة مع غير المسلمين طالما لم يبدأوهم بالعدوان ولم يخرجوهم من ديارهم ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[١] .

ولنا في رسول الله الأسوة الحسنة ، فقد أخرجه أهل مكة وأخرجوا أصحابه وعذّبوهم ، فماذا فعل بهم حين دخلها فاتحًا منتصرًا ، بعد أن خرج منها مطاردًا متخفيا؟ لم يعتقل أهلها ، ولم ينكِّل بهم ، ولم ينتقم منهم ، وإنما قال قولته الشهيرة : «اذهبوا فأنتم الطلقاء» .

ولم تعرف الدنيا عبر تاريخها كله نظامًا للحكم أعدل من نظام الإسلام ، ولا ديموقراطية كديموقراطية الإسلام . ولو أردنا أن نسوق الأدلة على ذلك لاحتجنا إلى صفحات وصفحات . ويكفي أن نذكر هنا قطرة من بحر هذه الديموقراطية . فقد ألغى الإسلام العصبيات ، ونبذ التفرقة العنصرية ، فاستوى تحت لوائه علي بن أبي طالب القرشي مع بلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي . بل إننا لنرى الصحابة يتسابقون في الاحتفاء بسلمان ، فيقول المهاجرون : سلمان منَّا ، ويقول الأنصار : سلمان منَّا ، ويرد النبي ﷺ قائلا : سلمان منَّا أهل البيت[٢] . وكان عمر إذا رأى بلالا يقول : بلال سيدنا وأعتقه سيدنا (يعني أبا بكر) .

وفي حجة الوداع ، يعلن النبي ﷺ ، في خطبته الشهيرة أول إعلان عالمي لحقوق الإنسان حيث يقول : «إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا ، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وقد بلَّغت ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدّها إلى مَن ائتمنه عليها . إن المسلمين إخوة فلا يحلّ لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلمن أنفسكم»[٣] .

وفي مدرسة النبوة تخرَّج عمالقة من أمثال أبي بكر الصديق الذي خطب الناس حين ولي الخلافة قائلا : «أيها الناس ، قد وليت عليكم ولست بخيركم . . . إن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه ، وإن أضعفكم عندي القوي حتى آخذ منه الحق . أيها الناس إنما أنا متبع ولست بمبتدع ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن زغت فقوِّموني»[٤] .

(١) سورة الممتحنة (٦٠) ، آية ٨ ، ٩ .
(٢) الطبقات الكبرى ، لابن سعد . بيروت : دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٧٨ ، مج٤ ، ص٨٣ .
(٣) سيرة ابن هشام . تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد . القاهرة : مطبعة صبيح ، ١٩٧١ ، ص١٠٢٢-١٠٢٣ .
(٤) الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، مج٣ ، ص١٨٢-١٨٣ .

ويتولى بعده عمر فيسأل الناس يومًا أن يدلُّوه على عوَجه فيقول له أحدهم : «والله لو علمنا فيك اعوجاجًا لقومناه بسيوفنا» فيحمد الله أن جعل في المسلمين مَنْ يقوِّم اعوجاج عمر بسيفه[١] . ويقول له رجل : اتق الله يا أمير المؤمنين . فينهض رجل من القوم ويقول له : أتقول لأمير المؤمنين اتق الله؟ فقال له عمر : دعه فليقلها لي : نِعْمَ ما قال . ثم قال عمر : لا خير فيكم إذا لم تقولوها ، ولاخير فينا إذا لم نقبلها منكم»[٢] .

وقد اتسعت الدولة الإسلامية في عهده ، ومع هذا كان يقنع بالكفاف ويلبس الكساء الغليظ[٣] ، ويداوي بنفسه إبل الصدقة . ويفد عليه رسول كسرى فيجده نائمًا على الأرض في ظل شجرة ، فيقول قولته المشهورة : عدلت فأمنت فنمت يا عمر .

يخرج عمر ذات مساء مع أحد أصحابه لتفقد أحوال الرعية فيجد امرأة وضعت قدرًا على النار وأطفالها حولها يتصايحون ، فيسألها عن سبب صياحهم فتقول له : الجوع . فيسألها عمَّا في القدر فتقول : ماء أُسكتهم به حتى يناموا ، والله بيننا وبين عمر . فيقول لها : وما يدري عمر بكم؟ فتقول له : يتولى أمرنا ثم يغفل عنا؟ فينطلق مع صاحبه «أسلم» إلى بيت المال ويخرج لها دقيقا وزيتا ، ويقول لأسلم : احمله عليَّ فيرد عليه : أنا أحمله عنك يا أمير المؤمنين . فيقول عمر : أنت تحمل وزري يوم القيامة؟ لا أم لك .

ويحمل أمير المؤمنين الدقيق ويمضي به حتى يبلغ المرأة وصبيتها ، ويساعدها في طهي الطعام ، وينفخ تحت القدر فيتصاعد الدخان من خلال لحيته الكثيفة ، وبعد أن ينضج الطعام يبرِّده لهم ، ويظل حتى يطمئن إلى أنهم قد شبعوا ، والمرأة تقول له : «جزاك الله خيرا ، كنت بهذا الأمر أولى من أمير المؤمنين»[٤] .

وفي خلافة عمر يفتح عمرو بن العاص مصر ، ويتسابق فرس ابنه مع فرس صبي قبطي من مصر ، ويختلف الصَّبيَّان حول أي الفرسين سبق الآخر ، فيعتدي ابن عمرو على الصبي القبطي ويضربه بالسوط قائلا له : خذها وأنا ابن الأكرمين . فيشكو الأب إلى أمير المؤمنين في المدينة ، فيستدعي عمر الصبيين ويستدعي معهما عمرو بن العاص . ولما مثلوا بين يديه قال للصبي القبطي : دونك الدِّرة فاضرب ابن الأكرمين . فضربه حتى أثخنه (كما يقول

(١) العبقريات الإسلامية ، لعباس العقاد . بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ١٩٧٤ ، مج١ : عبقرية عمر ، ص٤٨٤ .
(٢) سيرة عمر بن الخطاب ، لابن الجوزي . القاهرة : المكتبة التجارية ، ١٣٣١هـ ، ص١٣٥ .
(٣) فقد روي أنه رئي يطوف بالبيت وهو أمير المؤمنين وعليه إزار فيه اثنتا عشرة رقعة (الطبقات الكبرى ، مج٣ ، ص٣٢٨ ، وسيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزي ، ص١١٩- ١٢٠ .
(٤) سيرة عمر بن الخطاب ، لابن الجوزي ، ص٥٩- ٦٠ .

أنس بن مالك راوي القصة) . فلما فرغ قال عمر للصبي : أجِلْها (أي : أدِرْها) على صلعة عمرو ، فوالله ما ضربك ابنه إلا بسلطان أبيه . فقال عمرو فزعا : يا أمير المؤمنين قد استوفيت واشتفيت . واستحى الصبي وقال : يا أمير المؤمنين ضربت من ضربني . فقال له عمر : أما والله لو ضربته ما حُلنا بينك وبينه حتى تكون أنت الذي تدعه . والتفت إلى عمرو مغضبًا وقال له قولته المشهورة : يا عمرو ، متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا[١] .

ولما رأى عمر أن المغالاة في المهور جعلت الشباب يحجمون عن الزواج خطب في الناس يدعوهم إلى الاعتدال وألا يزيدوا المهور عن أربعمائة درهم ، فنهضت امرأة وقالت له : ما ذاك لك . قال : ولِمَ ؟ قالت : لأن الله تعالى يقول : ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[٢] فماذا كان رد فعل أمير المؤمنين عمر؟ لم يأمر باعتقالها أو إلقائها في غياهب السجون ، وإنما رجع عن رأيه بشجاعة نادرة وقال وهو على المنبر : أصابت امرأة وأخطأ عمر . كل إنسان أفقه من عمر[٣] .

وتأملوا مَنْ القائل؟ عمر بن الخطاب الخليفة العادل الزاهد الذي قال فيه النبي ﷺ «ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر»[٤] ، «ولو كان بعدي نبيّ لكان عمر»[٥] . عمر بن الخطاب الذي نزل القرآن مؤيدا رأيه في أكثر من موقف ، بل نزل بنصّ كلامه قرآنٌ يتلى ويتعبد به الناس إلى آخر الزمان . يقول عمر فيما يرويه عنه البخاري : «وافقني ربي في ثلاث : قلت : يا رسول الله ، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلىّ ، فنزلت ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾[٦] . وقلت : يا رسول الله ، لو أمرت نساءك أن يحتجبن فإنه يكلمهن البَرُّ والفاجر ، فنزلت آية الحجاب . واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه فقلت لهن : ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾[٧] فنزلت هذه الآية[٨] .

---

(١) سيرة عمر بن الخطاب : لابن الجوزي ، ص٨٦ـ ٨٧ .
(٢) سورة النساء (٤) ، آية ٢٠ .
(٣) سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزي ، ص١٢٩ـ ١٣٠ .
(٤) سنن الترمذي ، كتاب المناقب ، باب ١٧ .
(٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، جـ٤ ، ص١٥٤ .
(٦) سورة البقرة (٢) ، آية ١٢٥ .
(٧) سورة التحريم (٦٦) ، آية ٥ .
(٨) صحيح البخاري ، ص٧١ .

وهناك مواقف أخرى غير هذه المواقف الثلاثة نزل القرآن فيها برأي عمر . فلمَّا مات عبدالله بن أُبيّ همّ النبي ﷺ بالصلاة عليه ، فذكَّره عمر بكيد الرجل للإسلام والمسلمين وبقول الحق سبحانه ﴿**اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ**﴾[1] فابتسم النبي ﷺ وقال : «لو أعلم أني إن زدت على السبعين غُفر له زدت» ، وصلى عليه وشهد جنازته ودفنه ، فنزل قول الحق جلّ وعلا ﴿**وَلا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ**﴾[2] .

عمر ، هذا العبقري العملاق يردّ اعتبار صبي قبطي اعتدى عليه ابن واليه على مصر ، ويرده بطريقة عُمَرية لا يقوى عليها غيره ، ويتراجع عن رأيه على الملأ أمام امرأة من الرعية واجهته بحجة فلم يكابر فيها . فأية ديموقراطية هذه؟ إن أي ديموقراطية في الشرق أو في الغرب تنحني إجلالا لرجل كعُمَر ، وتستتر منه حياء وخجلا

ولست أدري لماذا يراودني في كثير من الأحيان شعور بأنه لو لم يوجد عمر في واقع الحياة ودنيا الناس ما صدَّق أحد أن الأرض منذ خلقها الله قد أقلَّت حاكما في عدل عمر وفي تواضعه .

فكيف تُتهم أمة هذا تراثها بالإرهاب؟ كيف تُتهم بالإرهاب أمة دينها الإسلام ، وتحية أهلها السلام ، وختام صلاتها السلام ، وقرآنها يدعو إلى السلام ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً**﴾[3] ، ﴿**وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ**﴾[4] ، ﴿**فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً**﴾[5] . وكيف يُقرن الإرهاب بالإسلام ، ورسوله أوصى قواد جيوشه بألا يقطعوا شجرة ولا يروِّعوا طفلا ولا امرأة ، ولا يتعرضوا بالأذى لأي عابد يتعبد في صومعته أياً كان دينه أو عقيدته . وهي وصية تناقلها الخلفاء الراشدون المهديون من بعده وألزموا بها قواد جيوشهم . فها هو أبو بكر الصديق يقول للمقاتلين المتوجهين للحرب : «لا تخونوا ولا تغلوا (أي : تحقدوا) ولا تغدروا ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا صغيرًا ولا شيخًا كبيرًا ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلا (أي : تقطعوه من أصله)

(١) سورة التوبة (٩) ، آية ٨٠ .
(٢) سورة التوبة (٩) ، آية ٨٤ .
(٣) سورة البقرة (٢) ، آية ٢٠٨ .
(٤) سورة الأنفال (٨) ، آية ٦١ .
(٥) سورة النساء (٤) ، آية ٩٠ .

ولا تحرقوه ، ولاتقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكلة . وسوف تمرون بأقوام قد فرَّغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له»(١) .

فالمسلمون ليسوا دعاة حرب وإنما هم أنصار سلام ، يستجيبون لداعيه طالما أبدى أعداؤهم الرغبة في الأمن والأمان . وإذا كان نفر من المسلمين قد أساءوا الفهم أو التصرف ، فاللوم يقع عليهم لا على الإسلام . ولنا في رسول الله ﷺ وصحابته الأسوة الحسنة . ففي صلح الحديبية كان النبي ﷺ وصحبه يريدون العُمرة ، فتتصدى المشركون لمنعهم فقال النبي ﷺ لرسولهم : «إنا لم نجيء لقتال أحد ولكننا جئنا معتمرين» . وقَبِلَ النبي ﷺ أن يرجع وصحبه فلا يدخلوا مكة تلك السنة ، وإنما يدخلونها في العام القادم ويقيمون فيها ثلاثة أيام بعد أن تخرج منها قريش .

قد يقول قائل : إن الإسلام كان ضعيفا وإن الحكمة كانت تقتضي ما قَبِل به النبي ﷺ رغم اعتراض بعض صحابته على شروط الاتفاق وعلى الصيغة التي كُتب بها . ولكن ماذا يقول القائلون في عهد بيت المقدس الذي كتبه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لأهل إيليا ، وفيه «أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصُلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملَّتها ، وأنه لا تُسكن كنائسهم ولا تُهدم ولا يُنتقص منها ولا من حيِّزها ، ولا من صلبهم ولا شيء من أموالهم ، ولا يُكرهون على دينهم ، ولا يُضار أحد منهم ، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود . وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن . . ومَنْ أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ، ويخلّي بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بِيَعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم»(٢) .

هذا هو نص العقد الذي يحمي أهل إيليا ويصون مقدساتهم ويكفل لهم حرية العقيدة . أما الجزية فليست إتاوة تفرض على أهل الكتاب ، وإنما هي ضريبة الدفاع أو ضريبة الأمن القومي إن صح التعبير ، لأنهم مُعْفَون من الجندية وحمايتهم مسئولية الجيش الإسلامي .

وأثناء كتابة العهد في كنيسة بيت المقدس يحين وقت الصلاة فيخرج عمر من الكنيسة ويصلي في جوارها ، لأنه خشي لو أنه صلى فيها فقد يحرص المسلمون بعده على احتجاز المكان الذي صلى فيه .

(١) جمهرة خطب العرب ، جـ١ ، ص٧٤ (وتاريخ الطبري ، جـ٣ ، ص٢١٣) .

(٢) تاريخ الطبرى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٢ ، جـ٣ ، ص٦٠٩

أَبَعد هذا كله يقول أي منصف : إن الإسلام دين عنف وإرهاب؟ أبعد هذا كله يقال : إن الإسلام يبث في نفوس أتباعه كراهية غير المسلمين والعداء لهم؟ أبعد كل هذا يقال : إن المجتمع الإسلامي مجتمع عدواني يقوم على العنصرية؟

إن قِلّة علمنا بتراثنا ، وعجزنا عن التعريف به تعريفا صحيحا هو الذي يتيح لأصوات أعدائنا أن تعلو ، ويتيح لتُهمهم الباطلة الجائرة أن تجد لها آذانا صاغية . ولهذا أقول : إن أزمتنا الحالية أزمة جهل قبل أن تكون أزمة ضعف ، وإن المعرفة الصحيحة بتراثنا هي التي يمكن أن تجمع شملنا وتقرِّب بعيدنا وتصون وحدتنا . فهذا التراث هو الذي يشكل عقل الأمة ووجدانها ، ولا تكفي المعرفة به وحدها ، وإنما لابد من إحيائه وتفعيله والتمسك به ، بل لابد من التعريف بما يحمله من مباديء سامية ومُثل عليا وقيم رفيعة ، تجمع ولا تفرِّق ، تبني ولا تهدم ، تصون ولا تبدِّد ، تنشر الحب والإخاء بين البشرية كلها ، وتحفظ الدماء والأموال والأعراض ، وتحرر الإنسان من الخضوع لغير الله ، وتطلق طاقاته الكامنة لعمارة الكون وإثراء الحياة .

تراث فلسطين : المنحة والمحنة

د . فيصل الحفيان*

مقدمـــة

ليس هذا بحثًا في تراث فلسطين ، ولا بحثًا عنه ، ولكنه بحث له ، أو من أجله ، يهدف إلى عدة أمور ، أهمها أن ثمة خطرًا ينبغي أن ننتبه له ، وأن هذا الخطر واقع هناك على أرض فلسطين ، وأنه ليس ما نشاهده مما يقع على إنسان تلك الأرض الذي تربطنا به روابط الدين واللغة ، والتاريخ والجغرافيا ، فذلك أمر مكشوف ليس بحاجة إلى إشارة أو تنبيه ، بل هو أمر آخر متصل بذلك الإنسان ، وأعني ذاكرته التي تتمثل في تراثه ، والتراث مفهوم متسع يشمل أشياء كثيرة ، سيتم حصرها ، أو محاولة ذلك ، وإذا كان الخطر يهدد هذا التراث ، ويجعله ويجعلنا في محنة ، فإن من الحق القول إنه أيضًا «منحة» لم نقم بحق شكرها .

*** السياسة . . . والثقافة**

الإنسان مادة وروح ، أو جسد وذاكرة . ونعني بالذاكرة : العقل والفكر . والتاريخ . وهذا كله مستهدف ؛ فإن فيه تهديدًا لمن يحاول صك «شرعية» ما زورًا . بل إنه الهدف الأهم ؛ لأن الجسد وحده لا يخيف إذا محونا أو شوهنا العقل أو الذاكرة ، إذ يستحيل الإنسان مجردًا من ذلك إلى آلة يمكن استثنائها أو تسييرها من قِبَل الآخر . أما مع العقل أو الذاكرة فالأمر مختلف ، إذ يرفض الإنسان الاستئناس أو التسيير من ناحية ، ويمتلك من ناحية أخرى قدرة غير عادية على بعث الحياة في الجسد ، ونفخ الروح فيه للدفاع والمقاومة من ناحية أخرى ، ويظل الجسد قادرًا ما دامت الذاكرة حية متوثبة ، فإذا ذهبت هذه الأخيرة أو طُمست ، أو شُوِّهت ، أو عُبث فيها ، شُلَّ الجسد ، وتيبس . . . . ومات .

والحرب التي تدور الآن في فلسطين ولاتزال حربان : حرب الأرض والناس ، وحرب أخرى على الذاكرة ، الأولى سياسية ، والأخرى ثقافية . السياسية تستخدم الرشاش والمدفع والدبابة والطائرة والصاروخ . والثقافية وسائلها القلم والمخطوط والكتاب والأثر والوثيقة . واختلاف الآلات والوسائل وحده يقيم هذا الحد بين الحربين ، ويعطي لكل منهما اسمها ، أما إذا نظرنا إلى الغاية ، فإن الحربين حربٌ واحدة هدفها السيطرة على الناس ومصالحهم .

(*) منسق برامج معهد المخطوطات العربية ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

ولكل من الحربين سمات ، أهمها أن الحرب السياسية ظاهرة ، والثقافية خفية أو مخفية ، الأولى بسيطة ، والثانية مركبة ، الأولى تحصد الأجساد ، والثانية تحصد العقول ، الأولى تنتهي ، فتتوقف الرشاشات وتسكت المدافع ، والثانية مستمرة ما استمر وجود صاحب الحق .

وانشغالنا بالأولى لا يجوز أن يلهينا عن الثانية ؛ لأنهما قائمتان معًا ، ففي الوقت الذي يقوم فيه جندي صهيوني بإطلاق الرصاص من سلاحه على رأس فلسطيني أو صدره ، تكون هناك كتيبة من الجنود تدكُّ مسجدًا أو تحرق كنسية ، أو تسوى مكتبة تاريخية بالأرض .

كما يكون هناك آخرون لايلبسون ملابس عسكرية ، ولا يحملون أسلحة ، يقومون بعمل من نوع آخر ، يحرّفون كتابًا أو وثيقة ، أو يطمسون حجة أوقاف ، فيرتكبون بين السطور والكلمات والأختام قتلاً من نوع مختلف ، تزيد خطورته بالتأكيد على طلقة البندقية ، ودانة المدفع ، وقنبلة الطائرة .

لقد حكى القرآن الكريم لنا كيف كان بنو إسرائيل يقتلون الأنبياء بيد ، ويحرفون كتبهم السماوية باليد الأخرى ، ذلك أن ذكاءهم «الشيطاني» دلَّهم على خطر الكلمة وتأثيرها ، وأن بإمكانهم عن طريقها أن يصلوا إلى مآربهم ، ولنا أن نتصور ببساطة أن يعبثوا بحقوق الناس بعد أن اتخذوا كلمات الله هزوًا ، فغيَّروها وبدّلوها .

وإذن فمحو الثقافة جزء من اللعبة السياسية سعيًا لتحقيق مصالح المعتدي والمستكبر والمغتصب للأرض . وهذا يفرض علينا أن نفتح أعين المثقفين وجموع الأمة على ما يجري ، ليفهموا أصول اللعبة وأبعادها ، ويهبطوا من أبراجهم العاجية التي يعشون فيها ، ويسهموا بدورهم في المواجهة ، وهي من نوع الحرب الثقافية التي سلفت الإشارة إليها .

*** فلسطين : المكان والمكانة**

شُغل المؤرخون والجغرافيون والمفكرون بالبحث عن شخصية بلدانهم[١] . فإذا كان لكل إنسان «شخصيته» التي تتميز ملامحها الخاصة ولا تشتبه بـ «شخصية» أخرى ، فإن الأمكنة كذلك . وقد كان البحث في هذا الاتجاه من أرقى الأعمال التي قام بها هؤلاء ، لأنهم تجاوزوا بذلك الخصائص المرئية للمكان إلى فلسفته ، ونفذوا إلى ما يميزه ويعطيه

(١) لعل أقرب ألوان هذا البحث ما قام به المرحوم جمال حمدان في «شخصية مصر» .

تفرده وصولاً إلى عبقريته ، من خلال نظرة تركيبية عميقة ، ربطت بين الأرض والناس ، والمادي والروحي ، والماضي والحاضر .

وفلسطين[١] على الرغم من محدودية مساحتها ، وقلة سكانها «شخصية» ذات قيمة عالية ، تجعل منها نموذجًا لا يقلُّ عن أمكنة أخرى مجاورة ، أكبر مساحة ، وأكثر عددًا ، فالمسألة ليست مساحة وسكانًا فحسب ، ولكنها مسألة صلابة وقدرة على التفاعل مع الذات ، ومع الكون بكل ما فيه .

فلسطين ـ إذا استعرنا مصطلح الجغرافيين ـ شخصية إقليمية نموذجية قلبت المقاييس المتعارف عليها ، وانفردت بكونها من أغنى الشخصيات الإقليمية دون أن تتوافر فيها بعض العناصر التي قد يراها بعضهم هامة وضرورية .

وأحسب أننا لسنا بحاجة إلى أدلة ، وبخاصة أننا نشاهد بعيوننا عظمة الإنسان الذي يحيا على تلك الأرض وصلابته ، وقدرته على المواجهة والمقاومة والفداء والاستشهاد وعدم اليأس أو القنوط ، والصبر على الجوع والفقر والموت ، كل ذلك في ظل حالة تهاون عربية وإسلامية وعالمية ، لا يمكن تفسيرها ، ولا تسويغها .

إذا أردنا أن نلخّص الشخصية الإقليمية لفلسطين في كلمات قليلة ، ونرسمها بإيجاز ، فإنه يمكننا أن نقول : فلسطين جارةُ أربع دول عربية هي : مصر وسورية والأردن ولبنان ، مصر أكبر منها بـ ٣٧ مرة ، وأكثر منها سكانًا بما يزيد على عشرات مرات ، وسورية تكبرها بـ ٧ مرات ، ويزيد سكانها أكثر من الضعف . ومساحة الأردن أكبر منها بأكثر من ثلاث مرات ، وإن كان عدد سكانها أقل (٦٪) ، أما لبنان فمساحته أقل بنسبة ٣٨٪ ، وعدد سكانه أقل بنسبة ٤٥٪[٢] .

---

(١) فلسطين تاريخيا جزء من بلاد الشام ، وبتعبير القدماء : كورة من كورها أو جند من أجنادها ، ولها حدود مذكورة في كتب البلدان . (انظر مثلا : معجم البلدان ـ فلسطين وتختلف هذه الحدود عن تلك التي رسمت بعد الحرب العالمية الأولى على أيدي فرنسا وبريطانيا ، ثم هذه الرقعة من الأرض هي الآن موضع نزاع ظالم ـ كما نعلم ـ بين أصحابها وأولئك الذين وطنوا فيها وهذا ما جعل محرر العرض الخاص بفلسطين ضمن «المخطوطات الإسلامية في العالم ـ مسح الفرقان» يقدم ملاحظة مبدئية مفادها أن العرض يشمل المنطقة بمفهومها بعد الحرب العالمية إلى أن يتم ترسيم الحدود بين الفلسطينيين والإسرائيليين ، أما حديثنا هذا فهو عن تراث فلسطين ، كل فلسطن ، بغض النظر عما يحدث الآن ، أو يخطط له .

(٢) فلسطين الموقع والموضع ، د . فتحي عبدالله فياض (ضمن أعمال ندوة فلسطين عبر عصور التاريخ) . القاهرة : مركز البحوث والدراسات التاريخية ، ١٩٩٦ .

وقد أسال موقع فلسطين الجغرافي لعاب الطامعين عبر التاريخ . فنحن نعرف أن الهكسوس انطلقواً منها إلى مصر ، ومنها دخل نابليون إلى الشام ، واستخدمها العرب لنشر الدعوة الإسلامية في مصر وشمالي إفريقية وبلاد الأندلس ، واختارتها بريطانيا لتكون تحت انتدابها تأمينًا لطرق مواصلاتها إلى الهند عبر قناة السويس .

وننظر في التاريخ فتتوالى الصور سريعة ، فعلى أرضها التقت الديانات السماوية الثلاثة : اليهودية والمسيحية والإسلام ، وبها وُلد المسيح ، وفيها كنيسة القيامة ، وهناك الكثير من الآثار والأمكنة المسيحية المقدسة التي تضرب في عمق التاريخ ، وتربط بين الإنسان والمكان ، وتجعل منهما شيئًا واحدًا لايقبل التجزئة ولا الانفصام .

وفيها المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين ، ومسرى الرسول محمد ﷺ ، وفيها البقعة التي بارك الله حولها : المسجد الأقصى ، قبلة المسلمين الأولى التي توجهوا إليها في المراحل الأولى من الدعوة الإسلامية ، ثم استجاب الله دعوة نبيه الذي قَلّب وجهه في السماء متحيرًا ، موزع القلب بين بيت الله الحرام في مكة ، والمسجد الأقصى في بيت المقدس ، فأمرَه بالتوجه إلى الكعبة الشريفة ﴿**قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ**﴾[١] . لكن تحويل القبلة عن المسجد الأقصى لم ينل من مكانته ، ففي الحديث الشريف : «لاتُشَدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى»[٢] .

ونترك الموقع «الجغرافيا» والمكانة التاريخية والدينية ، لنلحظ طبيعة الأرض التي وُصفت بأنها مليئة بالعوائق والموانع التي تعين على الدفاع عنها ، يقول آدم سميث : «ولا تجدي معها الجيوش الكبيرة ، ولا تستطيع أن تفعل شيئًا»[٣] ، هذه الصلابة والمنعة والقدسية المستمدة انعكست على الإنسان ، وهذا ثابت ومقرر علمياً .

بعد ذلك أراني أود أن أكثف شخصية فلسطين بوصفها مكانًا وأختزلها في كلمتين : «أرض الحياة» ، والحياة هنا تتجاوز مناقضة الموت إلى وصف آخر أعلى وأغنى هو منح الحياة لإنسانها ، وإعطاؤها القدرة على مواجهة الموت ، وانتزاع حقه ممن يريد أن يسلبه هذا الحق ، أو يعتدي عليه .

---

(١) سورة البقرة : ١٤٤ .

(٢) حديث صحيح ، انظره في الصحاح الستة .

(٣) بحث فلسطين : الموقع والموضع ، ص ٤٢ ، مصدر سابق .

مثل هذه الأرض ، ومثل هذا الإنسان ، لابد أن يكون لهما عطاء عظيم ممتد على مدى التاريخ على مختلف الأصعدة ، ولاشك أن هذا العطاء سيتجلى في تراث يمثل ذاكرة الأرض والناس .

*** تراث فلسطين أو ذاكرتها .**

تمتلك فلسطين تراثًا كبيرًا ، وغنيًا ، كمًّا ونوعًا وتنوعًا ، يمثل جزءاً مهمًّا من ذاكرتنا العربية والإسلامية من ناحية ، وجزءً مهمًّا أيضًا من الذاكرة الإنسانية ، ويتعرض اليوم لحرب متوحشة ، تشنها إسرائيل ، ونحن غافلون غفلة غير مفهومة ، متخلين بذلك عن واحد من أهم الأسلحة ، ولا يخفى أنه سلاح ذُبحنا به ، ونُذبح ، في الوقت الذي كان يمكن أن يكون في أيدينا ، ندرأ به عن أنفسنا ، ونثبت به حقوقنا .

ويتمثل ذلك التراث في تلك الآثار المشاهدة القائمة على الأرض من عمائر ونقوش وحفريات ، وما يتصل بها من قطع أثرية وأحجار وعملات وشواهد وصور ، وتلك الوثائق التاريخية والشرعية التي تحكي حياة الناس وتقيِّد معاملاتهم وعلاقاتهم مع بعضهم ومع غيرهم ، مع أنفسهم ومؤسساتهم وحكامهم ، مع أصدقائهم وأعدائهم ، وتلك الحُجج والدفاتر والسجلات التي تؤكد الحق في الأرض والبيت والمسجد والكنيسة والمكتبة والمدرسة والسبيل والمنشأة .

كما يتمثل في ذلك التراث الفكري : الأدبي واللغوي والتاريخي والعلمي ، والمدون في مخطوطات تكشف عن نتاج عقول الناس على تلك الأرض .

وليس المقصود بـ «تراث فلسطين» ما هو موجود فقط في فلسطين ، بل هو أكبر وأشمل من ذلك بكثير ، فعطاء فلسطين ليس مقصورًا على الموجود داخلها ، كما أنه ليس ما أنتجه أبناؤها فقط ، إنه يشمل ـ من وجهة نظري ـ :

- **تراثًا في فلسطين .**
- **وتراثًا عن فلسطين .**
- **وتراثًا من فلسطين .**
- **وتراثًا لفلسطين .**

هذه الأنواع الأربعة معًا هي تراث فلسطين أو ذاكرتها ، وينبغي أن نبذل كل ما في وسعنا للعناية بها ورعايتها ، وتوظيفها .

ونلاحظ في القسمة السابقة دور حروف الجر ، فلنبين ما نريد :

١ - التراث في فلسطين : هو ذلك الذي ما زال موجودًا على أرضها ، سواء كان لدى السلطة الفلسطينية ، أو وضع عليه المحتل يده الآثمة ، بغض النظر عن موضوعه ، وهو جزء من الذاكرة العربية والإسلامية التي هي الذاكرة الكلية لفلسطين .

٢ - التراث عن فلسطين : هو كل ما يتصل بها ، أيًا كانت درجة الاتصال ، لكنه خارجا جغرافيًا . وقد يكون موجودًا داخل الوطن العربي ، أو في العالم الإسلامي ، وقد يكون بأقلام أبنائها ، أو إخوتهم من العرب والمسلمين ، ولكنه ليس بأقلام الآخرين .

٣ - التراث من فلسطين : وأعني به ذلك الذي أفرزته تلك البقعة ، سواء ارتبط بها أم لم يرتبط ، أقصد سواء كانت فلسطين موضوعًا له أم لم تكن . وأوضِّح أكثر فأقول : إنه نتاج أبناء فلسطين أو الذين تعلموا فيها ، أو عاشوا على أرضها ، من مخطوطات في المتاحف والأديرة ، وعملات أثرية ، ومكاتبات ، وأدب وغيره مما يعكس عبقرية المكان .

٤ - التراث لفلسطين : ويراد به ذلك المرتبط بفلسطين ، ومصدره الآخرون في الماضي والحاضر ، وإنما فصلته عن «التراث عن فلسطين» ؛ لأنه محتاج إلى درجة أعلى من الحذر في التعامل معه . وإنما عددته ضمن تراث فلسطين ، لأن لها دورًا في إنتاجه بوصفها موضوعا له ، كما أن له دورًا في فهم ما يدور في عقول الآخرين عنها ، وما يترتب على ذلك من توظيفه في خدمة الغاية التي نسعى إليها .

فالتراث في فلسطين وعنها بُعْدُه جغرافي ، ولا يخفى أن هذا البعد أو هذه الدائرة الجغرافية ليست مرتبطة بالحدود السياسية لفلسطين الحالية ، وعليه فإن هذه الدائرة تتسع لتشمل المناطق المحاذية لفلسطين ، إذ هي امتدادات طبيعية للدائرة الأساسية ، فنحن لا نستطيع أن نغفل تخوم فلسطين ، ونضرب مثلاً بجنوبي فلسطين ، حيث مكتبة دير سانت كاترين التي تحتوي على كثير من المخطوطات والوثائق ، وفيها الكثير من المعلومات المهمة المتصلة بالامتدادات البشرية لسكان فلسطين ، وتحركاتهم ونشاطاتهم ، ورحلاتهم .

*** فلسطين بكل اللغات**

وإذا كانت القضية هي «فلسطين» التي نريد أن ننفذ إلى روحها عبر التاريخ والمكان والبشر لنحمي ذاكرتها وحقَّنا فيها ، فإن مسألة اللغة تصبح وسيلة لا غرضًا ، بمعنى أننا ونحن نخدم فلسطين ونحميها ، نلجأ إلى كل اللغات ، ولا نقتصر على ما كُتب بلغتنا

القومية ، وهذا يعني أن تتسع الدائرة اللغوية التي نتحرك في البحث والتوثيق فيها لتشمل لغات عديدة تاريخية وحية ، منقوشة ومكتوبة ، ولنا أن نتصور حجم العبء الملقى على الأمة ورجالها المخلصين ، فلدينا بالإضافة إلى العربية : السريانية والآرامية والبيزنطية أو اللاتينية ، ولدينا التركية واليونانية والقبطية . . . وغيرها .

وثمة أولويات في التعامل مع كل نوع من أنواع تراث فلسطين :

الموجود داخل فلسطين أولويته أن ننقذه عن طريق المطالبة به وجمعه وصيانته وترميمه وتوفير المكان الملائم له ، نظرًا للأوضاع التي يعاني منها .

في حين أن أولوية التراث عن فلسطين تتمثل في جمعه في مكان واحد ، ولفت الانتباه إلى مايحتويه من معلومات هامة للإفادة منها ، واستخراج ما يعضد الحق العربي في تلك الأرض .

والتراث من فلسطين أولويته في درسه والتنقيب عنه أيضاً .

والتراث لفلسطين أولويته في تبويبه وإتاحته للباحثين .

ويجمع ذلك كله أننا محتاجون حقًّا إلى ما يمكن تسميته «المكتبة الفلسطينية الكبرى» التي تشكل ذاكرة كاملة لتلك الأرض[١] . إنه عبء حضاري وتاريخي وقومي وديني ثقيل .

*** محنة التراث في فلسطين :**

بدأت محنة التراث في فلسطين مع محنة أصحابه ، في سنة ١٩٤٨ ، فقد نزحت أعداد كبيرة من الفلسطينيين ، أو طُردوا ، وكان لهذا أو ذاك أثرهما الكبير على المجموعات الخطية التي تمتلكها الأُسر . وتبلغ المحنة ذروتها ، ففلسطين اليوم تحت الحصار ، وتراثها يتعرض للإبادة ، شأنه شأن أصحابه .

ويهمنا هنا أن نخص بالحديث ذلك الجزء الموجود داخل فلسطين ، نظراً لأنه حالة حرجة . وهو موزع على المكتبات العامة والخاصة والجامعات والمساجد والكنائس والأديرة[١] ، وبعضه لايزال مخبوءاً ، وبخاصة في الكنائس والأديرة .

---

(١) انظر : دليل مكتبات المخطوطات ١٨٣ ـ ١٩٩ ، والمخطوطات الإسلامية في العالم ٤١٣/٣ ـ ٤٦٢ ، والتراث العربي المخطوط في فلسطين ٧٣ ـ ١٠٥ .

ومهما يكن فإن عدد هذه الجهات لايزال رقماً مجهولاً ، على الرغم من جهود عظيمة تُبذل هنا وهناك . وتشير بعض التقارير والإحصاءات إلى مايقرب من (٢٤) مكتبة موزعة على مختلف المدن الفلسطينية (١١مدينة) ، منها (١٢) مكتبة في القدس ، بعضها قديم ، وبعضها مستحدث ، وعدد لا بأس به من الرقم الإجمالي مكتبات خاصة ، والباقي موزع على الجامعات والجمعيات والمؤسسات ومراكز البحث والأوقاف والبلديات والمساجد والأديرة والكنائس . وإنما قلنا «رقم مجهول» لأن الذين يرصدون المكتبات يغفلون عن مكتبات اندثرت ، مثل مكتبة حسن صدقي الدجاني ، ومكتبة عائلة جار اللّه ، ومكتبة عبداللّه مخلص ، وكلها في القدس ، ومكتبة سعيد الكرمي في طولكرم .

وإذا كان عدد المكتبات مجهولاً ، فإن عدد المخطوطات مجهول بدرجة أكبر . وتذكر التقارير أنه كان يقدر قبل الاحتلال بنحو خمسين ألف مخطوطة أصلية ، لم يبقَ منها الآن سوى نحو ثمانية آلاف مخطوطة [١] ، على أحسن الفروض ، أي نحو ١٨٪ . ونحن بالطبع نتحدث هنا عن المخطوطات ، وليست لدينا بيانات عن السجلات والوثائق والأوقاف ، فتلك مسألة أكثر تعقيداً وخطورة .

وأهم المكتبات وأغناها حتى اليوم :

المكتبة الخالدية ومكتبة المسجد الأقصى ومكتبة دار إسعاف النشاشيبى ، وهي جميعاً في القدس .

وفي الآونة الأخيرة ظهرت مكتبات أنشأتها دولة إسرائيل ، وأطلقت عليها أسماءها ، أما ما فيها فهو للفلسطينيين ، إذ هم أصحاب الأرض وما عليها ، ومن تلك المكتبات : مكتبة جامعة حيفا ، والمكتبة الوطنية ، ومكتبة الجامعة العبرية (القدس الغربية) . وهذه الأخيرة فيها كمٌّ لا بأس به من المصاحف والمخطوطات بالفارسية والتركية العثمانية والعربية (٢١٤٣مخطوطة) ومتحف ذكرى مائير (بالقدس الغربية أيضاً) والمتحف الإسرائيلي ، ومكتبة جامعة تل أبيب .

إن محنة التراث في فلسطين تتلخص في مايلي :

١ ـ الاستيلاء ووضع اليد عليه .

---

(١) المخطوطات الإسلامية في العالم ٤١٤/٣ .

٢ـ سرقته ، فقد اختفت مجموعات منه من أماكنها الأصلية ، وظهرت في أماكن أخرى في ظروف غريبة . وهذه نقطة موضع تفصيل سيأتي لاحقاً .

٣ـ التضييق على أصحابه ومحاصرتهم ـ إذا صح التعبير ـ اقتصاديًا ، حتى لايتمكنوا من الإنفاق عليه والاهتمام به .

٤ ـ مصادرة الأوقاف التي كان يُنفق منها عليه .

٥ ـ انتقاء بعض نصوص غير ذات القيمة علميًا ، والتركيز على ما فيها من إسرائيليات وأكاذيب وتُرهات ومبالغات لايقبلها العقل ، ولَيّ عنق المادة العلمية لتتوافق مع الأغراض المشبوهة التي يرمون إليها . وسنضرب مثالا على ذلك .

بدأت المحنة مع الكارثة سنة ١٩٤٨ ، فقد سقطت مع الأرض أشياء كثيرة ، منها عشرات المكتبات بما فيها من المخطوطات والوثائق والكتب والدفاتر ، وكما فعل المغول من قبلُ في بغداد ، فعلوا ، وكان تركيزهم شديدًا على القدس ، فقد وضعوا أيديهم على مخطوطاتها ووثائقها .

وجاءت نكبة ١٩٦٧ لتكتمل فصول الرواية المأساوية ، وتمتد الأيدي إلى الضفة الغربية وقطاع غزة ، تعبث في كل شيء .

ويبدو أن تفاصيل الجريمة كانت واضحة ، فقد قاموا بترويع الإنسان حتّى ينشغل عن تراثه بالجهاد من أجل البقاء ، فنهبوا واغتصبوا ، وأحرقوا ودمروا ، واضطهدوا الإنسان وأفقروه ، وتجاوزوا ذلك كله إلى ما اعتادوا عليه عبر تاريخهم ، فانتقوا بعض المخطوطات التي تخدم أغراضهم في سرقة الأرض والمقدسات وتمجيد ماضيهم وتعظيم أعمالهم ، أو التي يمكن لهم أن يلووا الكلام فيها عن وجهه ـ وهم ــ كما نعلم ــ محترفو تزويرها وتبديل وتزييف . وقد ازدادوا احترافاً وتمكناً بعد أن أُتيحت لهم فرصة امتلاك التكنولوجيا والسيطرة على وسائل الإعلام ، بما فيها من قدرة غير محدودة على تغيير الحقائق وتبديلها وتزويدها وتحريفها وإلباس الأكاذيب لبوس الصدق والرصانة والعلم .

ولنستعرض بعض ما جرى لمكتبتين فلسطينيتين :

*** المكتبة الخالدية في القدس :**

تُعد من أغنى المكتبات وأعرقها ، وتذكر المصادر ــ كما سلف ــ أن بها نحو ألفي مخطوطة ، وعدة آلاف من الوثائق اكتُشفت تحت سقفها صدفة عام ١٩٨٧ أثناء عمليات

ترميمها . هذه المكتبة تعرضت لحرب حقيقية : عسكرية وقانونية واقتصادية شنها الجيش الإسرائيلي وبلدية القدس والمستوطنون المسلحون . واستمرت عقوداً (بدأت عام ١٩٦٧) . من الجيش جاء (غورين) كبيرُ الحاخامات سابقًا واحتل الطابق العلوي ، واستقدم تلاميذ مدرسة باشيفا التلمودية المتطرفة رافعاً راية إعادة بناء الهيكل في ساحة الحرم القدسي .

لكن المحاولات جميعاً باءت بالفشل ، بفضل عناية اللّه ، وصلابة الأسرة الخالدية ، وبخاصة الآنسة (هيفاء بنت حيدر كامل الخالدي) . لقد قامت الأسرة بدءا من مطالع الثمانينيات بجمع الهبات ، ولجأت إلى المحاكم المحلية ، وكوَّنت جمعيه لأصدقاء المكتبة في أميركا ، واستخدمت كل الوسائل الدبلوماسية والقانونية والإعلامية ، واستعانت باليونسكو والصندوق العربي للإنماء الاقتصادي وبعض الدول والأفراد المنصفين للحفاظ على المقتنيات .

*** المكتبة الأحمدية في عكا :**

ليس فيها الآن سوى ٨٠ مخطوطة !

ولدينا شاهد حيٌّ ، فثمة مخطوطة فريدة (ضمن مجموعة منها أربعة عشر كتابًا ورسالة مخطوطة) من مقتنيات هذه المكتبة تحت عنوان «فضائل البيت المقدس» لأبي بكر محمد ابن أحمد الواسطي المقدسي (من رجال القرن الخامس الهجري) ، ظهرت فجأة في مكتبة الجامعة العبرية(١) .

وقد كان من الممكن أن لا يدري أحد بهذه السرقة لولا أن باحثاً إسرائيليًا يُدعى إسحاق حَسُّون تقدم بها محقَّقه إلى جامعته (الجامعة العبرية) ، لينال بها درجة الماجستير ، عام١٩٦٩م ، ولتصدر مطبوعة في عام ١٩٧٩م عن الجامعة نفسها(٢) .

والقصة حكاها مفصّلة الأستاذ عصام الشنطي في بحث له نُشر في مجلة معهد المخطوطات العربية(٣) وسنتوقف عند سؤالين :

لماذا اختار الباحث هذه المخطوطة؟ وكيف حقَّقها ودرسها ؟

---

(١) من حسن الحظ أن منها مصورة في دار الكتب المصرية تحت رقم ٧٨١ مجاميع ، وأخرى من مصورة الدار في معهد المخطوطات العربية تحت رقم ٧٥١ تاريخ .

(٢) انظر وصف الطبعة في مجلة معهد المخطوطات العربية المجلد ٣٦ ، جـ ١ ، ٢ ، ص١٢ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٩ ـ ٤٢ .

أما لماذا ؟ فلأنها ـ شأنُها أغلب كتب الفضائل ـ مليئة بالإسرائيليات ، والأحاديث الغريبة ، والضعيفة ، والمنكرة ، والموضوعة ، والمكذوبة ، والمبالغات والخرافات والحكايات والأساطير التي يرفضها العقل ، وترجع إلى أعمال القصاصين ، بالإضافة إلى نصوص محرَّفة من التوراة[١]. ومن خلال ذلك سعى إلى تمجيد تاريخ اليهود وتعظيم رجالهم .

ولم يكن ذلك الباحث محقِّقًا ولا دارسًا ، بل كان جنديًا لقومه ، يبرز مايحبون ، ويخفي ما يكرهون ، ويعبث بالنصوص ، ويقتطع منها ، ويركز على بعضها ، ويلوي عنق بعضها الآخر ، ليصل إلى أغراضه ، ويخدم أهواءه .

*** جوانب أخرى :**

وثمة جوانب أخرى للمحنة ، أو وجه آخر لها ، فإذا كان أولئك هم أعداء تراثنا وذاكرتنا ، ونحن نعرفهم وندرك أغراضهم ، فإن المفارقة الخطيرة أننا ـ نحن العربَ والمسلمين ـ نقوم بدور في هذه اللعبة ، ونُسهم فيها .

وأبرز تجليات هذا الإسهام إهمال تراثنا وتركه نهباً للحشرات ، والفطريات ، والرطوبة والحرارة وفساد الهواء ، حتى يصبح هشيماً تآكلت أوراقه وجلوده ، وتلاشت سطوره وكلماته ، وضاع مافيه من تاريخ وعلم وحقوق .

ويوازي ذلك وربما يزيد عليه أن يخيم علينا الجهل ، فنظن أن احترام التراث أو قدسيته تكون بإخفائه عن العيون ، وإبعاده عن الأيدي ، وتحويله إلى أحراز وأحجبة ، ومصدر للبركة واستجلاب للخير ، بدلاً من أن يكون مصدراً للنور والعلم وإحقاق الحق ، وإزالة الباطل .

وقريب مما سبق أن نبيعه للغرباء طلباً لحفنة من المال لانلبث أن ننفقها على متعنا .

ويلحق بذلك أن لا نتخذ الاحتياطات اللازمة لحمايته ، فيستولى عليه أعداؤنا ، الذين يدمرونه ، أو يفيدون مما فيه وينسبونه لأنفسهم ، أو يعبثون فيه ويحرفونه كما فعلوا بكتبهم السماوية ، أو يقتطعون منه مايخدم أغراضهم ، ويقنعون العالم بآرائهم المريضة وحقوقهم الدعية ، ويشوهون صورتنا في الوقت نفسه .

*** خيوط مضيئة :**

هي صورة قاتمة حقًّا ، لكن ثناياها خيوط ضوء لا نستطيع إغفاها حتى لا يكون كلامنا دعوة لليأس والقنوط ، ونوعاً من الانهزام والهروب . خيوط النور هذه تتمثل في الجهود التي

(١) انظر ما كتبه الشنطي في مباحث الكتاب ومصادره في المصدر السابق ص ٢٤ ومابعدها .

بُذلت وتُبذل هنا وهناك ، وتصلح أن نبني عليها ، ونؤسس صرحًا عالياً يخدم تراث فلسطين ويحتفظ بأرضها وناسها .

لقد بدأت بذور الوعي بأهمية تراث فلسطين في مطالع القرن العشرين في صورة جهود أفراد علماء ، واتخذت طابع التعريف[١] به . وعلى الصعيد المؤسسي كان هناك غيابٌ تام لعله يرجع إلى الاستعمار والانتداب وكارثة الكيان المصطنع الذي أعطوه الوعد المشئوم . على أن ثمة وعياً بالتراث في عمومه تجلى في إنشاء معهد المخطوطات العربية في إطار الجامعة العربية في عام ١٩٤٦م ، وقد التفت هذا المعهد إلى فلسطين في بادرة تتجاوز البحوث والدراسات المتفرقة ، وتفوقها أهمية ، وهي إيفاد بعثة تصوير ، أنقذت جزءً - ولو قليلاً - من تراث فلسطين المخطوط [٢] . وكان ينبغي أن يتعمق هذا الاتجاه ، لكن ذلك لم يحدث .

وهناك جهد حقيقي وإن كان متأخرًا ينبغي التوقف عنده ، هو جهد الجامعة الأردنية [٣] وإنما قلنا «جهد حقيقي» ؛لأنه يتسم بثلاث سمات هامة :

أولاها : الحجم ، فقد قامت الجامعة بحملة تصوير واسعة شملت الكثير من مكتبات فلسطين .

وثانيها : التنوع ، فقد عُنيت بسجلات المحاكم الشرعية والأوقاف ، ودفاتر الأحوال الشخصية ، والرحلات الخاصة ببلاد الشام عمومًا وفلسطين خصوصًا ، وتقارير القناصل الإنجليز والأميركيين والألمان والفرنسيين .

وثالثها : الاتساع ، فقد مَدَّت الجامعة نظرها إلى خارج فلسطين ، وبخاصة تركيا ، وتحديدًا إستانبول وأنقرة ، مركِّزة على جزء هام جدًا من تراث فلسطين هو السجلات والدفاتر العثمانية التي تخص فلسطين (٢٥٠ ألف صفحة) ، ونشرها بالتعاون مع المركز الإسلامي في إستانبول . كما عُنيت بالصحف في القرنين التاسع عشر والعشرين ، سواء الأهلية أو الرسمية .

---

(١) جهود مبكرة في التعريف بمخطوطات فلسطين ، عصام محمد الشنطي (بحث ضمن كتاب التراث العربي المخطوط في فلسطين) . القاهرة : معهد المخطوطات العربية ، ٢٠٠١م .

(٢) قضية إنقاذ المخطوطات : ماتحقق ومالم يتحقق ، د . محمود محمد الطناحي (بحث ضمن مجلة المعهد مج٤ ج١) .

(٣) جهود الأردن في خدمة مخطوطات فلسطين ، د . محمد عدنان البخيت (بحث ضمن كتاب التراث العربي المخطوط في فلسطين جـ ١ ، ص١٧٧) . مصدر سابق .

وهناك جهود مهمة أخرى للمؤسسات الأردنية ، مثل مؤسسة آل البيت التي عُنيت بالنقوش والحفريات جميعًا ، وتبويبها ، ومجمع اللغة العربية الأردني .

وثمة جهد إقليمي ، هو جهد المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، سواء بنفسها أو عبر جهازها المتخصص (معهد المخطوطات العربية) ، فقد تبَنَّت مشروعًا لصيانة التراث الثقافي في القدس ، وعقدت ندوة خاصة بتراث فلسطين[1] ، وأثارت موضوع هذا التراث وساندته غير مرة عبر الهيئات والآليات التي تقوم عليها مثل الهيئة المشتركة لخدمة التراث العربي[2] ، ودوراتها المتخصصة (درَّبت عددا من أبناء فلسطين على ترميم المخطوطات وصيانتها) .

وقد بدأت المراكز والمؤسسات الخاصة الشبيهة تقوم بدور لا يقل أهمية عن المؤسسات الرسمية والإقليمية .

*** استشراف المستقبل**

نحن الآن بحاجة إلى :

- رسم خريطة واضحة التضاريس والمعالم لتراث فلسطين .
- حملة تصوير شاملة للتراث بمفهومه الواسع داخل فلسطين أولاً ، ثم في تخوم فلسطين ، ثم في المكتبات العربية والعالمية .
- فهرس شامل لتراث فلسطين بمفهومه الواسع أيضًا .
- مكتبة مركزية عربية لتراث فلسطين ولكل ما نُشر عنها .
- مؤسسة بحثية عربية تُعنى بهذا التراث وتوظفه لتأييد الحق العربي .

وإذا ما صدقت النوايا وسخا الجهد وتوحَّدت الأيدي نجح السعي .

إننا لسنا بحاجة إلى أكثر من حَجَر مثقف كذلك الذي يحمله طفل فلسطيني ، فأطفال فلسطين اليوم هم الطيور الأبابيل التي تحمل حجارة من سجيل ، ومثل هذا الحجر «السجيلي» أقوى مما نتصور ؛ لأنه يخترق قرونًا من الحضارة والعطاء والعلم ، مثل هذا الحجر قادر بعون الله على مواجهة مخربي الحضارة ومزيفي التاريخ .

والمعادلة بسيطة سهلة ، مفاتيحُ حَلّها بأيدينا : إيمان بالحق . . . وشيء من الصبر .

---

(١) يومي ٢٣ ، ٢٤ من أكتوبر ٢٠٠٠م ، وصدرت بحوثها ومداخلاتها في كتاب مستقل عن المعهد ، عام ٢٠٠١م .

(٢) إنقاذ مخطوطات فلسطين كان بنداً دائما على جدول أعمال الهيئة منذ أول اجتماع لها في الكويت ، عام ١٩٨٢م ، ثم الاجتماع الثاني (عام ٩٦) فالثالث (عام ٩٨) فالرابع (عام ٢٠٠١) ، وأخيراً الخامس (عام ٢٠٠٢) .

تراثنا العلمي .. ورحلته إلى الغرب

أ . د . أحمد فؤاد باشا*

الترجمة حاجة معرفية وضرورة حضارية :

الأصل في الترجمة من لغة إلى أخرى أنها نزوع طبيعي عند الإنسان إلى تنمية ثقافته وتطوير علومه ومعارفه بالانفتاح على ثقافات أخرى ، فضلا عن أنها ضرورة حضارية لتحقيق التفاعل والتكامل والتواصل بين الأمم .

ويعرف الدارسون لتاريخ الحركة العلمية في عصر الحضارة العربية الإسلامية أن عناية العرب في صدر الإسلام ـ خاصة أيام الأمويين ـ كانت موجهة بصورة رئيسية إلى علوم الدين واللغة التي عُرفت باسم « العلوم النقلية » ، تمييزاً لها عن «العلوم العقلية» المعنية بالبحث في ظواهر الكون والحياة ، والتي وجَّه العرب نشاطاتهم الفكرية إليها بصورة مكثفة في العصر العباسي بعد أن استقرت أمور الحكم ، وقلَّت الحروب والفتوحات ، وكَثُرت الأموال والثروات ، وراجت التجارة ونشطت الرحلات ، وبدأت الاتصالات الثقافية مع أمم الحضارات القديمة الذين جمعتهم حضارة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها .

ولقد قدَّمت الحضارة العربية الإسلامية نموذجاً رائداً لتفاعل الثقافات وحوار الحضارات عن طريق حركة ترجمة واسعة النطاق عميقة المضمون ، وكان طبيعياً أن تبدأ النهضة العلمية العربية بنقل معارف السابقين ، فانكب العلماء على ترجمة المؤلفات اليونانية والسريانية والقبطية والفارسية والهندية وغيرها . وكانت عملية الترجمة تعتمد في أمانتها ودقتها على تمكن المترجمين من اللغة العربية وإتقانهم للغات الأخرى التي ينقلون منها . وممن اشتهر بالترجمة آل ماسرجوية وكانوا يهوداً ، وآل بختيشوع وآل حنين بن اسحاق وكانوا نصارى ، وآل ثابت بن قرة وكانوا صابئة . ومن أهم الكتب القديمة التي ترجمت إلى اللغة العربية وأثَّرت تأثيراً عظيماً في فكر العرب كتاب «أصول الهندسة» لإقليدس ، وكتاب «المجسطي»لبطليموس ، وكتاب «السند هند» للفلكي الهندي «براهما جوبتا» . وكان علماء الحضارة العربية الإسلامية يقومون بدراسة الكتب المترجمة دراسة نقدية فاحصة ، ويستوعبون كل مافيها ، قبل أن يبدأوا في تنقيحها وترتيب علومها وشرحها والتعليق عليها .

(*) نائب رئيس جامعة القاهرة .

وسرعان ما انتقلت الحركة العلمية من طور الترجمة واستيعاب العلوم القديمة إلى مرحلة الابتكار الأصيل وإنتاج معارف جديدة عن طريق البحث وفق منهج علمي سليم يؤدي إلى الأحكام الصائبة والنتائج الواثقة .

ويمكن التعرف على الإنتاج العلمي الغزيز الذي تميزت به الحضارة العربية الإسلامية بالرجوع إلى كتب التراجم التي تزخر بها المكتبات العربية ، حيث يوجد للأطباء تراجمهم وللأدباء معاجمهم وللعلماء والفقهاء طبقاتهم وسيرهم . وهناك بجانب هذا التصنيف العلمي تصنيف آخر زمني مثل كتاب« الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» (أي : القرن الثامن الهجري) ، وكتاب « الضوء اللامع لأهل القرن التاسع» و«الكواكب السائرة في تراجم علماء المائة العاشرة » و«خلاصة الأثر في تراجم علماء القرن الحادي عشر» ، و «سلك الدر في أعيان القرن الثاني عشر» ، وغيرها . وهناك أيضا من اختار أن يقسِّم تاريخ العلم إلى مراحل زمنية (نصف قرن) وينسبها إلى شخصية علمية رئيسة ، على نحو ما فعل مؤرخ العلم المعاصر «جورج سارتون» في مؤلفه الضخم ذي المجلدات الخمسة في تاريخ العلم عندما سجل أن الفترة من عام ٧٥٠م إلى عام ١١٠٠م تشكل تعاقبا متصلا لعصور جابر بن حيان والخوارزمي والرازي والمسعودي وأبي الوفاء البوزجاني والبيروني وابن سينا وابن الهيثم وعمر الخيام ، وقد انحدروا من أصول وثقافات مختلفة ، فمنهم العربي والتركي والأفغاني والفارسي ، لكنهم أبدعوا جميعا تحت مظلة الإسلام وانصهرت ثقافاتهم في بوتقة الثقافة الإسلامية .

وعندما بدأ ظهور الأسماء الغربية في تأريخ «جورج سارتون» للعلوم بعد عام ١١٠٠م وتتابعت التراجم من العربية إلى اللاتينية (أو العبرية) على أيدي جيربرت وقسطنطين الأفريقي وأديلار الباثي وجيرار الكريموني وروجر بيكون وغيرهم ، استمر شرف التنسيب إلى المراحل الزمنية في تاريخ العلم على مدى ٢٥٠سنة أخرى بأسماء علماء الحضارة العربية الإسلامية أمثال ابن رشد صاحب كتاب «الكليات في الطب» ، ونصير الدين الطوسي مدير مرصد مراغة (في أذربيجان) ، وابن النفيس المصري مكتشف الدورة الدموية الصغرى ، وكمال الدين الفارسي شارح بصريات ابن الهيثم في كتابه« تنقيح المناظر لذوي الأبصار والبصائر» وغيرهم .

وعندما فقدت ديار الإسلام وهجها العلمي بعد عام ١٣٥٠م ، بقيت هناك ومضات عارضة تصلها بعصر الازدهار الأول ، كتلك التي لمعت في المشرق العربي على أيدي الخليلي وابن الشاطر ، أو في سمرقند على أيدي أولغ بك وجمشيد الكاشي ، أو في المغرب

العربي على يد القلصادي (ت ١٤٨٦م) . لكن هذه الإنجازات العارضة ـ على أهميتها ـ لم تكن قادرة على جعل الحياة تدب من جديد في عروق الحركة العلمية العربية لأنها كانت قد يبست وتحجرت ، وتأكد في ذلك الوقت حيوية الغرب وقدرته على تسلم مشعل الحضارة من العرب لاحتضان الحركة العلمية في المرحلة الحديثة من تطورها .

وهنا تجب الإشارة بإيجاز إلى إشكالية تتعلق بلفظ «العرب» ودلالته في الثقافتين العربية والغربية ، ودور الترجمة في تحديد هذه الدلالة عند الحديث عن الحضارة العربية الإسلامية وتأثيرها في أوروبا .

فكلمة «العرب» تستعمل بمعناها الحقيقي المشير إلى الأمة القاطنة في جزيرة العرب ، عندما يكون الكلام عن العصر الجاهلي وصدر الإسلام . أما عند الكلام عن العصور التالية للقرن الأول من الهجرة فإن لفظ «العرب» يطلق على جميع الأمم الإسلامية التي تستخدم اللغة العربية في أكثر تآليفها العلمية . ولا مشاحة في الاصطلاح ، فلنا أن نقول : حضارة عربية ونقصد بها الحضارة الإسلامية ، أو العكس ، فقد امتزجت الناحيتان بحيث يصعب الفصل بينهما ، وحينما نقول «العرب» فإنما نقصد ما كان لهم من حضارة ليست اللغة أو الدين أو العلوم أو الآداب أو الفنون إلا عناصر من عناصرها ، وإن كان الإسلام أهم مايميز هذه الحضارة عن غيرها من الحضارات .

وقد كان الغربيون يطلقون على العرب اسم «السراسنة» ، وهي لفظة مشتقة من الكلمة اللاتينية Saracenus ، نقلا عن اليونانية Sarakenos وتعني ساكن الخيام . وقد ظهر هذا المصطلح للمرة الأولى في مؤلفات كُتّاب القرن الأول الميلادي وقصدوا به البدو الذين كانوا يعيشون منذ أزمان طويلة على أطراف المناطق المزروعة مابين النهرين ويهددون طرق التجارة أو يحمونها بتكليف من القوتين العظميين يوم ذاك : الرومان والفرس . ويدخل في التسمية الأنباط وأهل الحيرة وتدمر .

ويذكر بعض الباحثين أن أصل الكلمة آت من «شرقي» Sharaqi ، وهذا محتمل لأن هؤلاء البدو كانوا يعيشون في شرق الإمبراطورية الرومانية . وقد كتب كاتب إغريقي من القرن السادس الميلادي بعد سياحة في الجزيرة العربية أن ثمة فرقاً كبيراً بين سكان اليمن والسراسنة . على أنه لابد من استبعاد الفكرة التي ترجع بأصل الكلمة إلى «سارة» زوجة النبي إبراهيم عليه السلام ، لأن العرب لا علاقة لهم بها ، وهي أم إسحاق لا إسماعيل .

وقد كان الكُتّاب المسيحيون في أوروبا العصور الوسطى يفرقون في التسمية بين العرب ، فيطلقون على من كان يعيش منهم وراء البحر الأبيض المتوسط اسم

«الإسماعيليين» بينما يطلقون اسم «السراسنة» على من جاءوهم فاتحين في الأندلس وصقلية وجنوب فرنسا . فكأنهم ، وهم ورثة الحضارة الرومانية ، أرادوا أن يعطوا الاسم الذي يحمل معنى السلب والتدمير لهؤلاء الغزاة الذين كانوا في الواقع خليطاً من العرب والبربر ، كما كان فيهم جماعات من الروم ومن الأسبان ومن اليهود يعاونون الفاتحين . ولهذا فإن كلمة «سراسنة» لاينبغي تعريبها إلى كلمة عرب أو مسلمين حفاظاً على ماتعني لدى الغربيين ، ولأن تعريبها بكلمة مسلمين أو عرب لايؤدي معناها الحقيقي النفسي لديهم[١] .

العربية لغة العلم والتقنية :

واللغة ــ أي لغة ــ هي وسيلة التواصل الفكري بين أبناء الأمة الواحدة ، وهي في الوقت نفسه تمثل حاجة ملحة وضرورة لا غنى عنها لكل أمة تشرع في النهوض من كبوتها وتسعى إلى اللحاق بركب الحضارة الإنسانية ، مؤمنة بالدور الأساسي للعلوم وتقنياتها في صنع التقدم والرقي . هذه الحقيقة التاريخية المؤكدة استوعبها علماء الحضارة العربية الإسلامية عندما ترجموا معارف السابقين إلى اللغة العربية ، واستوعبها أيضا الغربيون عندما ترجموا علوم الحضارة العربية الإسلامية في أوائل عصر النهضة الأوروبية الحديثة ، وتعيها اليوم كل أمة تسعى بخطى حثيثة نحو المشاركة الفعالة في إنتاج المعرفة وإعلاء صرح الحضارة المعاصرة .

ويشهد التراث العلمي العربي ـ بغزارته كما وكيفا وتنوعا ـ على أن اللغة العربية قد فتحت صدرها لتراث الإنسانية ، وانتشرت مع انتشار الإسلام بطريق المدنية والتنوير ، لا بطريق الغزو والاستعمار ، وكان في هذا دليل قوتها وأصالتها وقدرتها على استيعاب مصطلحات التقدم المتجددة والمتزايدة . فأصبحت لغة عالمية تتسع للتعبير عن دقائق العلوم والتقنية ، وظهر في الدولة الإسلامية أصحاب اللسانين الذين أجادوا اللغة العربية ولغاتهم المحلية إجادة تامة ، وكان العلماء من الموالي يفضلون كتابة مؤلفاتهم بها ، حتى أن أبا الريحان البيروني ـ الذي أتقن عدة لغات أجنبية غير لغته الفارسية ـ صنف جل مؤلفاته التي تربو على المائة باللغة العربية ، ويؤثر عنه قوله : «إن الهجو بالعربية أحبب إليَّ من المدح بالفارسية» ، ووصف أسلوبه العلمي بأنه أسلوب سلس خال من الالتواء ، يخرج منه القاريء بثروتين : أدبية وعلمية . كما امتدح البعض أسلوب الخوارزمي في كتابه «الجبر

(١) مكسيم رودنسون ، الصورة الغربية والدراسات الغربية الإسلامية ، الفصل الأول من الجزء الأول من كتاب «تراث الإسلام» تحرير شاخت وبوزورت ، الطبعة الثانية ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٨٨م .

والمقابلة» ووصفوه بأنه أسلوب أخاذ لاركاكة فيه ولا تعقيد ، ينم عن أدب رفيع وإحاطة بدقائق اللغة . كذلك أظهرت الدراسات التحليلية والتركيبية للغة العلمية أن مسيرة المصطلح العلمي في تاريخ العربية تدين لجهود حنين بن اسحق وأبي بكر الرازي وأبي عبدالله الخوارزمي والشيخ الرئيس ابن سينا وغيرهم ، وذلك بفضل أعمالهم العلمية التي اقتحموا بصياغتها العربية علوم الحضارة آنذاك ، مع اختلاف ينابيعها من هندية إلى سريانية إلى يونانية إلى فارسية .

وليس ثمة شك في أن هذه التجربة الأولى لترجمة العلوم إلى العربية تعد دليلاً على ثراء هذه اللغة وقدرتها على استيعاب المصطلحات والتعبيرات العلمية الجديدة ، فاستحقت أن توصف بأنها لغة العالم المتحضر عدة قرون ، وأشاد الغربيون الذين نقلوا العلم العربي بجمالها وثروتها وسهولة دراستها والتكلم بها وقراءة مؤلفات رجالها ، حتى إن «روجر بيكون»كان يعجب ممن يريد أن يبحث في العلم والفلسفة وهو لايعرف اللغة العربية ، كما اعترف بأن المؤلفات العربية كانت مصدر العلوم في عصره وأن كتابات أرسطو لم تفهم ولم تلق رواجاً في الغرب إلى أن أوضحتها كتابات الكندي وابن سينا وابن رشد وغيرهم . وسجل الأستاذ رسل GA.Russell من معهد «ولكوم» لتاريخ الطب بلندن ، في معجم لتاريخ العلوم (١٩٨١) المعالم الأساسية للعلم العربي ثم قال : «كانت اللغة العربية هي أداة هذا النشاط العلمي كله . فلما كانت اللغة العربية هي لغة القرآن أصبح لها أهمية خاصة في الإسلام ، بيد أن طبيعة اللغة العربية نفسها هي التي قامت بالدور الحاسم . فمرونتها الرائعة قد مكنت المترجمين من دفع مفردات محددة دقيقة للمصطلحات العلمية والتقنية أو ابتكارها . وهكذا أصبحت لغة الشعر اللغة العالمية للعلم والحضارة» . وهذه الإشارة إلى عالمية لغة العلم لفتة بارعة إلى فضل اللغة العربية وهو أمر يؤكده المحققون من مؤرخي العلم ويغيب عن بال الكثيرين .

ولقد امتد تأثير اللغة العربية في اللغات الحية الأخرى ، حيث يحصى معجم «وبستر» Webster's Third New International Dictionary ـ على سبيل المثال ـ أكثر من ستمائة ألف كلمة مأخوذة من اللغة العربية ، منها خمسمائة كلمة فقط من الألفاظ المستعملة في الكتابة والأحاديث العادية ، والباقي في الشئون العلمية الفنية . ومن يتتبع تأثير اللغة العربية في اللغات الأخرى يجد لها آثارا واضحة في الأسبانية والبرتغالية والفرنسية والألمانية ، وفي اللغات الجرمانية الأصل كالهولندية والاسكندنافية في شمال أوربا ، وفي الروسية والبولندية واللغات الصقلية والإيطالية . وحتى بعد ترجمة العلوم العربية إلى اللاتينية ، حرص بعض

علماء الغرب على تعلم اللغة العربية لدراسة الكتب في أصولها العربية ولم يكتفوا بالإطلاع عليها في ترجماتها اللاتينية .

بدايات انتقال العلوم العربية إلى أوروبا :

يؤكد المنصفون من المؤرخين بما لا يدع مجالا للشك أن من أهم العوامل التي ساعدت على ظهور النهضة الأوروبية الحديثة وانتشارها ، اتصال الأوروبيين بمراكز الحضارة العربية ، سواء في فترة الحروب الصليبية ، أو أيام حكم العرب للأندلس الذي دام مايقرب من ثمانية قرون ، أو عن طريق جزيرة صقلية التي خضعت لحكم العرب فيما بين منتصف القرن التاسع وأواخر القرن الحادي عشر الميلادين . وقد تأثر الأوروبيون بالحضارة العربية المزدهرة في مصادرها المختلفة ، واقتبسوا منها الشيء الكثير ، ولاسيما في مجال الفنون والعلوم الطبيعية والتكنولوجيا ، ونشطت حركة الترجمة من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية التي كانت وحدها لغة الأدب والعلم والدين . وعندما زاد اهتمام الأوروبيين بلغاتهم القومية ، كالإيطالية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والأسبانية ، بدأوا في التأليف بهذه اللغات ، ومن ثم انتقلت المعارف المتنوعة إلى الشعوب الأوروبية في سهولة ويسر ، وكان لاطلاعهم على الكتب العربية المترجمة عن الإغريقية أكبر الأثر في تنبيههم إلى أهمية تراث الإغريق والرجوع إليه ومحاولة الاستفادة من تراث الحضارة العربية الإسلامية في القرون الوسطى ، ثم الاجتهاد في إيجاد صياغة جديدة للمعرفة بما يلائم العقلية المتحررة ويفتح الطريق أمام تقدم حضاري في جميع المجالات .

ومايعنينا هنا على أية حال هو ثمرة اختلاط العرب بالأمم اللاتينية في القرون الوسطى ، واللقاء بين ثقافة يانعة براقة وثقافة ناشئة اجتذبها البريق الأخاذ ، وكان الإخصاب الذي أسفر عنه هذا اللقاء فذا رائعا لا ينضب معينه ، ولا ينقطع مدده . . ولولاه لتأخرت مسيرة المدنية عدة قرون ، ولما وصلنا إلى حضارة اليوم بكل شمولها وأبعادها وآثارها .

وقد تمت عملية الإخصاب هذه ـ في جانبها الفكري والعلمي ـ بصورة رئيسة عن طريق ترجمة العلوم العربية إلى اللاتينية : في صقلية وجنوب إيطاليا من ناحية ، وفي الأندلس ومدينة طليطلة من ناحية أخرى ، وكان المترجمون غالبا من المستعربين أو اليهود ، وأحيانا من العرب الذين لديهم معرفة واسعة ومباشرة بالعالم الإسلامى . أما صقلية التي افتتحها العرب على يد الأغالبة سنة ٨٢٧م وطالت أيامهم فيها إلى أن سقطت في أيدي النورمان عام ١٠٦٠م ، فقد شهدت تأسيس أول مدرسة للطب في عاصمتها بالرمو Palermo ، وأدخل العرب في الجزيزة صناعات وزراعات لم تكن معروفة لأهلها ، منها صناعة الورق التي

انتشرت منها إلى إيطاليا ، وصناعة المنسوجات الحريرية ، وأدخلوا أساليبهم الفنية في العمارة والصناعات الدقيقة .

وكان أوجين البالرمى Eugene de Palermo من أشهر المترجمين عن العربية ، وكان يعرف اليونانية والعربية واللاتينية ، وترجم إلى اللاتينية كتابي «المجسطي» و«أوبتيكا» (البصريات) لبطليموس ، كما ترجم كتاب «كليلة ودمنة» أو على الأقل ساعد في ترجمته .

وكان الشريف الإدريسي (ت ١١٦٦) من أشهر الجغرافيين العرب ، وقد لقب «باسترابون العرب» ، واقترن اسمه باسم ملك صقلية النورمندي روجر الثاني Roger II ، وصنف كتابه الشهير «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» عام ١١٤٥م وجمع فيه بين الجغرافيا الوصفية والجغرافيا الرياضية الفلكية ، وكانت درة عمله خريطة العالم التي نحتها على شكل كرة من الفضة قطرها متران ، ورسم فيها العالم ببره وبحره وجباله وسهوله وأنهاره وبحيراته ومدنه وممالكه ، وجعلها تقرب من وضعها العلمي الصحيح الذي هي عليه اليوم . وقد ترجم كتاب الإدريسي إلى اللاتينية وترجمت كل أمة ما يعنيها منه ، وتعلمت أوروبا منه علم الجغرافيا في القرون الوسطى واستمرت تنسخه لأكثر من ثلاثة قرون ، وجاء في دائرة المعارف الفرنسية : « إن كتاب الإدريسي هو أوفى كتاب جغرافي تركه لنا العرب ، وإن ما يحتويه من تحديد المسافات والوصف الدقيق يجعله أعظم وثيقة علمية جغرافية في القرون الوسطى» . ومن مؤلفات الإدريسي أيضا كتاب «الجامع لصفات أشتات النبات وضروب أنواع المفردات من الأشجار والثمار والحشائش والأزهار والحيوانات والمعادن وتفسير أسمائها باللاتينية والسريانية واليونانية والبربرية» .

وفي مجال الرياضيات والفلك تدلنا أعمال الراهب «جيربرت» Gerbert(ت١٠٠٣م) على أنه أول عالم كبير عمم ونشر الأرقام العربية والأسطرلاب في أوروبا . وقد أقام جيربرت في أسبانيا بين عامي٩٦٧و ٩٦٩م وعرف فيما بعد (٩٩٩م) باسم البابا سلفستر الثاني Syl-vester II وأظهرت مراسلاته أنه طلب من صديقه«لوبيتوس» Lupitus(أو ليوبيه Liobet) في برشلونة إرسال كتاب عن علم التنجيم Astrology(ربما كان مخصصاً في الأسطرلاب) ، ويعزى إلى جيربرت فضل استجلاب الأسطرلاب إلى العالم اللاتيني ، ثم شيوع استخدامه بفضل الراهب «ريشينو» Reichenau .

وقد اعتنى بوبنوف N.Bubnov بنشر المؤلف الذي وضعه جيربرت في الرياضيات وضمنه مسألة أصل الأرقام العربية وإجراء العمليات الحسابية وفقا لطريقة المعداد Abacus الذي أخذه عن العرب . وبصورة تدريجية أصبحت الأرقام تدون كما عند العرب فوق الرمال

أو فوق الغبار[١] . ويعتقد أن انتشار طريقة المعداد الحسابية في الغرب قد تم عن طريق الأندلس بواسطة المعاملات التجارية والرحلات والسفارات ، وأن ظهور الاسطرلاب في الغرب في نفس حقبة المعداد قد تم بنفس هذا النهج النقلي المباشر .

وعلى غرار ما حدث للرياضيات والفلك على يد جيربرت ، كانت بداية دخول الطب العربي إلى أوربا عن طريق مدرسة سالرنو Salerno التي يعزى تأسيسها إلى أربعة أساتذة كان كل منهم يعلم بلغته ، وهم ساليرنوس Salernus باللاتينية ، وبونتوس Pontosباليونانية ، وأديلا (ربما عادل أو عبد اللّه) Adelah بالعربية ، وهيلينوس Helinusبالعبرية .

وقد ظهر الراهب العربي قسطنطين الأفريقي(ت ١٠٨٧م) كرائد لفريق الترجمة في مدرسة سالرنو ، وكان تاجرا من قرطاجة ، ترك عمله وانصرف إلى الطب ، ثم تنصر وهرب إلى إيطاليا حاملا العديد من المخطوطات العربية التي عكف على ترجمتها إلى اللاتينية ، ولكن ترجماته جاءت صعبة وغامضة ، وفي أغلب الأحيان خاطئة رغم تصحيحات صديقيه الراهبين أتو ويوحنا الفاسي Atto & Johannes . وقد أورد مؤرخو الطب العربي قائمة بالكتب التي صنفها قسطنطين بلغت أربعة وعشرين كتابا ، وكان لايشير إلى أن أغلبها كان ترجمات عثرت البحوث الحديثة على أصولها العربية ، ومنها «الكتاب الملكي» أو «كامل الصناعة الطبية» الذي ترجم إلى اللاتينية تحت عنوان « Liber Regius» لعلي بن عباس المجوسي (ت٩٩٤م) ، وعرف باللاتينية باسم « Haly Filius Abbas» ، وهو الكتاب الذي ألف قسطنطين على منواله «كتاب الكليات» Liber Pantegni . ومن ترجمات قسطنطين أيضا كتاب « زاد المسافرين» «Viaticum Peregrinantis» لابن الجزار القيرواني ، وطب العيون لحنين بن إسحق ، وعدة رسائل لإسحق الإسرائيلي في البول والحميات والأدوية . وكانت

(١) الأرقام الغبارية «Ghubar» هي أرقام هندية الأصل هذبها العرب ، وسميت غبارية لأن الهنود كانوا ينثرون غبارا على لوح من الخشب ويرسمون عليه الأرقام 3,2,1 ....وقد انتشر استعمالها في بلاد المغرب العربي وأوروبا وعرفت باسم «الأرقام العربية» Arabic unmerals.

أما معداد جيربرت ذو الأعمدة (الخانات) فكان يعتمد في الحساب على ترتيب قطع صغيرة من قرون الحيوانات رقمت عليها الأعداد من ١ إلى ٩ بسبب مواقعها المتنوعة ضمن العامود الذي يحتويها .

راجع :

رينيه تاتون : تاريخ العلوم العام ، بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ١٩٨٨ .

زيجريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب . بيروت : دار الآفاق الجديدة ، ١٩٨١ .

-N.Bubnov, Gerberti opera mathematica, Berlin, 1899.

-E. Smith History of Mathematics, Boston, 1923 - 1925.

- G. Sarton, Introduction to the Historty of Science, 1929 - 1948.

معظم هذه الكتب التي ترجمها قسطنطين تدرس في مدرسة سالرنو وامتد تأثيرها إلى أوروبا بأكملها .

ومن صقلية وإيطاليا تدفق سيل الترجمة تدفقا متواصلا ، وظلت حركة الترجمة على أشدها حتى القرن السادس عشر الميلادي .

وأما أسبانيا فقد أصبحت المركز الثقافي المتميز الذى يأتيه مثقفو أوروبا كلها طلبًا للعلم من المصادر العربية ، وكان آديلار الباثي Adelard de Bath (١٠٩٠ ـ ١١٦٠م) من رواد هذه النهضة ، فقد ولد في «باث» (قرب بريستول) ثم انتقل وهو شاب صغير إلى فرنسا ، وسافر إلى صقلية وسيليسيا ، وأجرى قياسات فلكية في القدس عام ١١١٥م ، وزار دمشق وبغداد ومصر ، وأمضى في إنجلترا سنوات رشده ، وكتب « المسائل الطبيعية» حوالي سنة ١١١٦م ، وعرضها بشكل حوار فلسفي عالج مختلف المسائل البيولوجية بتدرج تصاعدي من النبات إلى النفس الإنسانية ، وبعدها تأتي المسائل المتعلقة بالطبيعيات ، وحاول من خلال ذلك أن يرسم بداية منهج علمي مؤكدا على أهمية البحث عن الأسباب الطبيعية ، فقد كتب يقول : «إذا كانت مشيئة الخالق تقضي بوجوب إنبات النبات من الأرض ، فإن هذه المشيئة ليست خالية من السبب» . وفي بعض الأحيان يعبر عن تشبعه بالعلوم العربية فيصرح بتعبير أقوى قائلا : « هل من أحد غيري تعلم على يد المعلمين العرب سلوك درب العقل . فعليك من جهتك أن لاتعميك غشاوة السلطة ، إذ لو فعلت فكأنك قد ربطت برسن (أي زمام على الأنف) ، وأي شيء يمكن أن توصف به السلطة غير وصف الرسن؟ إن تركت نفسك تخضع للسلطة تكن كالحيوانات التي لا تعرف لا إلى أين ولا إلام تُجَرّ» .

ومن أهم ترجمات آديلار الباثي كتاب الخوارزمي في الحساب بعنوان «الجمع والتفريق بحساب الهند» وقد ترجمه بعنوان Algoritmi de Nemero Indorum ، وهو أول كتاب من نوعه من حيث الترتيب والتبويب والمادة العلمية ، كما أنه أول كتاب دخل أوروبا وبقي المصدر المعتمد في البحوث الحسابية . وقد بقي علم الحساب لمدة قرون معروفا باسم «الغورثمي» نسبة إلى الخوارزمي . كذلك ترجم «زيج الخوارزمي» المعروف في أوروبا باسم TABLAS Astronomicas.

وقد أفصح آديلار الباثي من خلال ترجماته اللاتينية للنصوص العربية عن مدرسة المترجمين في طليطلة Collegio de tradutores Toledanus صاحبة الفضل في نقل العلوم الإغريقية ، وما أضافه العرب إليها من شروح وتعليقات إلى المدارس الأوروبية .

ولابد من التنويه هنا بفضل ريموندو Raimondo(ت ١١٥٢م) أسقف طليطلة وكبير مستشار ملوك قشتالة آنذاك ، فهو الذي شجع حركة الترجمة ونقل الكتب العربية إلى اللاتينية ، فكان فعله هذا حدثا حاسما ترك أبعد الأثر في مصير أوروبا ـ كما يقول رينان . ثم توالى خلفاؤه من الأساقفه في تشجيع هذه الحركة والحدب عليها .

ونذكر من كبار المترجمين الأسقف دومينكوس جونديسالفى Gundisalve (أو Gun-disalinus) المتوفى سنة ١١٨٠ ، وهو من كبار أساقفة كنيسة طليطلة ، وقد شاركه في الترجمة غالبا يوحنا بن داود Aben Daud المعروف بالإشبيلي أو الأسباني ، فنقلا بعض مؤلفات ابن سينا (النفس)و (الطبيعة) و (ما وراء الطبيعة) ، وبعض آثار الغزالي (مقاصد الفلاسفة) .

كما اشتهر في حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية جيرار الكريموني Gerard of Cremona (ت ١١٨٧م) ، ويذكر له جورج سارتون قائمة من سبعة وثمانين كتابا ترجمها عن العربية في الفلسفة والمنطق والرياضيات والفلك ، وفي الطبيعيات والميكانيكا (علم الحيل) مع شرح الكندي وثابت بن قرة وابن ماسويه وأبي بكر الرازي وأبي القاسم الزهراوي وابن سينا وغيرهم .

وهناك أيضا روبرت الشستر Robert of Chester الذي يؤثر عنه اهتمامه الكبير بمآثر الشرق في الرياضيات ، حيث ذهب إلى أسبانيا ودرس في برشلونة ، وكانت ترجمته لكتاب الخوارزمي «الجبر والمقابلة» أساساً لدراسة كبار العلماء فيما بعد أمثال ليونارد البيزى Le-onard of Pisa وكردان Cardan وتارتاجليا Tartaglia وفيرارى Ferrari وغيرهم من الذين بنيت على بحوثهم موضوعات الجبر العالي .

ونذكر من أمثلة الكتب العربية ذات التأثير الواضح في النهضة العلمية الأوروبية :ـ

كتاب «الزيج الصابي» للتباني ، الذي ترجمه أفلاطون التيفولى Plato of Tivoli في القرن الثاني عشر الميلادي بعنوان De Sciencia Sttellarum أي «علم النجوم» ، وكتاب «غاية الحكيم» للمجريطي الذي ترجم إلى اللاتينية في القرن الثالث عشر للميلاد بأمر الملك الفونس تحت عنوان Picatrix ، وكتابا الحاوي Continens والمنصوري Almansorem في الطب للرازي ، وكتب «القانون» و«الشفاء» و« النجاة» لابن سينا ، وكتاب « المناظر» لابن الهيثم ، وكتاب «التيسير» لابن زهر وكتاب «التصريف» Albucasis لأبي القاسم الزهراوي وكتاب «الكليات» Colliget لابن رشد ، وكتاب «الأقربازين» Liber fiducia sim-plicibus medicimis لابن الجزار وغيرها .

وعلى كل حال ، فقد نشطت حركة الترجمة والنقل في صقلية وإيطاليا وأسبانيا ، وتسابق الرجال من ذوي العقول النيرة إلى بالرمو وسالرنو وطليطلة لتعلم اللغة العربية ودراسة العلوم العربية . ولم يظهر في أوروبا آنذاك كتاب واحد تقريبا إلا وقت ارتوت صفحاته من الينابيع العربية وظهرت فيه بصمات الفكر العربي واضحة جلية ، سواء من حيث اللفظ والكلم ، أو من حيث المعنى والمضمون .

ترجمة العلوم العربية عمل ضخم لم يتم :

إن الحديث عن ترجمة العلوم العربية إلى اللاتينية لا ينبغي أن يغفل قضية بالغة الأهمية وهي إحياء التراث العربي وترجمته ، وهذا الموضوع مسرح عمل ضخم لم يتم ، حيث تقدر المخطوطات العربية في العالم بمئات الألوف ، ولم يحقق منها إلا النزر اليسير ، في الوقت الذي تشهد فيه ساحة الفكر العلمي منذ عدة عقود نشاطا منظما على مستوى العالم بهدف نشر الأعمال الكاملة لكبار العلماء ، على اعتبار أن هذا التراث مشترك إنساني وأن إحياءه مسئولية دولية تستوجب الرعاية والتعاون من جميع الدول . وقد حدث أن لجأت الهيئات المسئولة عن نشر الأعمال الكاملة للعالم الشهير «برنوللي» Bernoulli إلى تدعيم جهودها عن طريق الاكتتاب العام ، ويجري حاليا إعداد طبعة جديدة لهذه الأعمال من خلال التعاون بين عدة دول لتصدر تباعا في خمسة وأربعين مجلدًا .

كذلك أمكن إصدار مجموعة الأعمال الكاملة للعالم المتميز «أويلر» عن طريق الإستعانة بإمكانات ست دول ، بالرغم من أن قاعدة العمل كانت تقع جغرافيًا في سويسرا . وقد بدأت الولايات المتحدة الأمريكية في تبني هذا الإحياء أعمال العديد من علماء أوروبا أمثال جاليليو في إيطاليا ، ونيوتن في انجلترا ، وجاوس في المانيا ، وديكارت ولابلدس ولاجرانج في فرنسا ، وغيرهم ولاينبغي أن يدهش المرء لطول الوقت الذي يستغرقه إنتاج مثل هذه المشروعات الحضارية ، فقد استغرق إصدار أعمال أستاذ الرياضيات «كوش» أكثر من خمسين عامًا .

ومن أسف ألا يحظى التراث العلمي العربي بأي رعاية على خريطة الاهتمام العالمي بالقضايا التراثية ، ومن ثم فإن الدعوة إلى إحياء هذا التراث وترجمته تكتسب اليوم ذات الأهمية التي أوضحتها لنا تجربة الترجمة في عصر النهضة العلمية العربية والأوروبية ، وذلك من أجل صياغة أكثر دقة وموضوعية لنظرية العلم وتاريخه وفلسفته ، والعودة بالعلوم التخصصية الحديثة إلى جذورها في المجتمعات التي كانت شاهدا على ميلادها ، والتعرف على طبيعة الظروف التي سمحت للمفاهيم والأفكار الوليدة أن تنمو وتزدهر ، وتصبح بعد

ذلك فروعا في شجرة المعرفة ، وروافد لا غنى عنها لتغذية الحضارة الإنسانية ، ولقد أظهرت بحوث العلماء حديثا أهمية ماندعو إليه عندما كشفت عن المزيد من النظريات العلمية والاختراعات المتقدمة في كتب التراث العربي ، وأوضحت الحاجة إلى إعادة تأصيل فروع العلم المعاصر : البصريات والصوتيات والميكانيكا والشفرة والفلك والرياضيات والبيئة والمراعي والجيولوجيا والطب والصيدلة والوراثة وغيرها . هذا بالإضافة إلى ضرورة إعادة بحث الظاهرة العلمية وتحليلها في ضوء حقائق تاريخية لا يمكن إغفالها . فالشرق والغرب قد التقيا طوال التاريخ لقاءات حضارية عدة أثمرت في حصيلتها ما تنعم به البشرية اليوم ، وكانت الترجمة هي إحدى صور التفاعل المتبادل بين هذه اللقاءات الحضارية [1] .

---

(١) راجع :

- أحمد فؤاد باشا ، التراث العلمي للحضارة الاسلامية ومكانته في تاريخ العلم والحضارة القاهرة ١٩٨٣ .
- أحمد فؤاد باشا ، أساسيات العلوم المعاصرة في التراث الاسلامي ، دراسات تأصيلية ، دار الهداية ، القاهرة ١٩٩٧ .
- أحمد فؤاد باشا ، التراث العلمي الإسلامي شيء من الماضي أم زاد للآتي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ٢٠٠٢م .

J.H. Hayes (Editor), The Genius of Arab Civilization, Source of Renaissance, 2nd Edition, Lonon 1983.

- j. Dhombres, On the Tarck of Ideas and Explantions Down the Centuries: The History of Science Today, Impact of Science of Society, Unesco, No.159,1990.

- D. Speiser and P.Radelet -de Grave, Publishing Complete Works of Great Scientists : An International Undertaking, Impact of Science on Society, Unesco, No.160,1991.

مَنَاهِـج العُلَمَـاء المُسْلمين
في دراسة
العَقَـاقير والنَّباتَـات الطبـية

أ . د . كمال الدين حسن البتانوني*

بين أيدينا مئات من المصنفات التي كتبها العلماء عبر العصور الإسلامية ، والتي تهتم بالطب والصيدلة ، و بالأدوية المفردة والمركبة وبالأقربازين وغير ذلك . بالإضافة إلى مئات المخطوطات التي لم تحقق حتى الآن .

ولا شك أنه بانتشار الإسلام وانطلاق المسلمين الفاتحين شرقا وغربا ، واتساع رقعة العالم الإسلامي ، نشأ مناخ إسلامي ، كان من أعظم نتائجه العلمية ، تحصيل الثقافات و العلم أينما وجد ، وازدهرت الحياة العلمية ، بفضل حث الإسلام على العلم والتعلم ، ونقل المسلمون التراث الإغريقي في العقاقير والنباتات الطبية ، وكتب الطب التي ألفها الإغريق وغيرهم ، وتعدوا مرحلة النقل ، وطوروا ما نقلوه ، وبذلوا كل جهد في تحسينه وإنمائه ، وتصويب ما رأوه من أخطاء فيه ، وأضافوا إليه الكثير من المعارف التي بنيت على التجربة والملاحظة ، وأنتجوا تراثا إسلاميا في هذه الموضوعات وغيرها ، أفاد منه علماء النهضة الأوروبية أيما فائدة ، وقد جرت ترجمة العديد من المخطوطات ونشرها باللغات الأجنبية ، ومثلت أساسا لتعليم هذه الفنون في أوروبا لقرون عديدة (انظر صور أغلفة بعض المخطوطات المترجمة للاتينية ، شكل ١ إلى ٥) .

وعلى الرغم من أن النهضة العلمية الحديثة ، أضافت الكثير من المعارف والمكتشفات ، إلا أن ما حوته كتب العلماء المسلمين عن النباتات الطبية ، والعقاقير ، والأدوية المفردة والمركبة ، والأقربازين وعلوم الصيدلة الأخرى ، ظل يمثل أساسًا علميًا للمعرفة في هذه الموضوعات ، ويكوِّن حجر الزاوية في علوم الصيدلة ، ودارسو علم العقاقير في عصرنا الحديث ، ما زالوا يدرسون عن النباتات الطبية والعقاقير ، ما تمتد جذوره إلى ما في بطون مصنفات العلماء المسلمين .

ولقد اتبع العلماء المسلمون في دراستهم للنباتات الطبية والعقاقير ، منهجًا علميًا لم يسبقهم إليه غيرهم من الأمم ، ومن الخطأ الشائع ما يزعمه بعض المتغربين والمتشدقين

* أستاذ علم البيئة ـ كلية العلوم ـ جامعة القاهرة

بالحضارة الأوروبية ، من أن اتباع المنهج العلمي لم يبدأ في تاريخ الفكر الإنساني إلا بعد عصر النهضة في أوروبا . ودراسة مؤلفات العلماء المسلمين في النباتات الطبية والعقاقير ، وهو ما سموه الأدوية المفردة ، والأدوية المركبة ، تظهر حقيقة واضحة جلية ، تدحض هذه المزاعم ، حيث التحم المنهج العلمي الذي اتبعوه ، مع ما وجدوه من علوم ومعارف لدى من سبقهم من الأمم ، وأنتجوا تراثا علميا لم يُعرف من قبل . وسنضرب بعض الأمثلة من مؤلفات المسلمين في مجال العقاقير والأدوية المفردة والمركبة ، لنوضح المنهج العلمي الذي انتهجوه في كتاباتهم .

ومن الجدير بالذكر ، قبل أن نبدأ في التجوال بين بعض كتب التراث والتعرف على المنهج العلمي الذي اتبعه العلماء المسلمون في كتابة مصنفاتهم ، أن نقارن بعض المفاهيم والتعريفات التي وردت في مصنفاتهم ، بمفهومنا في ظل المعارف الحديثة . فتعريف الصيدلي والصيدلة ، والعقار والأقربازين ، أمر نرى ضرورته ، لتكرار هذه المسميات في حديثنا . والبيروني يعرِّف الصيدلي فيقول : «الصيدلي هو المحترف لجمع الأدوية ، على أحد صورها ، واختبار الأجود من أنواعها ، مفردة أو مركبة ، مع أفضل التراكيب التي خلدها مبرزو الطب» . والصيدلاني ، لغويا ، هو بائع العقاقير الطبية ، ومركِّب الأدوية ، وهو الصيدلان أيضا ، والمادة فارسية معرَّبة ، والجمع صيادلة . وبمقارنة هذا التعريف العربي ، ومفهوم البيروني ، بما ذكره علماء الصيدلة المحدثون ، نجد تشابها وتطابقا ، حيث تعرَّف الصيدلة الحديثة بأنها : «علم يبحث في أصول الأدوية سواء كانت نباتية أو حيوانية أو معدنية ، من حيث تركيبها وتحضيرها ، ومعرفة خواصها الكيميائية والطبيعية ، وتأثيرها الطبي ، وكيفية استحضار الأدوية المركبة منها»[١] .

وأصول الأدوية ، ما هي إلا العقاقير ، والمفرد عَقَار ، ولغة : هو الأصل النباتي ، الذي يتداوى به ، أو أصول النبات ، وأطلق على كل ما يتداوى به ، والأدوية منها المفرد والمركب ، من نبات أو غيره . والتعريف العلمي الحديث للعقار هو : أنه مادة تؤثر بحكم طبيعتها الكيميائية في بنية الكائن الحي أو في وظيفته .

وكان المسلمون يعرفون الأقربازين بالمعنى الذي جاء في الجزء الخامس من كتاب «القانون في الطب» لابن سينا ، وكان يقصد منها الأدوية المركبة ، وقد تطور مفهوم هذه الكلمة ، فأصبح يطلق على علم طبائع الأدوية ، وخصائصها ، ولا يخرج هذا المفهوم الجديد

(١) البتانوني ١٩٩٤ ـ ص ٦٠ .

على الوظيفة الأساسية للأقربازين عند المسلمين . وأقربازين أصلها يوناني ، ومعناها التركيب ، أي تركيب الأدوية المفردة وقوانينها ، ولا شك في أن المسلمين هم واضعو أسس فن الصيدلة ، وأول من اشتغل في تحضير الأدوية ، فضلا عما استنبطوه من الأدوية الجديدة ، وأنهم أول من ألف الأقربازين على الصورة التي وصلت إلينا ، وقد كانوا يعتمدون على الأقربازين في البيمارستانات ودكاكين الصيادلة ، بل إنهم أول من أنشأ حوانيت الصيدلة على هذه الصورة ، ومن أقرب الشواهد على سبقهم ، أسماء العقاقير التي أخذها الإفرنج عن اللغة العربية أو الفارسية أو الهندية التي عُرِّبت .

وقد ظلت مؤلفات علماء العرب والمسلمين في مجال الطب والصيدلة ، مرجعًا مهمًا للدارسين في أوروبا اللاتينية ، وتقول زيجريد هونكه : «قبل ٦٠٠ عام كان لكلية الطب الباريسية أصغر مكتبة في العالم ، لا تحتوي إلا على مؤلف واحد ، وهذا المؤلف كان لعربي كبير (أبو بكر الرازي) . وكان الأثر العظيم ذا قيمة كبيرة ، بدليل أن ملك النصرانية الشهير لويس الحادي عشر اضطر إلى دفع اثني عشر ماركا من الفضة ، ومائة تالر من الذهب الخالص لقاء استعارة هذا الكنز الغالي ، رغبة منه في أن ينسخ له أطباؤه نسخة يرجعون إليها إذا ما هدد مرض أو داء صحته أو صحة عائلته»[١] .

وفي جولتنا العلمية في حديقة التراث ، والحديث عن مناهج العلماء المسلمين في دراسة النباتات الطبية والعقاقير ، والتأليف في موضوعاتها ، سنكتفي بعرض ثلاثة مؤلفات ، تهتم بالأدوية المفردة والمركبة . وهي :

(١) القانون في الطب لابن سينا . (٢) الجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار . (٣) تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب لداود الأنطاكي .

القانون في الطب لابن سينا

(المتوفى ٤٢٨ هـ/١٠٣٦ م)

الكتاب الثاني وهو الأدوية المفردة

يقع كتاب (القانون في الطب) في خمسة كتب ، قسمها ابن سينا على النحو التالي : (الكتاب الأول) : في الأمور الكلية في علم الطب ، (الكتاب الثاني) : في الأدوية المفردة ، (الكتاب الثالث) : في الأمراض الجزئية الواقعة بأعضاء الإنسان عضوا عضوا من المفرق

---

(١) زيجريد هونكه ١٩٦٩ .

إلى القدم ، ظاهرها وباطنها ، (الكتاب الرابع) : في الأمراض الجزئية التي إذا وقعت لم تختص بعضو ، وفي الزينة ، (الكتاب الخامس) : في تركيب الأدوية وهو الأقربازين[١] .

وسنقتصر في عرضنا على الكتاب الثاني ، وهو المتعلق بالأدوية المفردة ، وقد قسمه ابن سينا إلى جملتين : الأولى منهما القوانين الطبيعية ، التي يجب أن تعرف عن أمر الأدوية المستعملة في الطب ، والثانية منهما في معرفة قوى الأدوية الجزئية .

وينبغي أن نقف إجلالا واحتراما للشيخ الرئيس ابن سينا ، فإنه قسم الجملة الأولى عن الأدوية المفردة إلى ست مقالات تعد أساسا علميا لأي دارس لعلم العقاقير والأقربازين ، ونوجز ما حوته المقالات الستة عن الأدوية المفردة فيما يأتي :

المقالة الأولى : في أمزجة الأدوية ، وفيها تحدث ابن سينا عن صفات الأدوية المفردة من حرارة ورطوبة ، وبرودة ويبس ، قياسا إلى بدن الإنسان ، وبيَّن أن صفات الأدوية المفردة ، تتغير بتركيبها مع أدوية أخرى ، وفرق بين المزج الذي ينتج عنه خليط من المادتين ، أو ينتج عنه مركب مختلف لتفاعلهما ، وبيَّن أن صفات كل منهما تختلف عن صفات العناصر الأصلية ، التي يتكون منها الخليط أو المركب .

أو ليست هذه أفضل بداية في تعرف الأدوية؟ إن هذا المنهج في الترتيب ، وهو التعرف على الشيء قبل تعرف ما ينتج عنه ، يعد دليلا على حسن الترتيب والتبويب ، والعرض المنطقي المتسلسل .

المقالة الثانية : في تعرف قوى أمزجة الأدوية بالتجربة ، حيث يقول : «إن التجربة تهدي إلى معرفة قوة الدواء بعد مراعاة شرائط» . ويتضح لنا من هذه العبارة مدى إدراك ابن سينا لأهمية المنهج التجريبي . فالملاحظة التي حصل عليها من تعرفه أمزجة الدواء ، يتبعها ابن سينا بالتجربة ، لتعرف قوى هذا الدواء . بل إن ابن سينا يضع شرائط للتجربة كالآتي :

١- أن يكون الدواء خاليا عن كيفية مكتسبة ، بالتسخين أو التبريد ، أو ما شابه ذلك .

٢- أن يكون المُجَرَّب عليه علة مفردة .

٣- أن يكون الدواء قد جُرِّب على المُضَادَّة ، فقد ينفع الدواء من مرضين ، وبذلك يكون نفعه من أحدهما بالذات ومن الآخر بالعَرَض ، أي نتج عن أثر له شيء آخر .

(١) ابن سينا ، ص ٣ .

٤- أن تكون القوة في الدواء مقابلا بها ما يساويها من قوة العلة . ويجب أن يجرب أولاً على الأضعف ، ويتدرج يسيرا يسيرا حتى تعلم قوة الدواء .

٥- أن يراعي الزمان الذي يظهر فيه أثره وفعله ، فإن ظهر فعله أول استعماله أقنع أنه يفعل ذلك ، وإن تأخر ، أو ظهر له فعل مضاد عند أول استعماله ، فهو موضع اشتباه .

٦- أن يراعى استمرار فعله على الدوام ، وعلى الأكثر ، فإن لم يكن كذلك ، فصدور الفعل عنه بالعَرَض .

٧- أن تكون التجربة على بدن الإنسان .

وما وضعه ابن سينا من شرائط في تجربته لتعرف قوى الأدوية وأثرها ، نتحدى به أكبر العلماء في وقتنا الراهن ، أن يزيد عليه ، أو ينقص منه . إن هذا المنهج التجريبي ، والأصول التي اتبعها في ذلك ، لا مرية في صحتها وسبقها .

المقالة الثالثة : في تعرف أمزجة الأدوية المفردة بالقياس . وخلاصة ما ذكره ابن سينا ، أنه ينظر فيما ثبت نفعه بشيء ، ويعرف طعمه وريحه ولونه وسائر أعراضه اللازمة ، ويلحق به كل ما شاكله في ذلك ، أي يكتسب بهذه الطريقة دلائل واضحة على قوى مجهولة . فبعد وصوله إلى أحكام عامة بوساطة الاستقراء ، فإنه يستنبط بالقياس النتائج التي تؤدي إليها .

المقالة الرابعة : في تعرف أفعال قوى الأدوية المفردة ، وقد سرد ابن سينا سبعة وأربعين مسمى لأفعال الأدوية ، نعتقد أنه لم يترك شيئا من أفعال الأدوية إلا ذكرها وشرحها . وقسم الأفعال إلى ستة أقسام كالآتي :

١- المسَخن ، الملَطِّف ، المحَلل ، المخَشِّن ، المفَتح ، المُرْخي ، المُنْضج ، الجاذب ، المقَطع ، الهاضم ، كاسر الرياح ، المحَمر ، المحَكِّك ، المقرِّح ، الأكَّال ، المحَرِّق ، اللاذع ، المفَتت ، المعَفن ، الكاوي ، المقَشِّر .

٢- المبرِّد ، المقَوي ، الرادع ، المغلِّظ ، المفَجِّج ، المخَدِّر .

٣- المرطب ، المنفِّخ ، الغَسَّال ، الموسخ للقروح ، المزلق ، الملمس .

٤- المجفف ، العاصر ، القابض ، المسدد ، المُفْري ، المدَمِّل ، المنْبت للحم ، الخاتم .

٥- قاتل السم ، التِّرياق ، البادزهر* .

٦- المُسْهِل ، المُدِر ، المُعَرِق .

وقد عرف فعل هذه الأنواع ، وضرب أمثلة لكثير منها ، وبين المتضادين في الفعل ، وإنا نرى أنه يمكن لعلماء الطب والصيدلة العرب أن يفيدوا من هذه المسميات ، في تعريب ما يستعصي عليهم من مصطلحات في هذا المجال . ونؤكد أنها ترجمت من العربية إلى لغات أخرى ، عبر الترجمات العديدة التي جرت لكتاب القانون ، واستعمل الأوروبيون هذه المصطلحات بلغاتهم بعد ترجمتها عن العربية ، أفلا يجدر بنا أن نتعرف على هذه المصطلحات في لغتنا؟

المقالة الخامسة : في أحكام تعرض للأدوية من خارج . وفيها بيَّن ما تتعرض له الأدوية بالصناعة ، مثل الطبخ ، والسحق ، والإحراق بالنار ، والغسل ، والإجماد في البرد ، والوضع إلى جوار أدوية أخرى ، ووضع أثر هذه العمليات في قوة الدواء وفاعليته . ولا شك أن هذه الأمور لا يتعرض لها أو يهتم بها إلا خبير مجرب . وأنها تدل على معرفة دقيقة بأمور العقاقير المفردة والمركبة . وهي موضع دراسات في كليات الصيدلة .

المقالة السادسة : في التقاط الأدوية وادخارها ، ويذكر فيها الأدوية المعدنية والحيوانية والنباتية ، وعن الأخيرة يقول : «أما النباتية ، فمنها أوراق ، ومنها بذور ، ومنها أصول وقضبان ، ومنها زهر ، ومنها ثمار ، ومنها جملة النبات كما هو» (١) . والجدير بالذكر أن بعض كتب العقاقير التي تدرس في العصر الحديث ، في كليات الصيدلة ، قد قسمت أبوابها وفصولها حسب العضو المستعمل في الدواء ، وهذا يطابق ما قدمه ابن سينا عن الأدوية النباتية .

وقد وضع ابن سينا معايير لجمع النباتات الطبية أو أجزائها أهمها وقت جمع النبات وموسمه ، وتؤكد الدراسات الحديثة على هذا المعيار ، فقد أثبتت التجارب أن المواد الفعالة في عضو ما بجسم النبات ، تتأثر كميتها بالوقت والموسم الذي تُجمع فيه ، فقد تقل أو تكاد تختفي بعض المواد الفعالة في نبات اللحلاح (خميرة العرب ، العُكْنة) Colchicum autumnale ، أو بصل العنصل (بصل فرعون- الإشْقيل) Urginea maritima على سبيل المثال لا الحصر ، إذا ما جمع النبات في موسم غير فصل الخريف .

---

* كالترياق ولكنه من المعدنيات ، وابن سينا يقول ألا فرق بينهما كثير .

(١) ص ٢٣٨ .

وبيَّن ابن سينا شرائط لجمع الأجزاء المختلفة من النبات ، وهذا يتفق تماما مع شرائط جمعها في ضوء المعارف العلمية الحديثة ، حتى تحتوي على أكبر قدر من المادة الفعالة ، ونوجز ما أورده ابن سينا في هذا الصدد . إذ يقول : «والأوراق يجب أن تجتنى بعد تمام أخذها من الحجم الذي لها ، وبقائها على هيئتها ، قبل أن يتغير لونها وينكسر ، فضلا عن أن تسقط وتنتثر ، وأما البذور ، فيجب أن تلتقط بعد أن يستحكم جرمها ، وتنفش عنها الفجاجة المائية . وأما الأصول ، فيجب أن تؤخذ كما تريد قبل أن تسقط الأوراق ، وأما القضبان ، فيجب أن تجتنى وقد أدركت ، ولم تأخذ في الذبول والتشنج . وأما الزهر ، فيجب أن يجتنى بعد التفتيح التام ، وقبل التَّذَبل والسقوط . وأما الثمار ، فيجب أن تجتنى بعد تمام إدراكها ، وقبل استعدادها للسقوط . وأما المأخوذ بجملته فيجب أن يؤخذ على غضاضته عند إدراك بذره ، وكلما كانت الأصول أقل تشنجا ، والقضبان أقل تذبلا ، والبذور أسمن ، وأكثر امتلاء ، والفواكه أشد اكتنازا وأرزن ، فهو أجود»[1] .

ويؤكد ابن سينا حقيقة علمية ، أثبتتها الدراسات الحديثة ، فيقول عن النباتات الطبية والبرية : «كلها أقوى من البستانية ، وأصغر حجما في الأكثر» . وقد أثبتت نتائج البحوث الحديثة أن نباتا مثل السكران Hyoscyamus muticus تنقص فيه كمية القلوانيات Al-kaloids ، وهي المواد الفعالة التي يحتوى عليها ، عند زراعته وريِّه ، بينما تحوي النباتات البرية منه ، التي تعيش في بعض صحارى الوطن العربي ، كمية كبيرة من هذه القلوانيات . وقد سجلت البحوث ملاحظات مماثلة على غيره من أنواع النباتات الطبية البرية ، كما أوضحت الدراسات الحديثة أن النبات البري ، الذي يتعرض غالبا لنقص في بعض احتياجاته من بيئته ، ينمو بمعدل أكبر عند استزراعه ، وقد يشذ عن ذلك بعض الأنواع النباتية . لذا نلمس الدقة في تعبير ابن سينا ، حيث يقول في نهاية جملته : «في الأكثر» . إنها تعبيرات علمية دقيقة ، لم تُلق على عواهِنها أو علاتها ، إنما صدرت بعد استقراء تضمن الملاحظة والتجريب . وإنه لحَرِيٌّ بعلماء الصيدلة وكيمياء النبات في عصرنا الحديث ، خاصة المهتمين بالتراث العلمي الإسلامي ، أن يربطوا بين نتائج دراساتهم ، وبين ما توصل إليه العلماء المسلمون في هذا المجال ، على الأقل ، مثلما يشيرون بكل اعتزاز إلى اتفاق نتائجهم مع نتائج علماء الغرب .

---

(١) ص ٢٣٨ .

ومما يدعو إلى الإكبار والتقدير ، أن ابن سينا في عرضه لمفردات النباتات الطبية والعقاقير ، اتبع منهجا علميا لا يُبارى ، من حيث ما أورده مقابل كل عقار ، وقد اتبع في ترتيب الأدوية المفردة ، ترتيب حروف أبجد هوز . . . .الخ . ويقول : «إني أذكر في هذا القسم أسماء الأدوية على ترتيب حروف الجمل ، ليسهل على المشتغل بهذه الصناعة التقاط منافع الأدوية كلٍّ فيما يختص بعضو عضو . . .» ولو أن هذا الترتيب لم يتبعه كثير من اللاحقين ، بل رتبوا مصنفاتهم حسب حروف المعجم .

وابن سينا في عرضه لما يزيد عن ثمانمائة دواء مفرد ، يوضح مقابل معظمها ، خصائص ذوات أهمية في التعرف على الدواء وفعله في الأعضاء المختلفة من بدن الإنسان ، وأوردها في كتابه على النحو الآتي :

١- أسماء الأدوية المفردة وتعريف ماهيتها .

٢- اختيار الجيد منها .

٣- كيفياتها وطبائعها .

٤- خواص أحوالها وأفعالها الكلية ، مثل التحليل والإنضاج والتَّغْرِية والتخدير وغير ذلك من الأفعال .

٥- أفعالها التي تتعلق بالزينة في الجلد والشعر ، أو أية أعضاء أخرى .

٦- أفعالها في الأورام والبثور .

٧- أفعالها في القروح والجراحات والكسور .

٨- أفعالها في أمراض المفاصل والأعصاب .

٩- أفعالها في أمراض أعضاء الرأس .

١٠- أفعالها في أمراض أعضاء العين .

١١- أفعالها في أمراض أعضاء النفس والصدر .

١٢- أفعالها في أمراض أعضاء الغذاء .

١٣- أفعالها في أمراض أعضاء النفض .

١٤- الحميات .

١٥- نسبة الأدوية للسموم .

١٦- في إبدالها حيث لا يوجد المقصود من الأدوية .

ونعتقد أنه لو قُيِّض لشخص أن يسجل كل ما أورده ابن سينا ، في ضوء المعارف الحديثة ، مقابل العقاقير المعروفة ، لكان موسوعة تحتاج مئات السنين في تصنيفها . ولذلك فلا غرابة أن يظل كتاب «القانون في الطب» المرجع الرئيس لطلاب الطب في أوروبا عبر عدة قرون (انظر الأشكال من ١ إلى ٣ التي تمثل غلاف ترجمات لاتينية لكتاب القانون لابن سينا) .

كتاب الجامع لمفرادت الأدوية والأغذية
لابن البيطار
(المتوفى في دمشق في ٦٤٦هـ/١٢٤٨ م)

ويعد هذا الكتاب من أغزر كتب المفردات مادة ، لأنه جمع المعروف منها منذ أقدم عصور التأليف فيها عند اليونانيين ، إلى أن تعاورها المسلمون في العصر العباسي ترجمة ، ثم تجربة ، ثم تحقيقا وتأليفا . وقد وصف ابن البيطار في هذا الكتاب ما ينوف عن ١٤٠٠ عقار ، منها ثلاثمائة عقار لم يرد ذكرها في المؤلفات الأخرى . وقد سافر ابن البيطار إلى أنحاء كثيرة من المعمورة للحصول على نباتات جديدة ، ولتحقيق النباتات التي كتب عنها الأولون . وهو بأسفاره تلك عالم طبيعي ميداني ، يدرس الأشياء عن كثب في أماكنها الطبيعية ، ويتحقق منها بنفسه . ولا شك أن هذا العمل العلمي أضاف الكثير ، وحفظ الكثير كذلك . وقد طبع الكتاب أكثر من مرة باللغة العربية (بولاق سنة ١٢٩١هـ) . كما طبعت أجزاء منه بترجمتها اللاتينية عام ١٧٥٨م بمدينة قرمونة . كما ترجمت أجزاء منه إلى لغات أخرى ، مثل الفرنسية والألمانية .

ولقد سار ابن البيطار على نمط في البحث يشبه الطريقة العلمية الحديثة ، أو المنهج التجريبي ، ونبين أهم ما نهج عليه ابن البيطار في مؤلفه على النحو الآتي :

١- يتحدث ابن البيطار فيقول : «قد استوعبت القول في الأدوية المفردة والأغذية المستعملة على الدوام والاستمرار ، عند الاحتياج إليها في ليل أو نهار . واستوعبت فيه جميع ما في المقالات الخمسة من كتاب الأفضل ديوسقوريدس بنصِّه ، وكذلك فعلت أيضا بجميع ما أورده الفاضل جالينوس في المقالات الستة من مفرداته بنصِّه ، ثم ألحقت بقولهما أقوال المحدثين في الأدوية النباتية والحيوانية ما لم يذكراه . ووصفت فيها عن ثقات المحدثين ما لم يَصِفاه ، وأسندت في جميع تلك الأقوال قائليها ، وعرَّفت طرق النقل فيها بذكر ناقليها ، واختصصت بما تم لي به من الاستعداد ، وصح لي القول فيه ، ووضح عند الاعتماد عليه» .

إن ما اختطه ابن البيطار في كتابه يؤكد أن اسم هذا الكتاب «الجامع» اسم في محله ، فإننا نقرأ فيه ما كتبه اليونانيون منذ عهد ديوسقوريدس ، وما كتبه بعده جالينوس الطبيب ، ثم نجد تجارب الهنود والمصريين القدماء ، إلى جانب ما أضافه وحققه الأطباء المسلمون ، كالرازي وابن سينا من المشارقة ، وكابن جلجل ، وابن وافد ، والغافقي من الأندلسيين . وهكذا يؤكد ابن البيطار على الأمانة في النقل ، والاستيعاب الواعي الذكي لما اطلع عليه ، والإضافة والنقد والتحليل .

٢- الاعتماد على التجربة . فعلاوة على توخّيه صحة النقل فيما ذكره عن المتقدمين ، وأحرزه من المتأخرين فإنه يقول : «فما صح عندي بالمشاهدة والنظر ، وثبت لدي بالخبرة لا الخبر ادخرته كنزا سريا ، وعددت نفسي عن الاستعانة بغيري فيه سوى الله غنيا ، وما كان مخالفا في القوى والكيفية والمشاهدة الحسية ، في المنفعة والماهية ، وللصواب والتحقيق ، أو أن ناقله أو قائله عدلا فيه عن سواء الطريق ، نبذته ظهريا وهجرته مليا ، وقلت لناقله أو قائله : لقد جئت شيئا فَرِيًا ، ولم أحابِ في ذلك قديما لسبقه ، ولا محدثا اعتمد غيري على صدقه» .

مما لا شك فيه أن ابن البيطار قد نقل عن غيره ، لكنه لم يكن نقل الناسخين ، وإنما استشهاد العالم الخبير المدقق ، غير المستسلم لأقوال غيره دون ثبات لديه بالخبرة لا الخبر . وإنه لمنهج علمي ، قلَّ من يتبعه في أيامنا هذه .

٣- تحاشى التكرار ، حيث يقول : «ترك التكرار حسب الإمكان ، إلا فيما تمس الحاجة إليه في معنى أو بيان» .

٤- حسن الترتيب والتبويب في كتابه ، فيقول عنه : «وتقريب مأخذه بحسب ترتيبه على حروف المعجم مقفى ، ليسهل على الطالب ما طلب ، في غير مشقة ولا عناء ولا تعب» .

٥- التأكيد على مبدأ التحقيق العلمي ، فكثيرا ما يتعقب المترجمين لكتاب ديوسقوريدس في تسمية النباتات وأوصافها ، ويصحح أخطاءهم في وصفها واستعمالها ، ومقادير ما يؤخذ منها في العلاج ، وما يبدل منها إذا عدمت . ويقول في ذلك : «التنبيه على كل دواء وقع فيه وهم أو غلط لمتقدم أو متأخر ، لاعتماد أكثرهم على الصحف والنقل ، واعتمادي على التجربة والمشاهدة ، حسب ما ذكرت من قبل» . ولذلك رحل إلى دول شمال أفريقيا وشرق البحر الأبيض المتوسط وبلاد

اليونان والروم . وساعده ذلك في التعرف علي كثير من الحقائق ، لذلك نرى في كتابه كثيرا من المآخذ والاستدراكات ، استدركها على المترجمين ، وعلى من تبعهم من المؤلفين .

٦- تسجيل أسماء الأدوية بلغات عديدة ، وضبط هذه الأسماء ،حيث يقول : «أسماء الأدوية بسائر اللغات المتباينة في السمات ، مع أني لا أذكر فيه ترجمة دواء- إلا وفيه منفعة مذكورة ، أو تجربة مشهورة - وذكرت كثيرا مما يعرف في الأماكن التي تنبت فيها الأدوية المسطورة ، كالألفاظ البربرية واللاتينية ، وهي أعجمية الأندلس ، إذا كانت مشهورة عندنا ، وجاء بها في معظم كتبنا ، وقيَّدتُ ما يجب تقييدهُ منها بالضبط والشكل والنقاط ، تقييدا يؤمن معه التصحيف ، ويسلم قارئه من التبديل والتحريف إذ كان أكثر الوهم والغلط الداخل على الناظرين في الصحف ، إنما هو من تصحيفهم لما يقرءونه ، أو سهو الوراقين فيما يكتبونه ، وسميته الجامع ، لكونه جمع بين الدواء والغذاء ، واحتوى على الغرض المقصود مع الإيجاز والاستقصاء» .

ولا جدال في أن ما اتبعه ابن البيطار في دراسته للنباتات الطبية والعقاقير والكتابة فيها يساير أحدث المناهج العلمية من أمانة النقل ، وتحقيق لما ينقل ، ومشاهدة ونظر واختبار ، ونقد وتحليل ، لما جاء به من سبقوه سواء النقلة أو المؤلفون الأصليون .

وربما يؤخذ على ابن البيطار ، أنه لم يجمع أقوال من سبقوه ، كلٌ في موضع واحد ، وفي الحديث عن المادة الطبية الواحدة ، فينقل رأيا لجالينوس عن مادة ، وينتقل إلى ما قاله ديوسقوريدس عنها ، ثم يعود مرة أخرى إلى رأي لجالينوس . ومع ذلك فإن هذا المأخذ لا يقلل من قيمة كتابه «الجامع» .

تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب
لداود بن عمر الأنطاكي
(المتوفى ١٠٠٨ هـ/١٥٩٩م)

«التذكرة» كتاب علمي قيِّم ، حوى العديد من المعارف والمعلومات عن كثير من النباتات الطبية والعقاقير ، جمع فيه صاحبه ، على الرغم من أنه كان ضريرا ، خلاصة ما وصلت إليه المعارف والعلم حتى سنة ٩٧٦هـ كما ذكر في مقدمة كتابه . وما زالت «التذكرة» تمثل المرجع لكثير من العشابين والعطارين في معظم المدن العربية ، ولعله أشهر كتاب في هذا المجال . وعلى الرغم من انتشار الصيدليات ، وما بها من أدوية وعقاقير

حديثة ، إلا أن حوانيت العطارة ما زالت صامدة ، يطرقها الكثيرون طلبا للتداوي بما يصفه العطارون ، وبما يقدمونه من عقاقير ، يستعينون في تجهيزها وتركيبها بما ورد في كتب مثل «التذكرة» .

يقول الأنطاكي عن كتابه : ورتبته حسبما تخيَّلته الواهمة على مقدمة ، وأربعة أبواب ، وخاتمة .

أما المقدمة : ففي تعداد العلوم المذكورة في هذا الكتاب ، وحال الطب معها ، ومكانته ، وما ينبغي له ولمتعاطيه ، وما يتعلق بذلك من الفوائد .

والباب الأول : في كليات هذا العلم والمدخل إليه .

والباب الثاني : في قوانين الإفراد والتركيب ، وأعماله العامة ، وما ينبغي أن يكون عليه من الخدمة ، في نحو السحق والقلي والغسل ، والجمع والإفراد ، والمراتب ، والدرج ، وأوصاف المقطع والملين والمفتح ، إلى غير ذلك .

والباب الثالث : في المفردات والمركبات وما تعلق بها من اسم وماهية ومرتبة ونفع وضرر وقدر وبدل وإصلاح ، مرتبا على حروف المعجم .

والباب الرابع : في الأمراض وما يخصها من العلاج وبسط العلوم المذكورة وما يخص العلم من النفع ، وما يناسبه من الأمزجة ، وما له من الدخل في العلاج .

والخاتمة : في نكت وغرائب ولطائف وعجائب .

ونظرة سريعة أو متفحصة إلى هيكل كتاب التذكرة تعطي فكرة واضحة عن التسلسل المنطقي في عرض موضوع معقد ومتشعب ، مثل موضوع كتاب «التذكرة» . إن التتابع المنطقي في تبويب الكتاب ، على الرغم من تأليفه في زمان يسبق زماننا بأكثر من أربعة قرون ، ليدل دلالة قاطعة على قدرة المؤلف وصفاء ذهنه .

والمنهج العلمي الذي اتبعه الأنطاكي في كتابه ، يدعو للتقدير والاحترام ، فهو يقرر في أمانة علمية ، ما لجأ إليه من مصادر لتذكرته ، فيقول : «نحن كالمقتبسين من تلك المصابيح ذُبالة ، والمغترفين من تلك البحور بُلالة» .

ومنهج العرض التاريخي لمن ألف وكتب في موضوع أي كتاب من قبل يظهر في مقدمة الأنطاكي لكتابه ، وما زال العلماء حتى الآن - وسيظلون على ذلك- يبدأون دراساتهم بالعرض التاريخي لدراسة موضوع بحثهم . ونحن هنا نسجل ما ذكره الأنطاكي في

هذا الصدد ، للتأكيد على ما ذكرناه من منهج ، وللإفادة من هذا المسرد التاريخي . يقول الأنطاكي : «وأول من ألف شمل هذا النمط ، وبسط للناس فيه ما انبسط ، ديوسقوريدس اليوناني في كتابه الموسوم بالمقالات في الحشائش ، ولكنه لم يذكر إلا الأقل ، حتى إنه أغفل ما كثر تداوله ، وامتلأ الكون بوجوده ، كالكمون والسقمونيا والغاريقون ، ثم روفس ، فكان كلامه قريبا من كلام الأول ، ثم فولس ، فاقتصر على ما يقع في الأكحال خاصة ، على أنه أخل بمعظمها ، كاللؤلؤ والإثمد ، ثم أندرماخس الأصغر ، فذكر مفردات الترياق الكبير فقط ، ثم رأس البغل الملقب بجالينوس ، وهو غير الطبيب المشهور ، فجمع كثيرا من المفردات ، ولكنه لم يذكر إلا المنافع خاصة دون باقي الأحوال ، ولم أعلم من الروم مؤلِّفا غير هؤلاء ، ثم انتقلت الصناعة إلى أيدي النصارى ، فأول من هذب المفردات اليونانية ، ونقلها إلى اللسان السرياني دويدرس البابلي ، ولم يزد على ما ذكره شيئا ، حتى جاء الفاضل المعرب ، والكامل المجرب ، إسحاق بن حنين النيسابوري ، فعرَّب اليونانيات والسريانيات ، وأضاف إليها مصطلح الأقباط ، لأنه أخذ العلم عن حكماء مصر وأنطاكية ، واستخرج مضار الأدوية ومصالحها ، ثم تلاه ولده حنين ، ففصل الأغذية من الأدوية فقط ، ولم أعلم من النصارى من أفراد هذا الفن غير هؤلاء ، وأما النجاشعة فلهم كثير من الكُنَّاشات ، ثم انتقلت الصناعة إلى الإسلام . وأول واضع فيها الكتب من هذا القسم ، الإمام محمد بن زكريا الرازي ، ثم مولانا الفرد الأكمل ، والمتبحر الأفضل الأمثل ، الحسين عبد الله بن سينا ، رئيس الحكماء ، فضلا عن الأطباء ، فوضع الكتاب الثاني من القانون ، وهو أول من مهد لكل مفرد سبعة أشياء ، وأخلَّ بالأغلب ، إما لاشتغال باله ، أو لعدم مساعدة الزمان له ، ثم ترادف المصنفون على اختلاف أحوالهم ، فوضعوا في هذا الفن كتبا كثيرة ، من أجلِّها مفردات ابن الأشعث ، وأبي حنيفة والشريف ابن الجزار ، والصائغ ، وجرجس بن يوحنا ، وأمين الدولة وابن التلميذ ، وابن البيطار ، وصاحب ما لا يسع جهله ، وأجل هذه الكتب ، الكتاب الموسوم بمنهاج البيان ، صناعة الطبيب الفاضل يحيى بن جزلة رحمه الله تعالى ، فقد جمع المهم من قسمي الإفراد والتركيب ، في ألطف قالب وأحسن ترتيب . وأظن أن آخر من وضع في هذا الفن الحاذق الفاضل محمد ابن علي الصوري» .

إن هذا التأريخ للكتابة في الأدوية المفردة والمركبة ، استوعب جُلَّ ما كُتب ، على الرغم من إيجازه ، بل إن الأنطاكي وجه النقد لبعض المؤلفين بأسلوب بسيط ، خلال عرضه لهذا التاريخ الحافل ، وبعد عرضه هذا ، يوضح الأنطاكي بعض المثالب ، وينتقد النقص في بعض هذه الكتب ، منتهجا منهجا علميا في النقد الذي يعتمد على المعرفة والتجريب ،

فيقول : «وكلٌّ من هؤلاء-يقصد من ألف في المفردات والمركبات الدوائية- لم يَخْلُ كتابه ، مع ما فيه من الفوائد ، عن إخلال بالجليل من المقاصد ، إما ببدل أو إصلاح ، أو تقدير ، أو إطلاق للمنفعة وشرطها التقييد . . .» وضرب العديد من الأمثلة للأخطاء التي وقع فيها مَنْ سبقه من المؤلفين . وهذا يوضح لنا منهج التحقيق العلمي فيما ينقله الأنطاكي عن السابقين . وعلى هذا المنهج العلمي السليم ، يمضي الأنطاكي في وصفه للعقاقير والنباتات الطبية ، مؤكدا : «إنا ننتخب لُبَّ كتب تزيد على مائة خصوصا من القرابازينات ، يعني التراكيب ، والكُنَّاشات . . .» .

وعلى الرغم من تباعد زماننا عن زمان الأنطاكي ، مع تطور العلوم ووسائل البحث العلمي ، فإن الأنطاكي وضع قوانين لوصف العقاقير والأدوية ، تمثل الدقة المتناهية في المعرفة بهذه العقاقير ، وتفهم أصول العمل بها ، والاستفادة منها وتوضح المنهج العلمي في هذا المجال . فيقول الأنطاكي عن المفردات الطبية : «اعلم أن كل واحد من هذه المفردات يفتقر إلى قوانين عشرة» .

وهذه البيانات العشرة التى ينبغي أن تذكر مع كل مفرد من المفردات الطبية هي :

١ - ذكر أسمائه بالألسن المختلفة ليعمَّ نفعه .

٢ - ذكر ماهيته من لون ، ورائحة ، وطعم ، وتَكَرُّج ، وخشونة ، وملامسة ، وطول وقصر .

٣ - ذكر جيِّده و رديئه ليؤخذ أو يُجتنب .

٤ - ذكر درجته في الكيفيات الأربعة ، ليتبين الدخول به في التراكيب .

٥ - ذكر منافعه في سائر أعضاء البدن .

٦ - كيفية التصرف به مفردا ، أو مع غيره ، مغسولا أو لا ، مسحوقًا في الغاية أو لا ، إلى غير ذلك .

٧ - ذكر مضاره .

٨ - ذكر ما يصلحه .

٩ - ذكر المقدار المأخوذ منه منفردا أو مركبا ، مطبوخا أو منشفا . بجرمه أو بعصارته ، أوراقا أو أصولا ، إلى غير ذلك من أجزاء النباتات التسعة .

١٠ -ذكر ما يقوم مقامه إذا فقد .

وأضاف الأنطاكي أن بعضهم زاد أمرين آخرين : الأول الزمان الذي يقطع فيه الدواء ويدخر ، والثاني من أين يجلب الدواء .

وباستعراضنا لهذه القوانين للكتابة عن المفردات الطبية ، فإنه مما لا شك فيه أن أي كتاب عن النباتات الطبية يلتزم مؤلفه بهذه القواعد ، سيكون موسوعة علمية ، تفوق قدرة أي عالم واحد على استيعابها . وعلى الرغم من غياب الإمكانيات المتاحة في عصر الأنطاكي ، فإنه تمكن بمفرده من إعداد هذا الكتاب القيم . وقد طبع هذا الكتاب في القاهرة تسع مرات على الأقل من سنة ١٢٥٤ حتى سنة ١٣٢٤هـ .

نظرة علمية في مثال من النباتات الطبية ورد ذكره في المصنفات الثلاثة

واستكمالا لجولتنا العلمية في كتب التراث الثلاثة التي تناولناها ، اخترنا مفردا من المفردات الدوائية التي ورد ذكرها في الكتب الثلاثة ، وهو نبات الكَبَار .Capparis spinosa وهو نبات له أسماء عديدة نذكر منها : (كَبَر) : كَبَار- قَبَّار- أَصَف- لَصَف- شَفَلَّح (قد تطلق المسميات الثلاثة الأخيرة على الثمرة) .

والكبار نبات ينمو في صحاري الوطن العربي ، وبلدان البحر الأبيض المتوسط ، في جنوب أوروبا وشمال أفريقيا . وينمو في الأراضي الصخرية في المناطق الجبلية . وتستعمل براعم أزهاره ، وأزهاره و أوراقه وقلف جذوره في التداوي من بعض الأمراض ، كما تملَّح وتخلَّل براعم أزهاره وأزهاره .وتستعمل براعم أزهاره المخللة في تتبيل البيتزا . وسنعرض ما ذكره المصنفون الثلاثة في كتبهم التي ذكرناها . وطعم النبات حريف ، وله طعم المستردة لما يحويه من مواد كبريتية .

ماذكره ابن سينا

(كَبَر)

(الماهية) هو ثمر وله أصل ثمرة أخرى كالقثاء غير الكبر وهي حريفة حارة يجعل في العصير فيحفظه من الغليان كالخردل [١] وأصله مر حريف ومنه نوع قلزمي مبثر للفم إلى حد أن ينفظ [٢] ويورم اللثة .

(الاختيار) أنفع ما فيه قشور أصله[٣] .

---

(١) هذا يدل على أن النبات يحتوي على مادة مضادة للبكتريا والفطريات . وقد ثبت ذلك حديثا

(٢) (في الأصل ينفظ) ينفط : النفطة هي البثرة ويعني أنها تسبب بثورا .

(٣) قشور القَلَف bark ، الأصل= الجذر .root

(الطبع) الكائن في البلاد الحارة أحر وحر جميعه ويبسه في الثانية[١] .

(الخواص) هو محلل مفتح جلاء ، وأصله مقطع منق مفتح في قشوره مرارة وحرافة وقبض[٢] ، وغذاء ثمرته قليل لا سيما إذا ملح[٣] ، ورطبه أغذى من يابسه .

(الأورام والبثور) أصله[٤] مُحلل للخنازير[٥] والصلابات ، ويخلط به ما يكسر قوته وقد جرب ورقه لذلك .

(الجراح والقروح) قشور أصله إذا وضع على الجراحات الخبيثة والوسخة نفعها أعظم منفعة .

(آلات المفاصل) قشور أصله نافع لعرق النسا وأوجاع الورك ، وقد يحتقن بعصيره فينفعه جدا وينفع من الفالج[٦] والخدر ، ويشد الأعضاء بما فيه من القبض ولذلك ينفع من الهتك العارض في رؤوس العضلة وأوساطها .

(أعضاء الرأس) قشور أصله يمضغ فيجلب الرطوبة من الرأس ويسكن الوجع البارد فيه وعصارته تقطر في الأذن لديدانها[٧] . وقد يعض على قشور أصله بالسن الألم فينفع وخصوصا إذا كان رطبا ، أو ورقه وكذلك المضمضة بخل طبخ فيه أو بشراب أو مرة بشراب ومرة بخل .

(أعضاء النفس والصدر) ينفع المملوح منه أصحاب الربو[٨] .

(أعضاء الغذاء) أنفع شيء للطحال وصلابته مشروبا وضمادا[٩] بدقيق الشعير ونحوه وخصوصا قشر أصله ، وكثيرا ما يستفرغ من الطحال مادة غليظة سوداوية فيعقبه[١٠] العافية .

---

(١) هذا أمر ثبت علميا وهو أن تحتوي نباتات بعض الأنواع على مواد فعالة أكثر إذا ماتعرضت لظروف حارة أو جافة .

(٢) هذا يعني أن قلف الجذور يحتوي على مواد فعالة مختلفة ، وأثبتت الدراسات ذلك .

(٣) تخلل براعم الأزهار وتوضع لتتبيل البيتزا - ويحصل عليها من نباتات تزرع في جنوب أوروبا وإسبانيا لهذا الغرض ، وفي العراق تكبس (تملّح) الأزهار وبراعمها للأكل .

(٤) جذره .

(٥) Scrofula

(٦) Hemiplegia

(٧) مرض يسمى النَّغَف .Myiasis

(٨) Asthma

(٩) Cataplasm, Poultice

(١٠) فتعقبه .

(أعضاء النَّفض) يسهل خلطا خاما غليظا ويدر الطمث[١] ، ويقتل الحيات والديدان في المعى[٢] ، وينفع من البواسير[٣] ، ويزيد في الباه[٤] ، والمملح منه قبل الطعام مطلق .

(السموم) هو ترياق [٥] جيد .

ماذكره ابن البيطار

(كَبَر)

*ديوسقوريدس في الثانية : هو شجيرة مشوكة منبسطة على الأرض باستدارة ، وشوكتها معقفه مثل الشصوص على شكل شوك العليق ، ولها ورق شكله مثل شكل السفرجل ، وثمر شبيه بالزيتون في شكله إذا انفتح ظهر منه زهر أبيض وإذا سقط منه الزهر كان شبيها بالبلوط مستطيلا ، إذا فتح ظهر من جوفه شبيه بحب الرمان صغار حمر وأصوله كبار في حد الخشب كثيرة ، وينبت في أماكن خشنة وأرض نباتها قليل لغلبة الحجر عليه وجزائر وخرابات [٦] .

جالينوس في ٦ : قشر أصل الكبر الغالب عليه الطعم المر ، وبعده الطعم الحريف ، وبعدهما الطعم القابض . وهذا مما يدل على أنه مركب من قوى مختلفة متضادة[٧] . وذلك أنه يقدر أن يجلو وينقى ويفتح ويقطع لمكان مرارته وأن يسخن ويحلل لمكان حرافته ، وأن يجمع ويشد ويكنز لمكان قبضه ، ولذلك صار قشر هذا الأصل أنفع من كل دواء آخر يعالج به الطحال الصلب إذا ورد إلى داخل البدن أيضا بأن يشرب بالخل أو بالخل والعسل وبغير ذلك مما أشبهه أو بأن يخفف ويسحق ويخلط بهذه ، وذلك أنه يقطع الأخلاط الغليظة اللزجة إذا شرب على هذه الصفة تقطيعا بينا ويخرجها في البول وفي الغائط ، ومرارا كثيرة قد يخرج مع الغائط شيئا دمويا فيسكن الطحال ويخفف أمره على المكان ، وكذا يفعل في وجع الورك[٨] . وهو مع هذا يدر الطمث[٩] ويحدر البلغم[١٠] إذا تغرغر به الإنسان وإذا مضغه ، وينفع

(١) Emmenagogue

(٢) Anthelminitic

(٣) Hemorrhoid

(٤) Aphrodesiac

(٥) Antidote

(٦) اللافت للنظر أن هذا الوصف سواء للنبات أو للموئل الذي يعيش فيه ، لا يكاد يختلف عن الوصف العلمي الحديث .

(٧) الطريف أن البحث العلمي الحديث أثبت وجود عشرات المركبات في هذا النبات .

(٨) قد يكون هذا هو عرق النسا .

(٩) Emmenagogue

(١٠) Expectorant

من الهتك العارض الذي يقع في رأس العضلة وفي وسطها ، وإذا وضع أيضا قشر هذا الأصل على الجراحات الخبيثة كما يوضع الضماد نفعها أعظم المنفعة من طريق أنه يقدر أن يجففها ويجلوها جلاء وتخفيفا قويا ، وكذا ينفع من وجع الأسنان مرة إذا استعمل بالخل ، ومرة إذا استعمل مطبوخا بالشراب ، ومرارا كثيرة يستعمل أيضًا وحده بأن يعض عليه الإنسان ويمضغه ، وقد يجلو البهق إذا طلي عليه بالخل(١) ، ويحلل الخنازير(٢) والأورام الصلبة إذا خلط مع الأدوية النافعة لذلك .

وأما ثمرة هذا النبات فقوّتها على مثال قوة قشر الأصل منه إلا أنها أضعف من القشر وأما ورقه وقضبانه فقوّتها أيضا تلك القوة وأني لأعلم أني حللت في بعض الأوقات صلابة الخنازير في أيام يسيرة بورق الكبر وحده ، وقد يخلط مع الورق بعض الأشياء التي يمكن فيها أن تكسر من شدة قوته وإذا كان هذا الورق كذلك فليس من العجب أن تكون عصارته تقتل الدود في الأذن(٣) لمكان مرارتها . فأما الكبر الذي يكون في البلد الكثير الحرارة بمنزلة الكبر الذي في بلاد تهامة فهو أشد حدة وحرافة من الذي يكون عندنا بمقدار كثير جدا ففيه بهذا السبب من القوة المحرفة مقدار ليس باليسير(٤) وقال في كتاب أغذيته ثمرته المملحة قبل الغسل تطلق البطن ولا تغذو البتة وأما إذا غسلت ونقعت حتى تذهب عنها قوة الملح بتة صارت على مذهب الطعام تغذو غذاء يسيرا جدا ، وإما علي مذهب الإدام التي يتأدم بها فتؤكل مع الخبز ليطيب بها أكله ، وإما على مذهب الدواء فإنها تكون حينئذ موافقة لتحريك الشهوة المقصرة ولجلاء ما في المعدة والبطن من البلغم وإخراجه بالبراز ولتفتيح ما في الكبد والطحال من السدد وتنقيتهما . ومتى استعملت هذه الثمرة في هذا الوجه فينبغي أن تستعمل مع خل وعسل أو مع خل وزيت قبل سائر الطعام كله وقضبان الكبر أيضا يؤكل طريها كما يؤكل قضاب البُطُم(٥) ويكبس أيضا كما تكبس تلك إما في الخل والملح وإما في الخل وحده .

ديوسقوريدس : وقد تعمل قضبانه وثمره بالملح ، وإذا أُكل ليَّن البطن وهو ردئ للمعدة معطِّش ، وإذا أكل مطبوخا كان طيب الطعم ، وإذا شرب من ثمره ثلاثين يوما في كل يوم وزن

(١) توجد دراسات حديثة عن الأمراض الجلدية التي تعالج بمكونات هذا النبات .
(٢) Scrofu
(٣) دود الأذن مرض يسمى النَّغَف Myiasis
(٤) هذا أمر ثبت علميا كما سبق أن ذكرنا .
(٥) Pistacia atlantica

درهمين بشراب حلل ورم الطحال ، ويدر البول ويسهل الدم . وإذا شرب نفع عرق النسا[١] ومن الداء المسمى قوالوسيس ، ومن وهن العضل وإذا شرب أدرّ الطمث وإذا مضغ قلع البلغم . وثمره إذا طبخ بالخل وتمضمض بطبيخه سكن وجع الأسنان .

وقشر أصل الكبر حار يوافق الأمراض التي ذكرناها ويوافق القروح المزمنة الوسخة الجاسية ، وقد يخلط بدقيق الشعير ويتُضمد به للورم في الطحال ، ومن كان بسنه ألم فعض على أصل الكبر بسنه الألم نفعه من ألمه ، وإذا دُقّ ناعما وخُلط بالخل ولطخ على البهق الأبيض جلاه ، وإذا دق ورقه وأصله واستعمل للخنازير والأورام الصلبة حللها ، وإذا دق وأخرج ماؤه وقطر في الأذن قتل الدود المتولد فيها والكبر النابت في البلاد التي يقال لها مرماريط[٢] ينفخ نفخا مفرطا والكبر الثابت في البلاد التي يقال لها أقوليا يحرك القيء ، والكبر الذي من بحر القلزم[٣] والذي من نينوي حريف جدا ينفط الفم[٤] ويأكل اللثة حتى تتغير منه الأسنان فلذلك لا يصلح هذا الصنف من الكبر للمطعم .

* ابن ماسويه : والكبر النابت في البلاد وفي المروج والآجام كثير النفخ ، فلذلك ينبغي أن لا يتعرض لما ينبت منه في هذين الموضعين .
* البصري : ورق الكبر وثمره متساويان في القوة إلا أن في الثمر بعض الزيادة على الورق وأقوى منهما أصله ، واليبس في أصله أغلب من الحر . والكبر حار يابس في الدرجة الثالثة رديء للمعدة وإن نقع بخل ذهب الخل بضرره للمعدة .
* الفارسي : الكبر ترياق[٥] يطيب الفم ويطرد الريح ويزيد في الباه .
* الجون : يشفي النواصير التي تكون في الآماق وأصله جيد للبواسير إذا دخن به .
* الطبري : أصله ينفع من القروح الرطبة إذا وضع عليها من خارج . وإذا طبخ وصب ماؤه على الرأس الذي فيه قروح رطبة نفعه وإذا أكل مع الفلفل والسذاب نفع من السدة التي تكون في الكبد من البرد .

---

(١) Sciatica

(٢) مارماريكا Marmarica - Mareotis منطقة مريوط غرب الإسكندرية حتى حدود مصر مع ليبيا .

(٣) خليج السويس ، واللافت للنظر أن الجبال المتاخمة لخليج السويس ينمو فيها نوع من الكبر وهو مختلف عن النوع الموجود في الساحل الشمالي .

(٤) يؤدي إلى ظهور بثور .

(٥) Antidote

* اسحق بن عمران : حبُّه رديء الغذاء يتعفن فيصير مرة سوداوية ، وقضبانه أجمد منه .

* ابن سمحون ، قال ابن ماسه : الكبر وفقاحه[١] وقضبانه نافعة للطحال ، فإذا أريد اتخاذه فينبغي أن ينقع بماء وملح أياما ثم يغسل بماء عذب مرتين أو ثلاثا ثم يخلل ، فإذا عزم على أكله لذلك يكون بعد أربعين يوما بعد أن يصب عليه زيت مغسول . قال : وكامخ[٢] الكبر من صالحي الكوامخ المسخنة للمعدة وأقلها ضررا وينبغي أن يؤكل بالزيت قبل الطعام لسرعة انهضامه وأنه لا يبطيء في المعدة وهو يصدع الرأس إذا أكثر منه وكامخ حب الكبر أيضا مثله في كل أحواله إذا صير معه صعتر[٣] رطب أو أفرنجمشك أو مرماخور[٤] وكامخ الكبر جيد للمعدة والطحال .

* التجربتين : ورقه ولحاء أصله إذا جُفِّف وسُحق وأضيف أحدهما إلى الزفت وضمد به قروح الرأس الشهدية اليابسة العتيقة أبرأها إذا تمودى عليه ، وكذا يفعل في القروح الخبيثة الغليظة المواد ولا سيما إذا كانت في الأعضاء الجافة ، وتستعمل في المرطوبي المزاج في قروحهم الخبيثة مدروسا بالشحم ، وإذا درس ورقه مع الشحم ووضع على أورام العنق البلغمية والخنازير والغدد ألحمها وحللها كلها ، وكذا يحلل الأورام البلغمية في سائر الجسم إلا أنه في أورام العنق والإبط والأربية أقوى ، وكذا يوضع أيضا على فسوخ العضل ولا سيما في الأعضاء الصلبة فينفعها ، وإذا سحق أصله وخلط بأحد الأدوية العطرية[٥] المقوية كالسُّنبل[٦] والاسطوخودوس[٧] والإذخر[٨] . وعجن بعسل ولعق وافق وحلل ما في الصدر من البلغم اللزج وأخرجه بالنفث ونفع من أوجاعه الحادثة عنه وسهل نفثه ، وينفع من أوجاع المعدة والمائدة ويفتح بهذه الصفة سدد الكلى ويضمر الطحال وينفع من أوجاعه منفعة بالغة ، وإذا تغرغر به وبطبيخ سائر أجزائه كلها نقى الدماغ وأحدر منه بلغما لزجا ، وماء ورقه إذا

---

(١) أزهاره .

(٢) نوع من الأدم ، معرَّب .

(٣) نوع من جنس الصعتر Thymus

(٤) نوع من جنس البردقوش Origanum

(٥) النباتات الثلاث التالية التي ذكرت نباتات تحتوي على زيوت طيارة لها رائحة عطرية .

(٦) Meum athamanticum

(٧) Lavandula stoechas

(٨) Cymbopogon shoenanths ويعرف باسم حلف بر .

شرب قتل أصناف الحيوان المتولدة في الجوف وشربته من أربعة دراهم إلى ما حولها .

* الرازي في كتاب الحاوي : أدام صديق لي أكل كامخ الكبر فسَحَجَه[1] وأرى إن حقن بعصير الكبر من به عرق النسا كان بليغا جدا ، وقال في موضع آخر كامخ الكبر حار يابس مهزل للبدن ، والكبر المخلل أقل حرارة من المكبوس بالملح . وقال في كتاب دفع مضار الأغذية : كامخ الكبر رديء للمعدة معطش ملهب ليست منفعته للطحال كالكبر المخلل بل دون ذلك بكثير ، وذلك أنه يعطش ويسقى الماء بملوحته ، والماء يربى الطحال ويعظمه ولا سيما إن كان حارا أو ماء بطيء النزول ، ولكنه يقطع ويجلو ويشهي الطعام ويدفع فضوله إلى أسفل ، وهكذا تفعل الكوامخ المالحة فإنها كلها معطشة ملهبة ضارة للعين إذا أدمنت ، فأما ما ينقع في الخل وتعتريه حموضته فأقل إعطاشا وإلهابا للبدن وأوفق للمحرورين . وقال : والكبر المخلل يلطف الطحال ولا يسخن ولا يعطش إلا قليلا ويضر من به سعال أو أسحاج وخلفة[2] ضررا شديدا فإن أخذ منه فليتلاحق بصفرة البيض النميرشت[3] بعد التغرغر بماء حار مرات .

ما ذكره الأنطاكي

(كَبَر)

هو القبار لا الخردل كما شاع بمصر ، ويسمى السلب والبسراسيون والقطين ، وثمره اللصَف والشَّفَلَّح ، وهو نبت شائك كثير الفروع دقيق الورق له زهر أبيض يفتح عن ثمر في شكل البلوط[3] ويشق عن حب أصفر وأحمر فيه رطوبة وحلاوة ويكثر بالخراب والجبال ، وكله حار يابس قشر أصله في الثالثة وقضبانه في الثانية كحبه ، وورقه في الأولى . والشفلح الرطب رطب فيها وقيل ببرده وتزداد حرارته في الإقليم الحار وبالعكس والعمدة على قشر أصله هنا يبرئ الطحال مطلقا عن تجربة خصوصا بالسَّكَنجبين[4] في الشرب ، ودقيق الترمس في الطلاء ، ويخرج الفضول اللزجة ويزيل السدد وبرد الكبد والمعدة وما في الدماغ من البرودة ، ويدر ويبرئ السموم ويخرج الرياح ويجلو البهق ويدمل القروح ويقوي الأسنان

---

(١) خدشه

(٢) في الأصل : خلفة ، والأصح خلف

(٣) بيض غير كامل النضج بسلقه لمدة قصيرة لا تكفي ليصبح متماسكا .

(٤) Querqus

ويقطع البلغم والنسا والمفاصل بالعسل والربو في المبرود والخل في المحرور شربا وطلاء ، ويجبر الكسر والنهك[١] والوهن ويحل[٢]الخنازير والصلابات وعصارته تخرج الديدان عن تجربة ولو من الأذن قطورا وتليه الثمرة ثم باقي الأصل فيما ذكر ، والمملح من المخلل يفتح الشهوة ويعيدها بعد سقوطها . وأجود ما أكل قبل الأطعمة وهو يضر المعدة المحرورة ويصلحه السكنجبين وشربة قشره ثلاثة وعصارته أوقية يضر المثانة ويصلحه الأنيسون[٣] .

---

(١) شراب الخل والعسل ، عن الفارسية سركا أنكبين ، شراب مشهور يراد به كل حامض وحلو .

(٢) يقال نَهَكته الحمى ، فهو منهوك ، أي رؤي أثر الحمى عليه منها .

(٣) يحلل .

(٤) Pimpinell anisum

CLARISSIMI ET PRAECELLENTISSIMI

DOCTORIS

ABVALI IBN TSINA

Qui hactenus perperam dictus est

AVICENNA

CANON MEDICINÆ

Interprete & Scholiaste

VOPISCO FORTVNATO

PLEMPIO

TOM. I.

Librum primum & ſecundum Canonis exhibens, atque ex libro quarto tractatum de Febribus.



LOVANII,

Typis & Sumptibus HIERONYMI NEMPAEI 1658

CVM GRATIA ET PRIVILEGIO.

طبعة لوڤان ــ بلجيكا

شكل (١)

AVICENNÆ

ARABVM MEDICORVM PRINCIPIS.

Ex Gerardi Cremonensis versione, & Andreæ Alpagi Bellunensis castigatione.

A Ioanne Costæo, & Ioanne Paulo Mongio Annotationibus iampridem illustratus.

Nunc vero ab eodem Costæo recognitus, & nouis alicubi Obseruationibus adauctus.

Quibus Principum Philosophorum, ac Medicorum consensus, dissensusque indicantur.

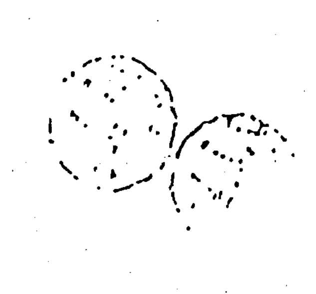
Vita ipsius Avicennæ ex Sorsano Arabe eius Discipulo, à Nicolao Massa Latine scripta, [illegible]

[illegible]

Per Fabium Paulinum Vtinensem.

[illegible]



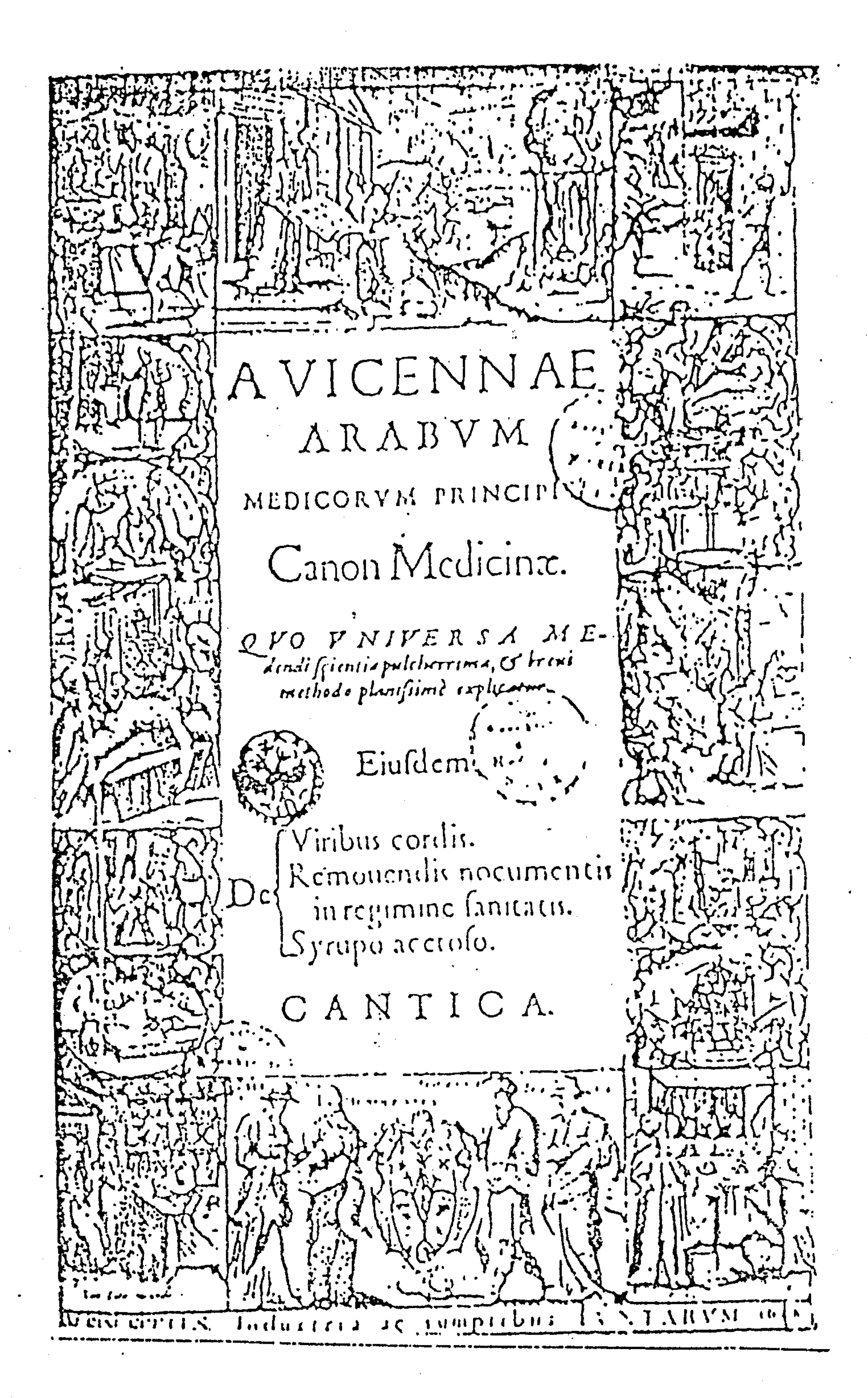


VENETIIS, M DC VIII

Apud Iunctas.

طبعة من طبعات البندقية ـ ١٦٠٨

شكل (٢)



AVICENNAE
ARABVM
MEDICORVM PRINCIPIS
Canon Medicinæ.

QVO VNIVERSA MEdendi scientia pulcherrima, & breui methodo planissimè explicatur.

Eiusdem

De { Viribus cordis.
Remouendis nocumentis in regimine sanitatis.
Syrupo acetoso.

CANTICA.

VENETIIS, Industria ac sumptibus IVNTARVM

شكل (٣)

IOANNIS MESVAE
DAMASCENI
MEDICI CLARISSIMI
OPERA,

De medicamentorum purgantium delectu, castigatione, & usu Libri duo.
Quorum priorem Canones universales, posteriorem de
Simplicibus vocant:

Grabadin, hoc est Compendium secretorum medicamentorum, Libri duo.
[illegible]

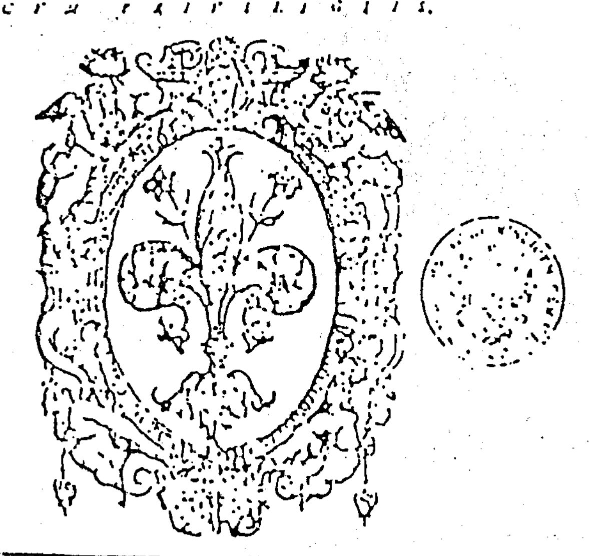
Cum Mundini, Honesti, Manardi, & Sylvii in tres primos libros
observationibus, quae vulgo cum his prodire consueverunt.

[illegible]

Et Ioannis Costaei Annotationes [illegible]

[illegible]

[illegible]



VENETIIS, Apud Iuntas. M D C X X I I I.

طبعة البندقية ـ ١٦٢٣

شكل (٤)

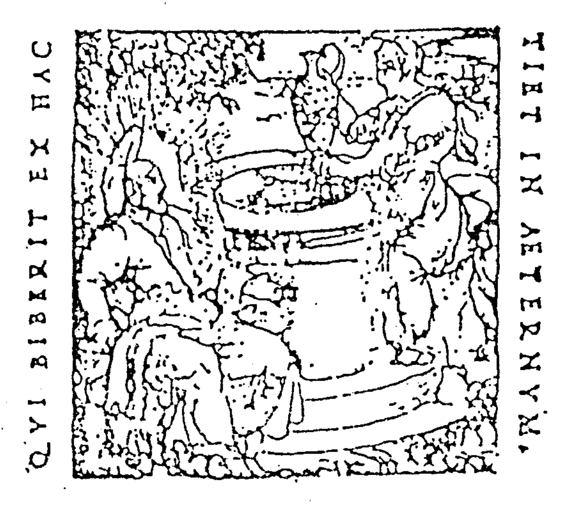
RAZAE

LIBELLVS DE PESTE

DE GRAECO IN LATI-
num sermonem uersus.
PER NICOLAVM MACCHELLVM
Medicum Mutinensem.

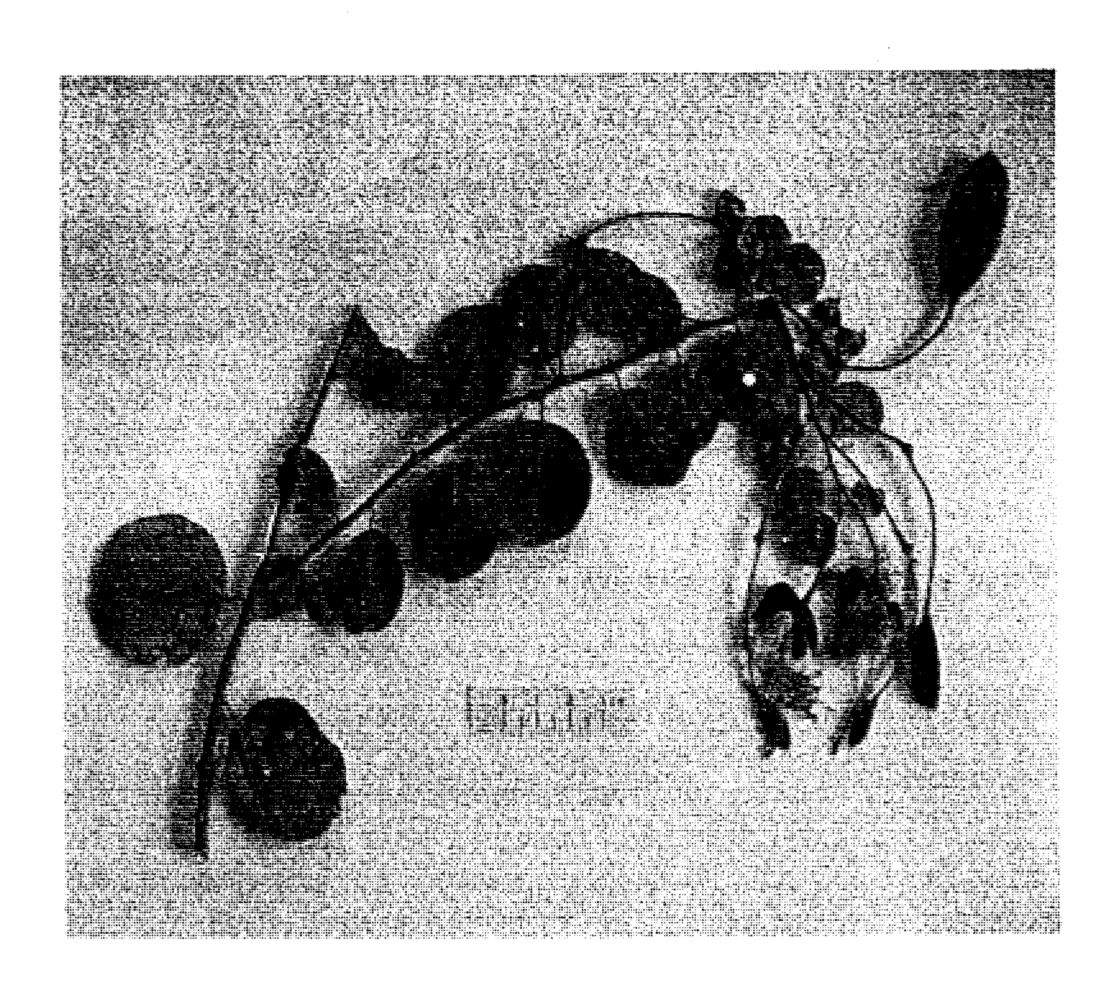


AQVA NON SI-



Venetiis apud Andream Arriuabenum ad
signum Putei. M D L V.

شكل (٥)



نبات الكبار المزهر والمثمر

شكل (٦)

٦٣

المذكورة في ساير الغضاريف

الفصل الثامن عشر في تشريح العضد

عظم العضد خلق مستديرا ليكون ابعد عن
قبول الافات وطرفه الاعلى محدب يدخل في نقرة
الكتف بمفصل رخو غير وثيق جدا وبسبب
رخاوة هذا المفصل يعرض له الخلع كثيرا والمنفعة
في هذه الرخاوة امران حاجة وامان اما الحاجة
فسلاسة الحركة في الجهات كلها واما الامان فلان
العضد وكان محتاجا الى التمكن من حركات شتى
الى جهات شتى فليست هذه الحركات تكثر عليه
وتدوم حتى يخاف انهتاك اربطته وتخلعها بل
العضد في اكثر الاحوال ساكن وساير اليد متحرك
وكذلك اوثقت ساير المفاصل ومفصل العضد
تضمنه اربعة اربطة احدها مستعرض غشائي
محيط بالمفصل كما في ساير المفاصل ورباطات
نازلان من الاخرم احدهما مستعرض الطرف يشتمل
على طرف العضد والثاني اعظم واصلب ينزل
مع رابع ينزل ايضا من الزيادة المنقارية في جزء
معدلها وشكلها الى العرض ما هو خصوصا عند
مماسة العضد ومن شانهما ان يستبطنا العضد
فيتصلا بالعضل الممدودة على باطنه والعضد
مقعرا الى الانسي محدب الى الوحشي لتكن بذلك
ما ينتضد عليه من العضل والعصب والعروق

صفحة من كتاب القانون في الطب

شكل (٧)

هي الساعي ولذلك غلط قوم وظنوا الشكاعي واحده من
هذه الحشايش المذكوره قبل وليس منها ه اترج .
ابو حنيفه الاترج كثير بارض العرب وهو مما يغرس
غرسا ولا يكون بريا واخبرني بعض الاعراب بان شجرته تبقى
عشرين سنه تحمل وحملها مره واحده في السنه وورقها مثل
ورق الجوز وهو طيب الرائحه وفقاحه شبيه بنور
النرجس الا انه الطف منه ولشجره شوك حديد ه
ديسقوريدوس في الاولي هو شجر يحمل ثمرا
عليه السنه كلها معروف عند جميع الناس والثمر
نفسه طويل لونه شبيه بلون الذهب طيب الرائحه
مع شي من كراهه وله بزر شبيه ببزر الكمثري ه
جالينوس في السابعه جوف الاترج وهو الذي
فيه البزر حامض الطعم وقوته قوه تجفف تجفيفا كثيرا
حتى انه في الدرجه الثالثه من درجات الاشيا التي
تبرد وتجفف ه اسحق ابن سليمان

صفحة من كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية

شكل (٨)

المقوي وقشره بارد في الاولى يابس في الثانية وهو حار وبياضه بارد رطب في الثانية
وصفاره حار رطب في الاولى او يابس فيها والقول بان مجموعه معتدل مطلقا مسامحة
قايم مقام اللحم في الغذا بل هو اقرب الاشيا الى البدن بعد اللحم والقول ان اللبن اقرب
منه سهو وقشره يهيج الباه اذا كان طريا وشرب الى درهمين ويجلو البياض مع الصدف
كحلا ويحلل الاورام مع العسل والخل طلا وكله يقطع الدم حيث كان ويلصق الجراح ويلحم
القروح العفنة ومع البورق يجلو الكلف والجرب والاثار والبواسير واذا عجن بياضه
كان اشد من الغرا في اللصاق قال بعض اهل الصناعة انه اشد الاشيا تنقية للدارس
وانه مع البورق والعقاب يطهر خالصا وانه عن تجربة وبياض البيض جيد لكل خشونة
وقرح ودوا رداع خصوصا في الاجفان والملتحم لكن لا يجوز استعماله في العين اذا كانت
الحرارة في اغوار الطبقات لانه يجلبها فتقرح وكثيرا ما تغلط الكحالون في ذلك وينفع
به فساد عظيم وبدقيق الشعير يبري الحراز والابرية والقوابي والخراجات واورام
الثديين والمقعدة وفي المرهم الابيض يلحم الجراح ومع الافيون يسكن الورم الحار
طلا وهو ثقيل عسر الهضم يولد خلطا لزجا ويلحم كثيرا وصفاره جيد الغذا صالح الكيموس
يغري ويذهب القروح الباطنة وبالزعفران يسكن الضربان حيث كان وبدهن الورد
يذهب شقوق المقعدة واوجاعها وان قلي مع النوشادر الثابت وعصر كان المحلول
منه غاية في تطهير الاجساد مجرب وان حل به الحار الهارب مثبتا البارد عن تجربة
ومجموع البارد يسكن الغثيان واللهيب والعطش وحرقة البول وفساد الصوت وخشونة
الرية وما احترق من الاخلاط ويهيج الباه بالجرجير ويذهب السعال بالكندر وضيق
النفس ببزر الكتان ويسمن نيمبرشا فقط اذا استعمل على الفطور بقليل الملح والكندر
والانزروت ويقطع الزحير بدهن الاحوين ويحبس الدم بالطباشير والكهربا ويشوى في
النسج ويوهانا العروق واجود ما استعمل في كل ذلك نيمبرشت وصفته ان يرمى في الما
بعد الغلي ويعد من مائة الى مائة ويرفع او ثلاث مائة اذا ارتفع والما بارد
ولذا قرره جالينوس او يغلى في الماء ثم يعزل في الزيت والصعتر والفلفل والدارصيني
ودون ذلك المشوي في الرماد واردى ما اكل مقلوا خصوصا في السيرج والنضيج منه
عسر الهضم فاسد الغذا يولد الحصا الكلى والمثانة والسدد ويصلحه السكنجبين وقد رما
من البيض من جهة اليبسة وسيأتي تفصيل المنافع المخصوصة بكل بيض مع اصله وما ذكر فيه
هنا بحسب الاطلاق والمخصوص به غالبا بيض الدجاج

حرف التاء

تاتول هندي ويقال تنبل [illegible] ينبسط على الارض وورقه كورق
[illegible] حرارة وحرافة واجوده
[illegible] والسادج والقر

صفحة من كتاب تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب

شكل (٩)

المراجـع

ابن البيطار ، ضياء الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد الأندلسي المالقي

كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية .

القاهرة ، ١٢٩١ هـ .

ابن سينا ، أبو علي الحسين بن علي بن سينا

القانون في الطب .

طبعة جديدة بالأوفست عن طبعة بولاق . بيروت : دار صادر ، بدون تاريخ .

الأنطاكي ، داود بن عمر الأنطاكي

تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب .

بيروت : المكتبة الثقافية ، بيروت ، لبنان .

البتانوني ، كمال الدين حسن

أسرار التداوي بالعقار بين العلم الحديث والعطار .

الكويت : مؤسسة الكويت للتقدم العلمي . ١٩٩٤

هوينكه ، زيجريد

شمس العرب تسطع على الغرب .

ترجمة : بيضون دسوقي : بيروت : ١٩٦٩

Batanouny, K. H. 1999.

Wild medicinal plants in Egypt. International Union for Conservation (IUCN) and Academy of Scientific Research and Technology. Cairo, Egypt.

الببليوجرافيا التكوينية

Genetical Bibliography

إطار نظري مقترح

لدراسة علاقات التأليف والنصوص

أ . د . كمال عرفات نبهان*

تمهيـــد

موضوع هذه الدراسة هو «الببليوجرافيا التكوينية» ، والمقصود من ذلك هو طرح إطار منهجي للدراسة العلمية للعمليات التكوينية في نشأة وتأليف النصوص ، سواء كانت أصلية ، أو مُعْتَمِدةً علي نصوص سابقة . وبذلك نستطيع القول بأنها ببليوجرافيا التأليف وتكوين النصوص ، أو ببليوجرافيا تَوَالُد النصوص .

والهدف من هذا الطرح هو التوصل إلى دراسة كل ظواهر التأليف وتكوين النصوص في إطار منهج تكاملي شامل ، والتوصل إلى اكتشاف العلاقات والعمليات الداخلة في عملية التأليف ، والتي ينتج عنها تكوين النصوص . وليس في ذلك إثراء نعلم المعلومات فحسب بل هو إثراء لكل فروع المعرفة والبحث العلمي لعلاقتها الحيوية بظواهر المعلومات والتأليف .

ومن الأدوات التي تم تصميمها علي يد الباحث لتصوير علاقات النصوص والتأليف ، «نظام الببليوجرام Bibliogram» ، أو مخطط علاقات التأليف ، ويُكمِّلُه نظام الببليو كرونوجرام Biblio-Chronogram أو المخطط الزمني لعلاقات التأليف ، وقد قام الباحث بعرض هذا النظام التصويري لعلاقات النصوص ، في كتاب مستقل بعنوان : الببليوجرام والكرونوجرام : نظام مقترح لتمثيل العلاقات بين النصوص .

ويرجو الباحث أن تتاح الفرصة لمناقشة الأفكار الواردة بهذه الدراسة من جانب المتخصصين والعلماء ذوي الاهتمام بظواهر المعلومات والنصوص والاتصال ، والمتخصصين في علم الببليوجرافيا ، وأدعو الله أن يكون فيها ما يفيد . .

والله ولي التوفيق ، ، ، ،

(*) أستاذ المكتبات والمعلومات .

التكوين في النصوص والتأليف :

يشمل علم المعلومات ، في تعريفه المعاصر ، «دراسة تكوين أو تخليق المعلومات (creation of Information) واستخدامها وتجميعها وتنظيمها وتفسيرها واختزانها واسترجاعها وبثها وتحويلها في كل أشكالها[١] .

وتركيزاً على «تكوين المعلومات»[٢] ، وهو العنصر الأول في تعريف علم المعلومات ، وفي إطار رؤية الباحث لعلاقات التأليف ودورها في تكوين النصوص[٣] ، فإن من الممكن أن يُقترح مصطلح ومجال «البيليوجرافيا التكوينية»[٤] (Genetical bibliography) كإطار يستوعب دراسة التأليف ، من مدخل معلوماتي - اتصالي - ببليوجرافي .

وينحو هذا التأطير المقترح ، بمصطلح الببليوجرافيا لكي يرتبط بمدلول جديد[٥] ، هو «**التكوين**» ، حتى يشمل العلاقات أو العمليات التكوينية في تأليف **النص** ، **وعلاقات النص** بنصوص أخرى ، سواء **في مرحلة ما قبل وجود النص** ، **أو ما بعد وجوده** . والمصطلح بذلك يعني **ببليوجرافيا التأليف** ، أو ببليوجرافيا تكوين النصوص ، ابتداء من «نقطة الإرسال أو موقع التأليف[٦] Authorship ، واستمراراً في نقاط أخرى متتابعة من الإرسال ومواقع التأليف .

وفي هذا الإطار يخضع التأليف للدراسة ، من حيث كونه نشاطاً اتصاليا بمصادر المعلومات ، ولا يُدرس من مدخل سيكولوجي - إبداعي ، أو بلاغي ، أو إنشائي . . . أو غير ذلك من المداخل الأخرى لدراسة التأليف ، التي تختلف عن المدخل الببليوجرافي لدراسة مصادر التأليف ، وهو مدخل هذه الدراسة .

---

(١) The ALA glossary of Library and information Science, Chicago, ALA., 1983. p.118.

(٢) انظر نموذج الهجرسي لشبكة الذاكرة الخارجية ، عند وظيفة التكوين والتأليف ، في المرجع التالى : سعد محمد الهجرسي ، الإطار العام للمكتبات والمعلومات ، أو نظرية الذاكرة الخارجية .- القاهرة . مطبعة جامعة القاهرة ، ١٩٨٠ .- ص٣٨ .

(٣) ويمكن أن يعتبر تكوين النصوص هو الشكل المادي الذي يعكس بعض العمليات والعلاقات المختلفة في تكوين المعلومات .

(٤) هذا المصطلح من صياغة الباحث ولا يوجد من قبل في معاجم علوم المعلومات والمكتبات .

(٥) انظر : أبعاد مصطلح الببليوجرافيا وآفاقه ، في المرجع التالى ، (سعد محمد الهجرسي : الببليوجرافيا ، ودراستها في علوم المكتبات ، القاهرة ، جمعية المكتبات المدرسية ، ١٩٧٤ .- ص٦٩ - ٧٠ ، ٧٢ .

(٦) المرجع السابق ، ص٧١ .

الببليوجرافيا التكوينية : علم الأنساب الببليوجرافية :

والببليوجرافيا التكوينية بالنسبة للتأليف وعلاقات النصوص ، هي أشبه **بعلم الأجنَّة** ، الذي يخلص الولاء للجنين (**النص**) حتى يخرج للحياة . . ثم يمنحه الولاء مجدداً ، عندما يسهم في نقل بعض خصائصه الوراثية لأجيال تالية من جنسه ، والأجيال في مجال التأليف هي المؤلفات التالية ، التابعة أو المرتبطة أو المستخدمة للنص .

وهي في بعض جوانبها ، تمثل «**علم الأنساب الببليوجرافية**»[١] إذا قصدنا أن تكون الأنساب في التأليف رصداً للصفات الموروثة وللتطور والتمايز المستمر بين أجيال متعددة من المؤلفات .

ومن خلال هذا الإطار ، يتاح للببليوجرافي ربط النص بأصوله السابقة وتوابعه اللاحقة من النصوص ، في إطار تصنيف محدد لعلاقات التأليف ، ومخطط ببليوجرافي ، يقترح الباحث أن يكون أكثر شمولاً وعمقاً ، في مجال الخدمة التي تقدمها الببليوجرافيا للبحث العلمي[٢] .

وعندما يتم تطوير نماذج اتصالية للتأليف ، ومخططات وهياكل تشمل ما يمكن استقراؤه من علاقات التأليف ، فسوف يصبح في الإمكان تصوير شبكة العلاقات المتبادلة بين النصوص ، ومدى تكاملها وتواصلها كأبنية معرفية عبر مئات من السنين .

القياسات الببليوجرافية (الببليومتريقا) كأداة للبحث :

وقد يبدو هناك بعض التداخل بين المجالات المقترحة للببليوجرافيا التكوينية وبين مجال علم آخر هو القياسات الببليوجرافية[٣] Bibliometrics (أو الببليومتريقا) ، ولتوضيح العلاقة بينهما ، ينبغي تحديد المقصود بالقياسات الببليوجرافية ، فهي تعني «استخدام الطرق الرياضية والإحصائية لدراسة استخدام الكتب والوسائل الأخرى»[٤] ، كما تعني «استخدام الطرق الإحصائية في تحليل قطاع من الإنتاج الفكري لتوضيح التطور التاريخي لمجالات موضوع معين ، وأشكال التأليف والنشر والاستخدام» .

---

(١) تنسب هذه الفكرة إلى والتر جريج W.W. Greg الذي كان يقصد أن تكون الببليوجرافيا علما للأنساب Genealogy والعلاقات بين النصوص ، إلى جانب كونها «علمًا لإنتاج وإعادة إنتاج النصوص» . انظر : Gaskell, Philip. A new introduction to librarianship. Oxford, Oxford Univ. Press, 1972. P.1.

(٢) جدير بالذكر أن منهج الربط بين النص وتوابعه ، له جذور أصيلة في عملين ببليوجرافيين عربيين تراثيين هما : مفتاح السعادة/ لطاش كبرى زاده (ق١٠هـ) ، وكشف الظنون/ لحاجي خليفة (ق١١هـ) .

(٣) HArrod's librarians' glossary... 5th ed. p.74.

(٤) Tha ALA Glossary...op. cit. p.22.

فالقياسات الببليوجرافية ، تستخدم كأداة للدراسة الكمية لظواهر استخدام المعلومات من جانب المستفيدين ، والأشكال التي يصب فيها الباحثون نتائج بحوثهم ، ويستخدم عالم المعلومات هذه القياسات الكمية لصياغة القوانين الممكنة لهذه الظواهر[١] ، ودورها في ذلك يشبه دور الإحصاء السكاني بالنسبة لعلم السكان ، وهي تستمد أصولها من علوم الرياضيات والإحصاء ، كما تستمد تسميتها من كونها تستخدم في قياس ظواهر ببليوجرافية .

الببليوجرافيا التكوينية إطار ومنهج لدراسة علاقات النصوص :

وتعد القياسات الببليوجرافية **أداة** يمكن أن تستخدمها الببليوجرافيا التكوينية في الدراسة الكمية لبعض ظواهر التأليف ، وصياغة نتائجها صياغة رياضية ، ولكن الببليوجرافية التكوينية تمثل **إطاراً ومجالاً للدراسة** ، وهي ليست أداة ، بل إنها تستخدم ما يتاح لها من أدوات ، كما تبتكر أدواتها الخاصة ، وهي تشمل إلى جانب الداسة الكمية ، الدراسة الوصفية والكيفية لعلاقات التأليف ومصادره وأشكاله ، وللجوانب المعرفية والإنسانية والتعليمية والاجتماعية التي تؤثر في ظواهر التأليف . وهي ليست ظواهر ذات أبعاد كمية وتكرارات عددية فحسب ، بل إنها ظواهر إنسانية اجتماعية - معرفية . ومثل هذه الظواهر المركبة ، لا يكفي معها منهج واحد لدراستها ، بل يجب أن يكون المدخل إلى دراستها مدخلاً تكاملياً بين مناهج البحث والقياس من جهة ، ومجالات المعرفة التي تتصل بهذه الظواهر ، في مجالات علمية مجاورة ، تثرى دراسة التأليف ، مثل : سوسيولوجية المعرفة ، وسوسيولوجية الأدب ، وسوسيولوجية العلم[٢] ، وسوسيولوجية القراءة[٣] ، والاتصال العلمي في العصور المختلفة ، وعلم النفس الإبداعي ، والنقد الأدبي ، وتاريخ الأدب . . . .الخ . من جهة أخرى ، بالإضافة إلى إمكانيات الضبط الببليوجرافي وإثراء الخدمات الببليوجرافية ذاتها .

---

(١) انظر : نموذج هذه القوانين في (ميدوز ، جاك . آفاق الاتصال ومنافذه في العلوم والتكنولوجيا/ ترجمة حشمت محمد علي قاسم .- القاهرة ، المركز العربي للصحافة ، ١٩٧٩ .- ص٢٢١) .

(٢) من المجالات التي يقترحها الباحث لدراسات قادمة : دراسة علاقة أشكال التأليف بالظواهر الاجتماعية وظروف الرخاء والشدة وخاصة في تاريخ التأليف العربي ، وتأثير ذلك على تأليف المختصرات والمطولات والموسوعات وغيرها . . .

(٣) انظر ذلك تنظيرًا وتطبيقًا في الدراسة التالية : كمال محمد عرفات : دراسة ميدانية على قراءات الكبار بالمكتبات العامة بالقاهرة . رسالة ماجستير/ إشراف أحمد أنور عمر ، جامعة القاهرة ، كلية الآداب قسم المكتبات ، ١٩٧٩ - ص١٥-٣٢ .

المنهج التكاملي في دراسة التأليف :

ويتمشى هذا المنهج التكاملي ، مع طبيعة التأليف ، وطبيعة علوم المكتبات والمعلومات ، فهي علوم تركيبية ، مثلها مثل الطب والجغرافيا التي تأخذ من كل العلوم وتعطي كل العلوم في علاقات تبادلية وحيوية .

وإذا كان من التعريفات السديدة لعلم الجغرافيا ، إنها «علم عدم فصل ما وصلته الطبيعة»[(١)] ، فإن من الممكن – قياساً – أن نقول عن دراسة ظواهر التأليف ، أو البيليوجرافيا التكوينية ، إنها : «علم عدم فصل ما وصلته المعرفة الإنسانية» . طالما أننا ندرس التأليف كظاهرة اتصال ، سواء في مجال التأليف الإبداعي الذي يستلهم ويتجاوز أكثر مما يوثق ويستشهد ، أو في مجال التأليف الوثائقي ، الذي يوثق علاقاته بتراكم العلم والمعرفة حتى اللحظة السابقة عليه ، أو التأليف النصي الذي يرتكز على نص محدد ، ويتناوله شرحاً أو استدراكاً أو تهذيباً . . . الخ .

فدراسة التأليف كظاهرة اتصال ، تعتبر المعرفة الإنسانية مَجَرَّة متصلة لمن يملك قدرة الاستكشاف ، وليست دويلات منفصلة لمن يؤثر الانتحاء موضوعاً ومنهجاً . وهي بذلك تتخطى الحواجز بين موضوعات المعرفة ، التي قد تنفصل تصنيفاً ، ولكنها تتصل تأليفاً ، لكي تصل إلى نظرة شمولية ، تتصل فيها أجنحة المعرفة ، نتيجة لما يلي :

أ – خصائص المعرفة والمعلومات ، ودوائرها الموجبة ، التي تتسع فتتلاقى مع دوائر أخرى .

ب – خصائص العقل البشري ، الذي يجمع بين التحليل والتركيب والإبداع .

ونتيجة لذلك ، فإنه عن طريق التأليف ، تتكامل خصائص التراكم التي يتصف بها العلم والمعرفة الإنسانية ، مع خصائص التواصل والربط والاستيعاب والتحويل ، وتلك هي محاور التأليف ومصدر خصوبته وآفاقه اللامحدودة من الإبداع .

البيليوجرافية التكوينية : الربط واكتشاف العلاقة :

وكما أن البيليوجرافيا النسقية Systematic bibliography تعد من أدوات «السيطرة»

---

(١) جمال حمدان ، شخصية مصر ، القاهرة ، عالم الكتب .- ١٩٨٠ .- ج١ ، ص١٢ .

في مجال المعرفة ، حتى أطلق عليها «الببليوجرافيا قوة»[1] فإن الببليوجرافيا التكوينية ، هي من علوم «الربط» التي تساعد على اكتشاف العلاقة ، في عمليات التأليف . ولعل هذا المجال - وهو اكتشاف العلاقة «من أخصب مجالات الفكر الإنساني والبحث العلمي ، ويتصور الباحث أن إمكانيات ونتائج الدراسة في مجال الببليوجرافيا التكوينية للإنتاج الفكري سوف تطرح علاقات في التأليف تسهم في إثراء المجالات العلمية المجاورة ، التي سبق الإشارة إلى إمكانيات الاستفادة منها .

ويمثل العرض السابق تصوراً بذرياً لمجالات «الببليوجرافية التكوينية» من وجهة نظر الباحث ، وأملاً في أن تتراكم نتائج البحث العلمي المتواصل في هذا المجال .

---

(١) Wilson, P. Two Kinds of power: an essay on bibliographical control. Berkeley. Univ. of california press, 1978. p.4.

المستشرقون وتحقيق التراث
الطبقات الكبرى
لمحمد بن سعد

أ . د .محمد عوني عبد الرءوف*

يُعدُّ كتاب **الطبقات الكبرى** لابن سعد من أهم الأعمال العربية التي قام بنشرها الأساتذة المستشرقون ، فهو أحد المصادر المهمة عن تاريخ محمد ﷺ والصحابة ، كما أنه أقدم مصدر دوّن به تراجم الرواة المحدثين ، وقد ذاعت شهرته لدى المستشرقين ، وبخاصة بعد أن عرَّف به شبرنجر Sprenger وموير Muir ونلدكه Nöldeke وبعد أن اعتمد عليه فيستنفلد كثيرا في كتابه **جداول الأنساب** . ولعله لا يمكننا أن نقارنه إلا بكتاب **تاريخ الرسل والملوك** لمحمد بن جرير الطبري ، الذي قام بتحقيقه المستشرق دي جويه De Goeie ومعه غيره من المستشرقين ببرلين عام ١٨٧٩ - ١٩٠٠ . وقد عني الأستاذ المستشرق ساخاو ومعه تلامذة مدرسته ببرلين ، بتحقيق **الطبقات الكبرى** عن خمسة مخطوطات اجتمعت لديهم ، وتوفروا على دراستها ، وعنوا بتحقيقها ، محاولين أحيانا إقامة النص ، مجتهدين أحيانا في المفاضلة بين قراءات المخطوطات إن اختلفت مستخدمين علمهم باللغات السامية ـ وبخاصة الحبشية والعبرية ـ في محاولة تفهم ما يغلق عليهم فهمه من عبارات وألفاظ غريبة .

واستمر صدور هذه الطبعة من الكتاب أربعة عشر عاما من ١٩٠٤ حتى ١٩١٨ في ثمانية أجزاء ، ويشتمل كل منها على قسمين ، ما عدا الجزئين الخامس والثامن فلم يشتملا تقسيما ، ثم ظهر القسم الأول من الجزء التاسع الذي خصص للفهارس سنة ١٩٢٠ ، وقام بمساعدة ساخاو في تصنيف الفهارس فيه الأستاذ أحمد والى وآخرون . ثم صدر القسم الثاني بعد ثماني سنوات ، أي عام ١٩٢٨ ، وبه فهارس الأماكن والقبائل وكلمات الرسول ﷺ والقوافي وآيات القرآن المستشهد بها في الكتاب .

وفي عام ١٩٤٠ ظهر القسم الثالث من الجزء التاسع ، وهو فهرس لأسماء الأشخاص الذين ورد ذكرهم بالكتاب ، ولكنهم ليسوا ضمن سلاسل الإسناد . وما يؤخذ على هذا القسم ، أنه لم يربط بين اسم الشخص الواحد وكنيته ولقبه ليورد ذكره في مكان واحد

* أستاذ بكلية الألسن جامعة عين شمس .

بالفهرس ، بل أورد الأسماء في نفس الصيغة التي وردت بها في نصوص الكتاب . وجمع النظائر فقط إلى بعضها ناصًا على مواضعها بالكتاب .

ولهذا فإن على من يُريد البحث عن شخص بعينه أن يجهد نفسه في البحث عن صيغ الاسم المختلفة في الفهرس كله ، كي يتمكن من حصر المواضع التي ذكر فيها الاسم . وهذا قد يتعذر أحيانا ، مالم يعرف الباحث باديء ذي بدء أن بعض الرواة أو المحدثين قد يحمل أكثرمن لقب ، أو أن له أكثر من كنية أو صفة .

مخطوطات الكتاب

اعتمد ساخاو في تحقيقه للكتاب على مخطوطات الطبقات الموجودة بمكتبة القاضي ولي الدين جار الله أفندي باسطنبول بجوار مسجد السلطان محمد الفاتح ، وقد أرسلها له عظمة السلطان ـ آنذاك ـ .كما اعتمد على مخطوطات أخرى بالمكتبة الملكية بجوتا ، وبمجموعة شبرنجر بالمكتبة الملكية ببرلين ، وبمكتبه الدار الهندية بلندن .

وأقدم هذه النسخ جميعا ، المخطوطة التي رمز لها بالرمز(ف) ، التي يبدأ الإسناد بها بابن حيويه الذي يستند في قراءة له على أحمد بن معروف بن بشر بن موسى الخشاب في شهر شعبان من سنة ٣١٨ هـ ، ولكن كاتبها لا يثبت تاريخ كتابته إياها . وابن حيويه المقصود هو أبو عمر محمد بن العباس بن محمد بن زكرياء بن يحيى بن معاذ بن حيويه الخزاز ، الذي روى عن أبي الحسن أحمد بن معروف بن بشر بن موسى الخشاب ، عن أبي محمد الحارث بن محمد بن أبي أسامه التميمي (ت ببغداد ٢٨٢ هـ) عن أبي عبدالله محمد بن سعد بن منيع ، وهو مؤلف الطبقات (ت ٢٣٠ هـ) كما ورد في أول الطبقات .

وفي المخطوطة (ف) هذه ، كتب بآخر ورقة بخط قديم وبقلم أحد القراء ، أنه قرأها عام ٩٩٥ هـ فقد كتب : (ثم طالع في هذا الكتاب فقير ربه الوهاب العبد إليه حسن بن أحمد الجوهري – عفا الله عنهما عام ٩٩٥ هـ) .

أما النسخة (ب) فقد ورد بها : (الطبقات الكبير تأليف أبي عبدالله محمد بن سعد الكاتب رواية أبي محمد الحارث بن أسامه التميمي عنه ، رواية أبي الحسن بن حيويه عنه ، رواية أبي محمد الحسن بن على بن محمد الجوهري عنه ، رواية أبي بكر محمد ابن عبدالباقي بن محمد الأنصاري عنه) .

ونلاحظ أنه سقط من سلسلة الرواة اسم أبي الحسن أحمد بن معروف الخشاب وأن أبا

بكر محمد بن عبدالباقي بن محمد الأنصاري روى عن أبي الحسن الجوهري قارىء النسخة (ف) .

أما النسخة التي رمز لها بالرمز (جـ) فهي رواية الشيخ يوسف بن خليل الدمشقي ، وإن كانت لا تحوي أي دليل على أصلها أو أي إجازة أيضا ، وإنما ورد بالصفحة الأولى من النص أنها رواية يوسف بن خليل عن أستاذه عبدالله بن دهيل بن كاره . بذلك يمكن القول بأن النسخة كتبت في حياة يوسف بن خليل ، أي فيها بين سنتي ٥٥٥ هـ ، ٦٤٨ هـ . ويوسف ابن خليل المعني ، هو الشيخ الإمام محدث الشام ومسنده شمس الدين أبو الحجاج يوسف ابن خليل بن عبدالله الدمشقي ، الذي روى عن أبي محمد عبدالله بن دهيل بن علي بن كاره ، وهو ممن روى عن أبي بكر بن محمد بن عبدالباقي بن محمد بن عبدالله الأنصاري رواية المخطوطة (ف) .

أما المخطوطتان اللتان رمز لهما بالرمز (أ) ، (و) فترجعان جميعا إلى نسخة الدمياطي ، فالمخطوطة (أ) هي إجازة بهاء الدين عبدالمحسن لابن سيد الناس (ت٧٣٤هـ بالقاهرة) الذي فرغ من نقلها في ٩ شعبان سنة ٧٠١ هـ عن نسخة الشيخ بهاء الدين ، وهي منقولة عن نسخة أخرى كانت في حوزة شرف الدين بن فضل الله الدمشقي ، كتب بها النص الذي تلقاه الدمياطي (٦٤٧هـ) عن يوسف بن خليل بن عبدالله الدمشقي في حلب .

والدمياطي ، هو الشيخ الإمام شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن الدمياطي (ت ٧٠٥ هـ /١٣٠٦ م) وهو الذي روى عن الشيخ يوسف بن خليل رواية المخطوطة (جـ) .

كذلك ترجع المخطوطة (و) إلى الشيخ الدمياطي أيضا ، وهي أفضل المخطوطات جميعا ، لوضوح خطها ولدقه ناقلها العالم الكاتب أحمد الحكاري ، الذي نقلها سنة (٧١٨ هـ) وقد حملها إلى أوروبا سير وليام موير .

ومن هذا نرى ، أن كتاب **الطبقات** قد تناولته ثمانية أجيال مختلفة حتى وصلت إلينا روايته ، وإذا عرفنا أن ابن سعد قد توفى حوالي ٢٣٠ هـ ، وأن الشيخ شرف الدين الدمياطي وهو آخر سلسلة الرواة قد توفى عام ٧٠٥ هـ ، تبين لنا أن العمر الزمني لهذا الكتاب قد بلغ زهاء خمسمائة عام حتى وصل إلى راويته الأخير الشيخ شرف الدين ، وعنه نُقلت النسخ المخطوطة جميعًا .

طبعة ليدن ومحتويات أجزاء الكتاب :

وكتاب **الطبقات الكبير** صدر ـ في طبعة ليدن هذه ـ في تسعة أجزاء ، استغرقت أخبار النبي ﷺ منها الجزء الأول بقسميه . وقد قدَّمه المؤلف بفصل تمهيدي تناول فيه تاريخ الأنبياء السابقين ، وتاريخ أجداد محمد ﷺ ، ثم تعرَّض لتاريخ حياة الرسول ﷺ في طفولته وشبابه حتى بعثته ، ساردًا الحوادث التي مرت عليه منذ أول الدعوة إلى الإسلام حتى الهجرة حيث ينتهي القسم الأول . أما القسم الثاني من الجزء الأول فيبدأ بالحديث عن العهد المدني ، ويبسط القول في أوامر النبي وبعثه الرسل بكتبه ، ووفود القبائل عليه ، وطريقة معيشته .

ونجده يفرد الحديث بالقسم الأول من الجزء الثاني لغزوات النبي ﷺ ، وينهي السيرة بالقسم الثاني من هذا الجزء بالحديث عن سيرة النبي ، ومرضه ، ووفاته ، وميراثه ، وما قيل فيه من المراثي ، كل ذلك في إسهاب وتفصيل ، حتى ليمكن أن نعد هذين الجزأين كتابا قائما بذاته . ولا غرابة إذًا في أن يذكر صاحب **الفهرست** من كتاب ابن سعد كتاب أخبار النبي (وإن كان لا يذكر غيره) وينهي ابن سعد الجزء الثاني من المخطوطة بالحديث عن أبرز الفقهاء بالمدينة ، ويمكن أن يعد هذا مقدمة للطبقات التي يصدرها في الجزء الثالث عن رواته الذين تحدث عنهم ساخاو في مقدمته ، وهو يترجم في هذا الجزء بقسميه لجميع من شهدوا بدرًا من المكيين (جـ ٣ ق ١) والمدنيين (جـ٣ ق ٢) .

أما الجزء الرابع ، فيترجم ابن سعد في قسمه الأول للمهاجرين والأنصار ، من لم يشهدوا بدرًا ، ولهم إسلام قديم ، وقد هاجر عامتهم إلى أرض الحبشة وشهدوا أُحُدًا ، وما بَعدها من المشاهد . وفي القسم الثاني ترجم للصحابة الذين أسلموا قبل فتح مكة .

وفي الجزء الخامس ، ترجم للطبقتين الأولى والثانية من أهل المدينة من التابعين ، وللطبقة الأولى من أهل مكة ممن روى عن عمر بن الخطاب وغيره ، وأورد القول لتسمية من نزل في الطائف من أصحاب الرسول ﷺ ، ومن كان بعدهم من الفقهاء والمحدثين كما تعرَّض لتسمية من نزل اليمن من أصحاب الرسول ، ومن نزلها بعدهم من المحدثين ، كما خلص من ذلك إلى تسمية من نزل اليمامة أيضا من أصحاب الرسول ، ومن نزلها بعدهم من الفقهاء والمحدثين ، وختم الجزء الخامس بالحديث عن تسمية من كان بالبحرين من أصحاب الرسول . أما الجزء السادس ، فقد ورد تسمية من نزل الكوفة من الصحابة ، ومن كان بها بعدهم من التابعين وغيرهم من أهل الفقه والعلم ، ثم ترجم للطبقة الأولى من

الكوفة بعد الصحابة ممن روى عن الخلفاء الراشدين الأربعة ، وعن عبدالله بن مسعود وغيره ، وانتهى الحديث عن الطبقة الثانية التي وردت عن العبادلة الثلاثة (ابن عمر وابن عباس وابن عمرو) ، وجابر بن عبدالله ، والنعمان بن بشير ، وأبي هريرة ، وغيرهم .

وضمَّن الجزء السابع الحديث عن الطبقات الثالثة حتى التاسعة ، ثم بدأ في تسمية من نزل البصرة من أصحاب الرسول ، ومن كان بعدهم من التابعين وأهل العلم والفقة ، وكذلك الحديث عن الفقهاء والمحدثين والتابعين من أهل البصرة من أصحاب عمر بن الخطاب ، كذا الحديث عن الطبقات الثانية حتى الثامنة من أهل البصرة .

واتبع المنهج نفسه في الحديث عن أهل خراسان متحدثا عمَّن غزاها ومات بها ، ومن كان بها ، وبالرِّي وهمدان ، وقُمّ ، والأنبار ، وأتبعه أيضًا في الحديث عن أهل الشام وأهل الجزيرة ومصر ، مختتما الجزء السابع بالحديث عمَّن كان بأيلة وإفريقيا والأندلس .

أما الجزء الثامن ، فقد خصصه لتراجم النساء اللاتي شاركن في حياة النبي العامة والخاصة ، واللاتي روين عنه الحديث ، أوكنّ شاهدات عليه . وبذلك تم كتاب الطبقات الذي أفرد له ساخاو جزءا تاسعا لتصنيف الفهارس المختلفة لهذا العمل الجليل .

ساخاو ، ومدرسة برلين الاستشراقية :

يُعد الأستاذ إدوارد ساخاو Edward Sachau (١٨٤٥ – ١٩٣٠) الذي أصدر هو وتلاميذه طبعة ليدن هذه ، ممثل الاستشراق الرسمي بالإمبراطورية الألمانية آنذاك . فقد درس في مطلع حياته على الأستاذ ديلمان Dillmann الذي عُرف بتخصصه في اللغة الحبشية بجامعة كيل kiel سنة ١٨٦٤ ، كما تتلمذ على خليفته نلدكه Nöldeke ، ثم تركه بعد أن قامت بينهما منازعات حادة ، ورحل عام ١٨٦٥ إلى ليبزج حيث درس على الأستاذ فليشر Fleicher وحيث حصل على الدكتوراه سنة ١٨٦٧ . وبعد ذلك مباشرة قام بتحقيق كتاب **المعرب** للجواليقي ، في صورة تدل على طول باعه في الميدانين اللغوي والنحوي .

وفي عام ١٨٦٩ عين أستاذا خارج هيئة التدريس بجامعة فينا ، ثم أستاذا داخل هيئة التدريس عام ١٨٧٢ ، ثم عين أستاذا بجامعة برلين عام ١٨٧٦ .

ولم يتعرَّف ساخاو على الشرق إلا عام ١٨٧٩ – ١٨٨٠ حين أرسلته الحكومة البروسية

في (رحلة علمية إلى سوريا والعراق) كتب عنها كتابه المعنون بهذا الاسم سنة ١٨٨٣ .

وفي عام ١٨٦٩ تعهد لدار ترجمة ذخائر الشرق بلندن Oriental Translation Fund بترجمة كتاب **الآثار الباقية** للبيروني إلى الإنجليزية ، وبدأ أولا بإصدار طبعة عربية ساعده الأستاذ فيستنفلد Wüstenfeld في تصويبها ، على حين استعان بالأساتذة المختصين في الأمور الفلكية والرياضية أيضًا ، ثم ظهرت الترجمة الإنجليزية عام ١٨٧٩ وبعد ذلك تفرغ لتحقيق كتاب **الهند** للبيروني ، ولم يتمكن من إصداره إلا بعد خمس عشرة سنة أي عام ١٨٨٧ مستعينا بمخطوطة جيدة ، وفي العام الثاني أصدر الترجمة الإنجليزية للكتاب .

واستطاع ساخاو بهذين العملين الجليلين أن يعرّف الغرب برجل من كبار علماء العصور الوسطى .

ولا يقلل من أهمية عمله هذا مطلقا أن ثمة الآن مخطوطات أجود وأكمل لكتاب **الآثار الباقية** أو أن الدراسات الهندسية قد خطت خطوات تجعلنا أكثر فهما (**لكتاب الهند**) .

وفى عام ١٨٩٧ أصدر ساخاو في سلسلة الكتب الدراسية ، التي يقوم بنشرها بمعهد الدراسات الشرقية ببرلين ، بحثا عن الشريعة الإسلامية من وجهة نظر الشافعية . ثم شرع في القيام بتحقيق كتاب **الطبقات الكبير** ، ذلك العمل العظيم الذي دل على طول باعه في الدراسات العربية . ويكفى أن يُرجع إلى مقدمته التي كتبها للقسم الأول من الجزء الثالث ، والذي صدر قبل غيره من أجزاء الكتاب ، وقد ضمت دراسة قيمة مستفيضة للروايات التاريخية قبل ابن سعد ، وبحثا عميقا عن المؤلف والكتاب ، يبين أهميته ويدلل على المكانة التي يستحقها بين كتب الطبقات . وقد قام ساخاو بتحقيق بعض القسم الثاني من الجزء الأول ، والقسم الأول من الجزء الثالث ، والثاني من السابع . كما قام بوضع الفهارس بالجزء التاسع (قسم أول وثان) . وظل ساخاو طوال حياته يتابع هذا العمل العظيم الجاد حتى توفى سنة ١٩٣٠ قبل أن يصدر القسم الثالث من الجزء التاسع .

ولم يقصر ساخاو نشاطه العلمي على ميدان العربية فحسب ، فقد قام بنشر مجموعة أعمال باللغة السريانية . ففي عام ١٨٧٠ حقق ترجمات سريانية لأعمال يونانية ، وفي عام ١٨٨٠ أصدر بالاشتراك مع كارل جورج برونز تحقيقا لكتاب **القانون** السرياني الروماني الذي يرجع تأليفه إلى القرن الخامس الميلادي ، مع ترجمه له صدرت ١٩٠٧ - ١٩١٤ في ثلاثة أجزاء باسم : القانون السرياني . كذلك قام سنة ١٨٩٩ بعمل فهارس لمجموعة النقوش

والمخطوطات الأدبية السريانية التي حملها معه من رحلته الأولى إلى الشرق ، مضيفا إليها المجموعات السريانية الأخرى الموجودة بمكتبة برلين . كما قام بنشر مجموعات **البرديات** التي وجدت عام ١٩٠٦ - ١٩٠٨ بجزيرة الفيلة واوستراكا بتكليف من متحف برلين .

وقد ساعد ساخاو على تحقيق الكتاب تلاميذه الذين درسوا عليه بمعهد الاستشراق ببرلين ، والذين يذكرهم فيك Fück في كتابه (الدراسات العربية بأوروبا تحت مدرسة برلين) إلى جوار مدرسة ليبزج التي كوَّنها هناك الأستاذ أوجست فيشر August Fischer (١٨٦٥ - ١٩٤٩) . فقد أشرك الأستاذ ساخاو تلاميذه في القيام بتحقيق هذا العمل العظيم ، فقام أويجن متفوخ (١٨٧٦ - ١٩٣٢) بتحقيق القسم الأول ، من الجزء الأول كما حقق الملازم الست الأولى من الجزء الثاني أيضا . والحق أن متفوخ قد تخصص أصلا في ميدان اللغة الحبشية والحميرية والسبئية ، وقد ظهر اهتمامه واضحا بجنوب الجزيرة بصدور كتابه (من اليمن Aus dem Jemen) سنة ١٩٢٦ ، الذي أصدر فيه التقرير العربي عن رحلة الباحث الرحالة هرمان بورشارت Hermann Burchard الأخيرة ، كما أورد فيه أيضا نماذج من لهجة صنعاء .

كذلك أصدر مع بوليوس لبيرت Yulis Lippert بالاشتراك مع طبيب العيون يوليوس هيرشبرج Julius Hirschberg كتاب (**أطباء العيون العرب** Die arabischen Augenärzte الذي صدر في جزئين سنة ١٩٠٤ -١٩٠٥) في ترجمة ألمانية . وقد قام الاثنان أيضا بمساعدة هيرشبرج في إصدار أعمال أخرى مثل كتب طب العيون التعليمي عند العرب Lehrbücher der Augenheilkunde ، كما قدم متفوخ أيضا الأستاذ فريدريش سارى Frie-drich Sarre مساعدات لغوية في دراساته عن تاريخ الفن الإسلامي .

أما يوسف هوروفتس Josef Horovitz(١٨٧٤ - ١٩٣١) فقد وهب معظم حياته لدراسة فجر الإسلام ، فإن رسالة الدكتوراة التي تقدم بها سنة ١٩١٨ كانت عن **مغازي الواقدي** ، كما أنه أصدر من **طبقات ابن سعد** الجزأين اللذين يتعلقان بغزوات محمد ﷺ وبمحاربي بدر المدنيين (القسم الأول من الجزء الثاني ، والقسم الثاني من الجزء الثالث) .

وقد قام بتكليف من (ل . كييتنس L. Kaetnis) بالبحث في مكتبات القاهرة ودمشق واسطنبول عن المخطوطات العربية ذات الفحوى التاريخي . كذلك فإن اهتمامه بتحقيق **هاشميات الكميت** إنما ينبعث أساسا من اهتمامه بالتاريخ .

ولاشك في أن طول مدة إقامته بالهند مدرسا للغة العربية بالكلية المحمدية الإنجليزية الشرقية Anglo - Mohammedan Oriental College سنة ١٩٠٧ - ١٩١٤ وقارئا رسميا من قبل الحكومة للمخطوطات الإسلامية ، كان له أكبر الفضل في جعله عالما لايشق له غبار بمعرفة الإسلام بالهند ، الأمر الذي جعل عمله أثناء إقامته بفرانكفورت بعد ذلك (١٩١٥ - ١٩٣١) يرتكز أساسا على دراسة فجر الإسلام ، وعلى الأخص الدراسات القرآنية[١] ، وقد اعتنى هوروفتس في دراساته للقرآن بالناحية اللغوية أيضًا وانتهج خطة للقيام بوضع معجم لغوي لما ورد بالأدب العربي القديم من ألفاظ . ولذلك أوصى معهد الاستشراق بالجامعة العبرية التي أسست عام ١٩٢٥ بعمل جزازات لكل الألفاظ التي وردت بدواوين شعراء الجاهلية وصدر الإسلام والعصر الأموي المطبوعة ، كذلك حث هذا المعهد على إصدار **أنساب الأشراف** للبلاذري .

وقد قام فريدريش شفاللى Friedrich schwally (١٨٦٣ - ١٩١٩) بتحقيق القسم الثاني من الجزء الثاني للطبقات سنة ١٩١٢ ، وهو لاينتمي أصلا إلى مدرسة برلين وإنما كان أحد تلامذة نلدكه . كان قد أصدر عام ١٩٠٢ طبعة مقبولة من كتاب **المحاسن والمساويء** للبيهقي ، وإن كان لم يعن بوضع فهارس له . ولعل أعظم عمل له هو إصدار جزأين من كتاب **تاريخ القرآن** لنلدكه Geschichte des Qorans مع التعليق عليه (١٩٠٩ - ١٩١٩) . أما الجزء الثالث والأخير ، فقد أصدره برجشتراسر وبرتزل عام (١٩٢٦ - ١٩٣٨) .

ويوليوس ليبرت Julius Lippert (١٨٦٦ - ١٩١١) الذي ورد ذكره آنفا عند الحديث عن متفوخ ، هو الذي قام بتحقيق الجزء الرابع من **الطبقات** بقسميه . وقد وجهه ساخاو في مطلع حياته إلى دراسة الأدب اليوناني المترجم إلى العربية ، فأصدر معتمدا على الدراسات التمهيدية التي قام بها أوجست ميللر August Müller مقتطفات من كتاب **تاريخ الحكماء** لابن القفطي عام ١٩٠٣ . وكان ليبرت خبيرا باللغات الإسلامية بشمال إفريقيا ، بعد أن عكف على دراستها إثر زيارة لطرابلس الغرب وتونس بتكليف من معهد الاستشراق ببرلين الذي كان يعمل به .

ويعد كارل فيلهلم تسترستين Karl Wilhelm Zettersteen (١٨٦٦ - ١٩٥٣) الذي قام بتحقيق الجزء الخامس والسادس بقسميه ، من أشهر تلاميذ ساخاو الذين تخصصوا في علوم العربية أساسا مثل هوروفتس . فقد كانت رسالته للدكتوراه التي تقدم بها سنة ١٨٩٥ تحقيقا

(١) Koranische Unter Suchungen.

لألفية ابن عبد المعطي . وقام بعد ذلك بإصدار كتابه **دراسات عن تاريخ سلاطين المماليك** في الفترة بين ٦٩٠ - ٧٤٧هـ ، معتمدا في ذلك على مخطوطات عربية. Beiträe Zur Geschichte des Mamluken - Sultane in den Jahren 690 - 747

وعندما طعن في السن بدأ في إصدار طبعة لكتاب **شمس العلوم** لنشوان الحميري .

كان تسترستين واسع الثقافة غزير العلم ، فقد أصدر كتابه **دراسات نوبية** سنة ١٩١١ Nubische Studien من تراث الأستاذ ألمكفيست Almkvist . كما قام في المجلة التي أسسها باسم هلال الشرق Le Monde Oriental بالعددين ٢٢ ، ٢٨ بوصف المخطوطات العربية والفارسية والتركية بمكتبة جامعة أوبسالا Die arabischen, perschen, und tur- kischen hss, der Universitätsbibliothek zu Uppsala كما أنه أرسل إلى دائرة المعارف الإسلامية الكثير من المقالات عن الخلفاء والولاة والشخصيات السياسية الهامة التي عرفت بدقتها وعمقها .

أما برونو ميسنر Bruno Meissner (١٨٦٨ - ١٩٤٧) الذي قام بتحقيق القسم الأول من الجزء السابع من **الطبقات** ، فإن ميدان تخصصه أساسا هو اللغة الأكدية (البابلية والآشورية) ، كما أن ميدان تخصص متفوخ كان السبئية والحبشية إلا أنه دلل على اهتمامه بالعربية بإصدره الأمثال والألغاز والأشعار والقصص التي وجدها أثناء قيامه بالحفريات في بابل بالعددين الرابع والسابع من مجلة MSOS AS ، وبالعدد الخامس ص ١ - ١٤٨ من مجلة .B Ass . وبذلك كان أول من قدَّم لنا أخبارا مستفيضة عن لهجة جنوب العراق .

أما كارل بروكلمان Carl Brockelmann (١٨٦٨ - ١٩٥٦) محقق الجزء الثامن من **الطبقات**(١) ، فهو مثل شفاللى لا ينتمي إلى مدرسة برلين ، ولا يعد من تلاميذ ساخاو ، وإن كان يحتل في ميدان الاستشراق مكانة ممتازة لما قام به من أعمال جليلة . تعلم العربية والآرامية والسريانية وهو طالب ، كما درس اليونانية واللاتينية والتركية بجامعة روستوك . وفي عام ١٨٨٨ التحق بجامعة ستراسبورج ، وتتلمذ على الأستاذ نلدكه ، فدرس السنسكريتية والأرمنية وقواعد الهندوجرمانية المقارنة التي طبقها فيما بعد على اللغات السامية . وبعد حصوله على الدكتوراة من جامعة ستراسبورج عمل بالتدريس في جامعة برسلاو ولوينجزبرج ، ثم عين بجامعة هالة حيث بقي يزاول التدريس حتى توفى عام ١٩٥٦ .

---

(١) أفردنا لـ (بروكلمان) دراسة خاصة عن تحقيقه للجزء الثامن للطبقات .

ونظرة عابرة إلى أهم مؤلفات بروكلمان كفيلة بأن تشعر القاريء بمدى نشاط هذا العالم الجليل ، ومدى ما قدَّمه للعلم والباحثين من خدمات تجل عن الوصف . ففي عام ١٨٩٠ أصدر كتابا بعنوان **العلاقة بين كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير وكتاب تاريخ الطبري** وقد كان هذا الكتاب موضوع رسالته للدكتوراة بجامعة ستراسبورج فيما بعد سنة ١٨٩١ . وفي عام ١٨٩٥ أصدر **المعجم السرياني** الذي مازال يعد أفضل المعجمات في هذه اللغة حتى الآن ، ثم أصدر كتابه في النحو السرياني سنة ١٩٠٢ ، وفي عام ١٩٠٢ أيضًا كتاب **دراسة في الآشورية** ، وأعقبها ببحث عن **نظرية الأصوات الحلقية في الآشورية** سنة ١٩٠٣ ، ثم أصدر دراسة مقارنة عن **تاء التأنيث في اللغات السامية** ، وفي عام ١٩٠٤ كتب بحثا عن الأصوات في اللغة العبرية ، كما أن له في نفس السنة بحثا بعنوان (اللغة السامية) ، أما كتابه عن أصول القواعد النحوية المقارنة في اللغات السامية ، فقد صدر جزأين عام ١٩٠٨ - ١٩١٣ .

وأشهر كتب بروكلمان ولاشك ، هو كتاب تاريخ الآداب العربية ، صدر الجزء الأول منه عام ١٨٩٨ ، والثاني عام ١٩٠٢ ، وصدر ملحق الكتاب الأول عام ١٩٣٧ ، والثاني ١٩٣٨ والثالث ١٩٤٢ .

ولايفوتنا هنا أن نذكر كتاب تاريخ الشعوب الإسلامية الذي صدر عام ١٩٣٩ ، وبذلك نرى أن حياة علمية خصبة كان هؤلاء المستشرقون يحيونها ، وكيف قدموا لنا خلالها الكثير من الأعمال العلمية الجادة .

أود ألا أغفل في الحديث هنا عن مدى عناية الأستاذ ساخاو واهتمامه بالدقة في التحقيق الأمر الذي دعاه إلى إرسال مسودات طبع القسم الأول من الجزء الثالث بعد قيامه بتحقيقه إلى معالي وزير المعارف المصرية آنذاك فخري باشا ، راجيا منه أن يقوم بعرضه على السادة علماء الأزهر الشريف ، لمراجعته والتعليق عليه ، فكان أن حظى بمراجعة فضيلة الشيخ محمد عبده ، فقام الشيخ بالمراجعة والتصحيح ، وإعادة النسخة الثانية إلى المحقق الذي أورد تصحيح الشيخ شاكرًا له فضله بالتعليق . ويربو عدد المواضع التي قام الشيخ بتصحيحها على مائة وخمسين موضعا . وتصحيح الشيخ محمد عبده إنما يدل على قدرة لغوية فائقة ، وسعة إطلاع لا حد لها ، وإن كنا نفتقر في كثير من الأحيان لمعرفة المصادر أو المراجع التي عدَّل بمقتضاها طريقة نطق اللفظ أو أصلح من العبارة . وإذا ما أمعنا في المواضع التي جرى قلم الشيخ عليها بالتعديل أو التصويب أمكننا أن ندرجها غالبا في ثلاثة

أقسام : قسم عدَّل فيه من الشكل مثل التعليق على قسم ١ ص ٨٤ س ١١ (أُقِرُّ ، قراءة الشيخ محمد عبده) (أَقرُّ) وعلى ص ١٤ س ٢١ الفُلُس : قراءة الشيخ (الفَلْس) (راجع ياقوت جـ ٣ ص ٩١١) ، وقسم عدَّل فيه النقط ، مثل التعليق على ص ١٠٢ س ١١٢ (كذا أشْغَبت) قراءة الشيخ (أَشفيتُ) . وقسم ثالث أزاد فيه لإقامة النص ، مثل التعليق على ص ١٩٧ س ١٤ (أُقَدَمُ فَتُضْرَبُ) قراءة الشيخ (أَنْ أُقَدَّمَ فَتُضرَبَ) .

وقد حرص ساخاو بعد رجوع النسخة المصححة إليه على إثبات ما دبجته يراع الشيخ جميعه ، وإن كانت الدقة العلمية قد ألجأته إلى محاولة تتبع ذلك بالمصادر اللغوية والمراجع العربية المختلفة ، فنجده يتقبل بعضها ويرتضيه ويحض القارئ على أن يتبعه مثل ما ورد في التعليق على ص ٣٠٠ س ١٧ (ألوتْ) أقرأ (أَلَوتَ) كما اقترح الشيخ محمد عبده ، وأحيانا يرجح قراءة الشيخ ، وإن كان لايستطيع أن يجزم بها ، مثل ما ورد في التعليق على ص ٨٩ س ٢٥ (اذهب ، راجع أسد الغابة جـ ٣ ص ٣٨٧ س ٣و ٤ وابن حجر بالإصابة جـ ٢ ص ١١٠٨ س ٩ ، ويجوز أن تكون القراءة (اذْهَبْ) كما اقترح الشيخ في ص ٩٦ س ١٥ . وفي بعض المواضع يجد أن قراءة الشيخ قد وردت في مراجع أخرى ، فينص على ذلك مثلا في التعليق على ص ١٩٠ س ٣ ، (رِزاح قراءة الشيخ رزَاح) وعلى هذا ابن دريد بالاشتقاق ص ٣٢ س ٣ ، أو يجد القراءتين فيكتب ذلك أيضًا مثل التعليق على ص ١٩٨ س ١٨ (يَرفا ، قراءة الشيخ (يرفأُ) كذا حيثما وردت ، وقد جاءت اللغتان بالمعجمات) على أنه حينما تختلف قراءته مع قراءة الشيخ ، ولايقنع بتلك الأخيرة ، يأتي بالدليل على صحة قراءته مما رجع إليه من مصادر ، أو مراجع مثل : ما ورد في التعليق على ص ١٥٢ س ١٨ (عُدَس ، قراءة الشيخ عُدُس ، وقراءتي نص عليها ابن دريد في كتاب الاشتقاق ص ١٤٢) ، أو التعليق على ص ١٢ س ١ (سُلْمَى ، قراءة الشيخ (سَلْمَى) راجع بتاج العروس جـ ٨ ص ٣٤١ س ٦ (سلمى كسكرى ، وابن دريد بالاشتقاق ص ١٤٩ س ١٨ والمثبتة ص ٢٧١ س ٢) ، وكذا بالتعليق على ص ١٦٥ س ٥ حيث يقول : قراءة الشيخ سَلمى وسُلمى وردت أيضًا بأسد الغابة جـ ١ ص ٢٦٥ (سُلمى بضم السين والإمالة) ، وفي التعليق على ص ١٣٦ س ٢٤ (اطَّلاعه) وقراءة الشيخ (اطلاعه) والصحيح عندي (اطَّلاعه) راجع المفصل ص ٩٨ .

والحق إنني كنت أحيانا افتقد فعلا إلى معرفة السبب في تعديل الشيخ لقراءة بعض الألفاظ أو الأسماء . فمثلا بالتعليق على ص ١٦ س ٥ (فطْريان ، قراءة الشيخ قَطَريَّان) أما قراءتي فاعتمادا على ما ورد في تاج العروس جـ ٣ ص ٥٠٠ س ٢٥ - ٢٦ . وفي التعليق على

ص ١٧٥ س ٧ (عنكشة ، الاسم غير معروف لديّ بمصادر أخرى ، ولكن ورد لدى ابن دريد بالاشتقاق ص ٣٢٧ س ١٣ اسم عنكش ، ومعنى عنكشة باللسان جـ ٨ ص ٢١١ (تجمع) وقراءة الشيخ عَنْكَشَ) . ولكن عدم نص الشيخ على مصادره لا ينفي أنه أدى خدمة جليلة للنص ومحققه ، بالتعديلات التي أجراها ، وكان لها أبعد الأثر في معظم الأحيان لإضافة معنى جديد أو إيضاح معنى مبهم مثلما رأينا قبل .

أما عن طبعة كتاب **التحرير للطبقات** ، فقد حرصت الدار على إصدارها في نفس الصورة التي ظهرت بها طبعة ليدن ، لما لهذه الطبعة من قيمة علمية جليلة وتيسيرا للباحثين والدارسين ، إذ إن هذه الطبعة يكثر الرجوع إليها والاستشهاد بها في كافة الأبحاث والدراسات العلمية حتى الآن . ولم أجر أي تعديل على منهج التحقيق وطريقته بل اكتفيت بترجمة ما ورد بالتعليق إلى العربية ، دون مراجعة لأرقام الصفحات والأسطر التي يحيل إليها المحقق بأي كتاب من الكتب ، إلا أنني قمت فقط بتعديل أرقام الآيات القرآنية الوارد ذكرها بالتعليق حتى تطابق الأرقام الواردة بالمصاحف التي بين أيدينا .

كذلك عدلت عن اتباع طريقة المستشرقين التي اصطلحوا عليها ، في الاكتفاء بإيراد الأرقام العددية لصيغ الأفعال المجردة والمزيدة وذلك بالأعداد الرومانية لغرابتها على القارئ العربي ، فبدلاً من أن أكتب (حضر ×) مثلا أكتب (استحضر) .

وإنني لأؤثر أو أورد هنا صيغ الأفعال المجردة والمزيدة ومقابلها العددي لدى المستشرقين ، حتى يستطيع القارئ العربي أن يتعرفها ولا يفاجأ بها إن وجدها بكتاب آخر .

فعل	I	فعّل	II	فاعل	III
أفعل	IV	تفعل	V	تفاعل	VI
انفعل	VII	افتعل	VIII	افعلّ	IX
استفعل	X	افعالّ	II		

أما عن العبارات والألفاظ التي وردت بلغات وحروف سامية أخرى مثل الحبشية والعبرية فقد حرصت على الإتيان بها كما وردت ، كما حرصت على القيام بذلك عند استشهاد المحقق بألفاظ وعبارات باللغة اللاتينية أو اليونانية أو بلغة أوربية حديثة مثل الألمانية أو الإنجليزية أو الفرنسية .

على أنني أهمل هذا في بعض الأحيان ، إن كان المراد من إيراد المحقق لذلك هو توضيح العبارة العربية فقط للقارئ الأجنبي ، الذي لا يتقن العربية اتقان القارئ العربي لها ، مما يجعله يفهم النص دون الحاجة إلى زيادة شرح أو توضيح . كذلك تركت بعض هذه العبارات الواردة باللغات الأوروبية ، حينما تكون مأخوذة من معجم للغة العربية بالإنجليزية أو الفرنسية ، مثل معجم لين Lane أو دوزى Dozy بالمواضع التي لا يحتاج إقامة فهم النص إليها .

ولا يفوتني أن أذكر هنا . حرصي على ترجمة عبارة الأساتذة المستشرقين الألمانية ترجمة أمينة ، ما دامت اللغة العربية تسمح بذلك ومادامت العبارة العربية واضحة لا تعقيد فيها ولا إبهام . وإنما أردت بذلك أن أجعل القارئ العربي يتعرف أسلوب كل مستشرق وطريقته في الكتابة ، وإن كان المستشرقون جميعا يتميزون كغيرهم من المتخصصين الألمان بأن جملهم عُلَبيّة متداخلة ، تكثر فيها التفريعات والجمل الاعتراضية والوصفية والموصولة .

كما أنني حرصت على إيراد تشبيهاتهم واستعاراتهم كما هي ، وإن كانت غريبة أحيانا على القارئ العربي ، مشيرا إليها أحيانا حتى لايساء فهمها دون أي داع لذلك ، فمثلا يقول ساخاو بالمقدمة عن علي بن أبى طالب (رضي الله عنه) : فعندما وضع عليّ التاج ، الذي طالما طمع فيه وتطلع إليه ، على رأسه ثم غادر أواخر صيف سنة ٦٥٦ بخيله وأتباعه المدينة إلى غير عودة خيم على المدينة صمت أشبه بصمت القبور .

وقد نبهت على ذلك بالهامش ، مبينا أن التعبير هنا غربي محض ، إذ أن الإسلام لا يعرف التاج ولا الصولجان . كذلك تركت آراؤهم كما هي ، ولم أحاول أن أدخل عليها أي تعديل كما تقتضي أمانة الترجمة ، وإن كنت حرصت في بعض الأحيان على أن أنبه على مخالفة الرأي للواقع التاريخي وللشريعة الإسلامية بالهامش .

هذا وقد قمت بإثبات تصويب لبعض الألفاظ التي وردت خطأ في الطبقات ، وإن كنت لم أتمكن من إثباتها جميعا ، حرصا على عدم الإطالة أولا ، ولأن معظم ما أهملته في عدم القيام بتشكيل بعض أسماء الأعلام وإهمال علامة التشديد . وقد آثرنا في هذه الطبعة ألا نقتصر على الرمز ـ الوارد في طبعة ليدن ـ في «حدثنا» ، «وأخبرنا» . فبدلا من «نا» كتبنا «حدثنا» وبدلا من «انا» كتبنا «أخبرنا» .

عَلاماتُ التَّمَلُّك على المَخْطوطات
وإعادَةُ بِناءِ مجموعاتِ المَخْطوطات العربية القَديمة

أ . د . أيمن فؤاد سيد*

تُعَدُّ دِراسَةُ تاريخ مَجْموعاتِ المَخْطَوطات والمَعْنيين بَجَمْعها ، وتَسْجيل قائمة بَأسْماء المـلاك المتتـالين لنُسْخَة أو مَجْـموع ، والأماكِن التي تَنَقَّلَ بينهـا المَخْطوط ، أَحَـد أَهَمِّ مَجالاتِ تَطْبيقِ عِلْم المَخْطوطات أو الكوديكولوجيا codicologie .

ويمكن القِيامُ بهذا العَمَلِ من خِلال عَلاماتِ التَّمَلُّك التي تَوجَد عادَةً على ظَهْرِيَّة المَخْطُوطات ، وقد تُوجَد أحيانًا في نهايتها أو بغاشيتها . وتَتَضَمَّنُ هذه العَلاماتُ مَعْلومات تُسَجِّل هُوِيَّة جامعي الكُتُب أو اسْم المكتبة التي كان المُجَلَّدُ مَحْفُوظًا فيها .

ولاحَظْتُ من خِلال تَعامُلي مع فَهارس المَخْطُوطات الشَّرْقية ـ سَواءً التي صَدَرَت في أوروبا أو في البلاد العربية والإسلامية ـ أَنَّها لا تَتَعَرَّضُ أطْلاقًا لتواريخ المجموعات وتكوُّنها وخَواصِّها المميِّزَة ، أو ذِكْر نُبذ عن حَياة جامعي هذه المَخْطوطات والطَّريقة التي جُمعَت بها ؛ فعادَةً ما تَنْتَقِل مِلْكيةُ المَخْطوطات بعد وَفاة مالك النُّسْخَة الأولى أو اضْطراره لبيْعها ، أو عند عَرْضِ نُسَخ بعض الكُتُب للبَيْع في سُوق الوَرَّاقين إلى مالِك جَديد . ويُثْبتُ أَصْحابُ هذه النُّسَخ على ظَهْرِيَّات هذه المَخطوطات الطَّريقَة التي انْتَقَلَت بها إليهم ، وعادَةً ما يذكرون أنَّها انتقَلَت إلى حَوْزَتِهم عن طَريق البَيْع الشَّرْعي .

وتُساعدُ هذه التَّمَلُّكات أحيانًا في تَحْديدِ تاريخ تَقْريبي للنُّسَخ التي لا يُعْرَفُ لها تاريخُ نَسْخ ، كما تُساعـدُ على مَعْرِفة رِحْلَة النُّسْخَة وانْتقالِها من يَد إلى يد أو من بَلَد إلى بَلَد . كذلك فإنَّنا نَتَعَرَّف من هذه التَّمَلُّكات على خُطُوط العَديد من العُلَماء المشهورين أو هُوَاة جَمْع الكُتُب الذين آلَت إليهم هذه النُّسَخ . كما أنَّ وَجودَ النُّسْخَة في حَوْزَة عالِم شهير يَمْنَحها أصالَةً وثقَةً أكبر ، حيث تَتاحُ لهذه النُّسْخَة فُرْصَةُ مُراجَعَة هذا العالم لها وتَصْحيحها . وتُفيدُنا هذه التَّمَلُّكات أيضًا في التَّعَرُّف على أسماء كثير من أصْحاب خزائِن الكُتُب ومُحِبِّيها في التاريخ الإسلامي ، ونوعية الكُتُب التي اهْتَمُّوا باقْتنائها وجَمْعها .

وعلى امْتداد التاريخ الإسلامي ، كانت المَخْطوطاتُ العربية تُكْتَبُ أو تُنْسخُ لأغْراضٍ كثيرة ، فالمُؤَلِّفُ الذي يُعِدُّ مُسَوَّدَةً أو مُبَيَّضَةً لأحَد مُؤَلَّفاته ، يكون هو المالكُ الأوَّل لهذه النُّسْخَة ، كما أنَّ العُلَماءَ والباحثين الذين يَنْسَخُون نُسَخًا لاسْتِخْدامهم الشَّخْصي من

(*) خبير مخطوطات .

المؤلَّفات المعروفة ، يكونون أيضًا هم المُلاك الأوائِل لهذه النُّسَخ . وعادَة ما يحمل حَرْدُ مَتْنِ (colophon) هذه النُّسَخ الصِّيَغ التالية :

١ - «كَتبه مُؤلِّفُه . . . ؛ نَجز على يد مُؤلِّفه . . .» .

٢ - «كَتَبَ بخَطِّه لنَفْسه . . . ؛ فَرَغَ من كَتْبه لنَفْسه . . . ؛ كَتَبَها بخَطِّ يده لنَفْسه . . . ؛ عَلَّقه لنفسه . . . ؛ نَسَخَه لنَفَسْه . . . إلخ .

ويَدْخُل تحت هذه النَّوْع نُسَخُ الكُتُب التي يأمُرُ الخُلفاءُ والسَّلاطينُ والأُمَراءُ من الوَرَّاقين كتابتها لهم ليضيفوها إلى خَزَائن كُتُبهم الخاصَّة ، وفي هذه الحالة فإنَّنا نَجِدُ على ظَهْرِيَّة هذه النُّسَخ اسْم صاحِب المكتبة الذي كُتِبَت لِخزانَته هذه النُّسْخَة بأحَدِ العبارات التالية :

«لِخزانَة . . . ؛ برَسْم الخزانَة . . . ؛ برَسْم خزانَة . . . ؛ برَسْم المقام العالي . . .» .

وعادَةً ما تكونُ هذه النُّسَخ مكتوبةً بخُطوط مَنْسوبة ، ومُزيَّنَةً بالألْوان والتَّزاويق والذَّهَب واللازَوَرْد ، ويُطْلِقُ عليها الدَّارسُون المُحْدَثُون : «المَخْطوطات الخَزائنية» .

وأُقدِّم فيما يلي نماذجَ لعَلامات التَّمَلُّك كما جاءَت ، سواءً على كُتُبِ الخَزائن الملكية أو خَزائن كُتُب العُلَماء أو خَزائن كُتُب السَّلاطين أو للمجموعات الخاصَّة .

١ - الخَزائنُ الملكية

الخَزائنُ الملكية هي خَزائِنُ الكتب المُلْحَقَة بقُصُور الخُلَفاء ، مثل : بَيْت الحِكْمة في بَغْداد العَبَّاسيَّة ، والقَصْر الخِلافي في قُرْطُبَة بالأنْدَلُس ، وخِزانَة كُتُب الفاطِميين في القاهِرَة .

وكانت لِخزانَةُ الكُتُب التي كَوَّنها الخُلَفاء الأُمَويون في قُرْطُبَة بالأنْدَلُس ، والتي بدأ بتكوينها الخَليفَةُ الحَكَم الثاني المُسْتَنْصِر (٣٥٠ - ٣٦٦هـ/ ٩٦١ - ٩٧٦م) شَهْرَة كبيرةً جَذَبَت تَقْدير ومُبالَغَة الكُتَّاب منذ إنْشائها وحتى الآن . يقول ابْنُ حَزْم - أوَّلُ من وَصَفَها - «إنَّها كانت تَشْمَل على أكثر من أربع مائة ألف مجلَّد وأنَّ عَدَدَ الفَهارِس التي فيها تسمية

(١) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبدالسلام هارون ، القاهرة - دار المعارف ، ١٠٠ ؛ ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، بولاق ، ٤ : ١٤٦ ؛ المقري : نفح الطيب ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت - دار صادر ، ١ : ٣٨٥ - ٣٨٦ ؛ Wasserstein, D., «The Library of al-Hakam II al-Mustansir and the Culture of Islamic Spain», *MMEV* (1990 -91), pp. 95 - 105.

Lévi-Provençal, E., «Un manuscrit de la bibliothèque du calife al-HakamII», Hespéris XVIII (1934), pp. 198 - 200 ؛ وانظر كذلك خوليان ريبيرا : «المكتبات وهواة الكتب في أسبانيا الإسلامية» (ترجمة جمال محرز) ، مجلة معهد المخطوطات العربية ٤ (١٩٥٨) ، ٨٨ .

كُتُبها أربع وأربعون فهرسًا ، في كُلِّ فهرس خمسون ورقة ، ليس فيها إلا ذكْر أسْماء الدَّواوين لا غير»[١] . ووَصَل إلينا من بين نُسَخ هذه المكتبة نُسْخَةٌ من كتاب «**مُخْتَصَر أبي مُصْعب أحمد بن أبى بكر الزُّهْري**» التي أمَرَ بكتابتها لِخزانةَ الخَليفَة الحكم الثَّاني المُسْتَنْصِر . وقد كُشفَ عن هذه النُّسْخَة قبل أكثر من ستين عامًا في جامع القَرَويين بفاس بالمغرب ، وتحمل الصفحة الأخيرة من هذه النُّسْخَة العبارَةُ التالية :

«وكَتَب حُسَيْن بن يوسُف عبد الإمام الحَكَم المُسْتَنْصر بالله أمير المؤمنين ، أطالَ الله بقاءَه وأدامَ خِلافَتَه في شَعْبان من سنة تسع وخمسين وثلاث مائة» .

وتُقَدِّم لنا هذه النُّسْخَة من ناحية تاريخ الخَطّ أُنْموذجًا مهمًّا للخَطّ المعروف بـ«شَبيه الكوفي» الذي يُمَثِّل مرحلةً هامَّة في تَطَوُّر الخَطّ العربي .

ومن بين خَزائن الكُتُب الملكية ، تُعَدّ «خِزانَةُ الكتب الفاطمية» ـ التي أسَّسَها الفاطِميون في القاهِرَة ـ أحَد أهَمّ خَزائن الكُتُب الإسلامية ، والتي وَصَفَها المؤَرِّخُ الشِّيعي يحيى بن أبي طيّ بأنَّها «من عَجائب الدُّنْيا ويُقالُ إنَّه لم يكن في جَميع بلاد الإسلام دارُ كُتُب أعْظَم من التي كانت بالقاهِرَة في القَصْر . وأنَّها كانت تحتوي على ألف ألفٍ وستٍ مائة ألف كِتاب ، وكان فيها من الخُطُوط المنسوبة شيءٌ كثير»[١] . ورَغْم ما يبدو على هذا الرقم من مُبالَغَة ، إلا أنَّه يَدُلُّ على عِظَم حَجْم هذه الخِزانة وما احْتَوَت عليه من المجلَّدات . ويُعَلِّقُ المَقْريزي على الرَّقَم الذي أَوْرَدَه ابن أبي طيّ بأنَّه ليس ببَعيد ، حيث ذَكَرَ غيرُ واحدٍ من المُؤَرخين أنَّ القاضي الفاضِل وَقَف على مَدْرَسَته التي أنشأها سنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م بدَرْب مُلُوخْيا بالقاهرة مائة ألف مجلَّدَة أخَذَها من جملة خِزانَة الكتب التي بالقَصْر ، قبل أن يأمُر ببيعها وتشتيتها السُّلطان النَّاصرُ صلاح الدِّين يوسُف بن أيُّوب . ورغم أنَّ خِزانَة كُتُب المَدْرَسَة الفاضِليَّة كانت من بين أهَمِّ خَزائن الكُتُب في العَصْر الإسلامي ، فإنَّها ذَهَبَت وَتَفَرَّقَت في نهاية القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي في أعْقاب الغَلاء الذي شهدته مصر في سنة ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م[٢] .

ووَصَل إلينا من بين كُتُب خِزانَة الفاطميين بالقاهِرَة ثلاثَةُ كُتُبٍ فقط تأكَّد لدينا أنَّها

---

(١) المقريزي : المواعظ والاعتبار ، طبعة بولاق ، ٢ : ٣٦٦ .

(٢) المقريزي : المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، (لندن ـ مؤسسة الفرقان ـ ٢٠٠٢) : ؛ أبو شامة : الروضتين ١ : ٥٠٧ .

كانت من بين كُتُبِ خِزانَة القَصْر الفاطمي هي : النُّسْخَةُ الوحيدة من كِتابِ «التَّعْليقات والنَّوادِر» لأبي علي الهَجَري الذي تحتفظُ دارُ الكتب المصرية بقسم منه تحت رقم ٣٤٢ لُغَة ، بينما تحتفظ ببقيّة هذه النُّسْخَة مكتبة الجمعية الأسيوية بالبِنْغَال بكلكتا بالهند . وقد كُتِبَت هذه النُّسْخَة في بَغْداد ثم انتقلت في نهاية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي إلى «الخزانَة السَّيِّديَّة الأجَلِيَّة الأفْضَلِيَّة الجُيُوشيَّة السَّيْفِيَّة النَّاصِريَّة الكافِلِيَّة الهادية عَمَّرَها الله بدائم العز» . وهذه العبارَةُ تعبيرٌ عن الألْقابِ الشَّرَفِيَّة للوزير الفاطمي السَّيِّد الأجَلّ الأفْضَل أمير الجُيُوش سَيْف الإسلام ناصِر الإمام كافِل قُضاة المسلمين وهادي دُعاة المؤمنين شاهِنْشَاه بن بَدْر الجمالي الذي تَوَلَّى الوَزارة في الفترة بين سنتي ٤٨٧هـ - ٥١٥م/ ١٠٩٤ - ١١٢١م ، وكانت له خِزانَة كُتُبٍ ضَخمة بها خمس مائة ألف مجلَّد من الكُتُب . ثم صارَت هذه النُّسْخَة بعد فَتْرَةٍ من مَقْتَل الوزير الأفْضَل شاهنّشاه «للخزانة السَّعيدة الفائزية عَمَّرها الله بدائم العِزّ والبَقَاءِ أي إلى خِزانة الخَليفَة الفاطمي الفائز بنَصر الله (٥٤٩ - ٥٥٥هـ/ ١١٥٤ - ١٦٦٠م) .

وقد بقيت القطعتان بالقاهِرة بعدَ خروجهما من خِزانَة كُتُب الفاطميين ، وربما كانتا من بين الكُتُب التي وَقَفَها القاضي الفاضِل على مَدْرَسَته بِدَرْب مُلُوخْيا بالقاهِرَة ، فقد اطَّلَعَ عليهما عالِمٌ نَحوي جَليل هو أحمد بن عبدالقادِر بن أحمد بن مَكْتُوم القَيْسي ، المتوفى سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م ، وكَتَبَ على طُرَّة كلٌّ واحدة منهما العبارَة التالية :

«طالَعَه ونَقَلَ منه فَوائِدَ الفقيرُ إلى الله تعالى أحمد بن عبدالقادر ابن أحمد بن مَكْتوم بن أحمد القَيْسي» .

وبقي قِسمٌ من هذه النُّسْخَة في القاهِرَة وضُمَّ إلى رَصيدِ دار الكتب المصرية في نهاية القرن التاسع عشر وذُكِرَ في فهرست اللغة تحت رقم ٣٤٢ لغة ، بينما انتقلَ بقيَّتُها إلى الهند في تاريخ لا نعلمه . وللأسف فإنَّ القطعة الموجودة بدارالكتب قد حَلَّ محلَّها الآن نُسْخَةٌ مُصَوَّرَةٌ على الوَرَق عن نُسْخَة الهِنْد ، والأثَرُ الوَحيدُ لها الآن هو صُورَة فوتوستاتية أُخِذَت لها سنة ١٩٥٤ ، وأُضيفَت إلى رَصيدِ الدّار برقم ٦٥٥٣هـ .

والكتابُ الثَّاني هو النُّسْخَة الوحيدة أيضًا من كتابِ «حَذْفٍ من نَسَبِ قُرَيش عن مُؤَرِّج ابن حُبَيْش النَّجَيْرَمي البَغْدادي الكاتِب النَّحْوي ، المتوفى سنة ٣٤٣هـ/ ٩٥٤م» ، بالخط الكوفي المشرقي أو الخطِّ الشَّبيه بالكوفي (semi-coufique) ، فقد جاءَ في حَرْدِ مَتْنِها :

«تَمَّ الكِتابُ والحمدُ لله حَقَّ حَمْدِه على كُلِّ حال وصلى الله على رَسُولِه

محـمـد وعلى أهْل بيته الأخْيار وسلَّم على عبـاده المصطفين ومستغـفِرًا لله .
وكَتَبَ إبراهيم بن عبدالله بن محمد النَّجَيْرَمي الوَرَّاق» .

وقُرأت هذه النُّسْخَة في بَغْداد سنة ٣٦٥هـ/٩٧٦م على الشّيْخ أبي القاسم عُمَر ابن محمد بن سَيْف في منزل الشَّيْخ بالجانِب الغربي من بَغْداد ، فقد جاءَ على غاشِيَة الكتاب بحذاء قوله : «تَمَّ الكتاب» :

«بَلَغَت بقراءَة أبي الحَسَن محـمـد بن العَبَّاس بن الفُرات أيَّدَه الله على الشَّيْخ أبي القاسم عمر بن محمد بن سَيْف أيَّدَه الله في شهـر رَمَضان من سنة خمس وستين وثلاث مائة وسَمعَ المُسَمَّون في أوَّله» .

وهؤلاء المُسَمَّون أُثْبِتت أسماؤهم في إجازَةٍ وَرَدَت على هامِش ظَهْرِيَّة الكتاب .

وظَلَّت هذه النُّسْخَة تُتداوَل بين أيْدي العُلَماء حتى انْتَقَلَت إلى مصـر ، إذ نَجِد على ظَهْرِيَّة النُّسْخَة «مُناوَلَةً» للكتاب مُؤَرَّخةً في سنة ٤٢٥هـ/ ١٠٣٤م كتبها «الحسين بن محمد الفَرَّاء البَغْدادي بمصر في شهر ربيع الأوَّل سنة خمسٍ وعشرين وأربع مائة حامِدًا لله ومُصَلِّيًا على نَبيِّه محمدٍ وآلِه» .

ثم دَخَلَت هذه النُّسْخَة بعد ذلك في منتصف القرن السَّادس الهجري/ الثَّاني عشر الميلادي بين كُتُب خِزانَة القَصْر الفاطمي فقد جاءَ على ظَهْرِيَّتها :

«للخزانَة السّعيدةَ الظَّافرِيَّة عَمَّرَها الله بدائم العِزّ والبَقَاء» .

أي خِزانَةَ الخليفَة الفاطمي الظَّافِر بأعْداء الله (٥٤٤ - ٥٤٩هـ/ ١١٥٠ - ١١٥٤م) . وقد انْتَقَلَت هذه النُّسْخَةُ بعد خُروجها من خِزانَة كُتُب الفاطِميين وذِهاب خِزانَة كُتُب المَدْرَسَة الفاضِلية في تاريخ نجهله إلى المغرب الأقْصى ، حيث وُقِفَت على زاوية النَّاصِري بتامَكْروت في جنوب المغرب وظَلَّت حَبيسَة بها إلى أن نَقَلها عالِمُ المخطوطات المغربي السَّيِّد إبراهيم الكِتَّاني إلى الخِزانَة العامَّة بالرِّباط سنة ١٩٥٨ .

أمَّا النُّسْخَةُ الثَّالِثَة فهي المجلَّدُ العاشِر من كِتاب «الأغاني» ، لأبي الفَرَج علي بن الحسين الأصْفَهاني الكاتب ، المتوفى سنة ٣٥٦هـ/ ٩٦٧م ، ويحوي هذا المُجَلَّد الجزأين التاسع عشر والعشرين من الكتاب من نُسْخَةٍ ترجع إلى القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي ، كُتب على ظهْريتها :

«للخِزانَة السَّعيدة الظَّافِرِيَّة عمَّرَها الله بدائم العِزّ والبَقَاء» .

وتوجد هذه النُّسْخَة الآن في دار الكتب المصرية ومحفوظة بها تحت رقم ٤٢٧ أدب أحْضِرَت إليها كما هو مُدَوَّنٌ على ظَهْريتها :

«من جامع السُّلْطان حسن وأُضيفَت في ٥ يولية سنة ١٨٨١» .

وجاءَ على غاشِيَة المُجَلَّد وَقْفيَّةُ النُّسْخَة على مَدْرَسَة السُّلطان حسن بالقاهرة ، وهي المَدْرَسة التي أنشأها السُّلْطانُ المملوكي النَّاصِرُ حسن بن محمد بن قَلاوون أسْفَل قَلْعَة الجَبَل في مَيْدان الرُّمَيْلَة بين سنتي ٧٥٨ ـ ٧٦٢هـ/ ١٣٥٦ - ١٣٦٠م ، والتي جَعَلَ بإيوانها البَحْري خزانَةً «لَخَزْن ما عَساه أن يكون بالمكان المذكور من المصاحِف والرَّبْعات الشَّريفَة والكُتُب»[١] . ونَصُّ هذه الوَقْفيَّة هو :

«هذا ما أوَقَفَ العَبْدُ الفقير إلى الله تعالى أبو المحاسِن الحسن بن محمد ابن قَلاوون ـ عَفا الله عنه ورحمه ـ وهو من كتاب «الأغاني» لله تعالى على طَلَبَةِ العِلْم الشَّريف ينتفعون به انتفاع أمثالهم وَقْفًا صَحيحًا شَرْعيًا لا يُباعُ ولا يُوهَب ولا يُورَّث ولا يكون إلا مِلْكًا لله إلى أبد الآبدين ، وشَرَطَ النَّظَرَ في ذلك للإمام محمد بن النَّقَّاش ، وشَرَطَ على مُسْتَعيره برَهْنٍ مَقْبُوضٍ أن لا يغيب به أكثر من ثلاث أشهر ، ويكون مَقَرّه بالجامع المَنْسُوب للعمارَة ﴿فمن بَدَّلَه بعدما سَمعَهُ فَإنَّمَا إثْمُهُ عَلَى الَّذين يُبَدِّلُونَه﴾[٢] . وكُتِب في شهور سنة خَمْسٍ وسبع مائة ، وكفى بالله شَهيدًا» .

وواضِحٌ من تاريخ الوَقْفِيَّة اهْتمامُ السُّلْطان النَّاصِر حسن بِجَمْعِ الكُتُبِ لِخزانَة مَدْرَسَته قبل الشُّرُوع في بِنائِها .

وتَحْتَفظُ المكتبةُ الوطنيةُ في باريس Bnf تحت رقم ٥٩٨٥ بنُسْخَةٍ من كِتاب «رَبيع الأبْرار» لأبي القاسم محمود بن عُمَر الزَّمَخْشَري ، المتوفى سنة ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م ، كُتِبَت برَسْم خِزانَة الخَليفَة العَبَّاسي المُسْتَنْصِر بالله (٦٢٣ - ٦٤٠هـ/ ١٢٢٥ - ١٤٢٢م) ، حيث جاءَ على ظَهْريَّتها :

«للخِزانَة الشَّريفة المُقَدَّسة النَّبَوية الطَّاهِرية الذَّكيَّة الإمامية المُسْتَنْصِريَّة

---

(١) كتاب وَقْف السُّلْطان النَّاصر حسن بن محمد بن الحارثي ، (النشرات الإسلامية ـ ٤٥ ، بيروت ٢٠٠١ ، قلاوون على مدرسته بالرُّمَيْلَة ، حققته وعلّقت عليه هويدا) ١٦٠ .

(٢) البقرة : ١٨١ .

أعَزَّ الله بدَوام دَوْلَة مالِكِها انتصار الإسلام وجَعَلَها باقية على الأنام محمد وآله» .

كما تَحْتَفِظُ مكتبةُ أحمد الثَّالث بإستانبول ، تحت رقم ٢٣٩٢ ، بنُسْخَة من كِتاب «الأنْوار ومَحاسِن الأشْعار» لأبي الحَسَن علي بن محمد بن المُطَهَّر العَدَوي المعروف بالشَّمْشاطي ، المتوفي بعد سنة ٣٧٧هـ/ ٩٨٧م ، كُتِبَت برَسْم خِزانَة آخر الخُلَفاء العبَّاسيين المُسْتَعْصِم بالله (٦٤٠ - ٦٥٦هـ/ ١٢٤٢ - ١٢٥٨م) جاءَ على غاشيتها :

«لِخزانَة سَيِّدنا ومَوْلانا الإمام المُفْتَرَض الطَّاعَة على كافَّة الأنام أبي أحمد عبدالله المُسْتَعْصِم بالله أمير المؤمنين خَلَّد الله دَوْلته وأَتَمَّ عليه نِعْمَتَه» .

وقد آلت ملكيةُ هذه النُّسْخَة في القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادي إلى الأديب المُؤَرِّخ خليل بن أَيْبَك الصَّفَدي .

٢ - خَزائِنُ العُلَماء

بالرَّغم من أنَّ كِبارَ العُلَماء كانوا يكتبون بخَطٍّ يدهم العَديدَ من النُّسَخ لاسْتِخْدامهم الشَّخْصي ، فقد كانوا يَطْلُبون أحْيانًا إلى الوَرَّاقين أن يَنْسَخوا لهم بعض نُسَخ الكتب الهامَّة ليضمُّوها إلى خِزانَةَ كتبهم مثل : نُسْخَة كِتاب «حِلْيَة الأولياء» لأبي نُعَيْم الأصُفَهاني المحفوظة الآن في مكتبة الفاتح برقم ٤٣٢٩ والتي كَتَبَها أحمد بن علي بن سَعْد سنة ٥٥٨هـ/ ١١٣٦م لخِزانَة كُتُب العالم المعروف أبي الفَرَج بن الجَوْزي .

ونُسْخَة «ديوان البُحْتَري» التي كَتَبَها علي بن عبيد الله الشِّرازي في تِبْريز في رَمَضان سنة ٤٢٤هـ/ ١٠٣٣م لِخزانَة الأستاذ أبي المُظَفَّر إبراهيم بن أحمد بن اللَّيْث ، وهي محفوظة الآن في مكتبة كوبريلي بإستانبول برقم ١٢٥٢ ، والتي جاءَ على ظهريَّتها :

«ديوانُ البُحْتُري الوَليد بن أبي عُبادَ . كتَبَه علي بن عبيد الله الشِّرازي بمَدينَة تِبْريز في سنة أرْبع وعشرين وأربع مائة في شهر رمَضَان منها ، وخَدَمَ به خِزانَةَ كُتُب الأستاذ الجليل أبي المُظَفَّر إبراهيم بن أحمد بن اللَّيْث أطالَ الله في العِزِّ والنَّعْماء بقاءه وأدَام عُلاه» .

وعليٌّ بن عبيد الله الشِّرازي ، ناسِخ هذه النُّسْخَة ، وَرَّاقٌ معروف فقد وَصَلَت إلينا أيضًا بخَطِّه نسخة من كِتاب «إصْلاح المَنْطِق» لابن السِّكِّيت محفوظة الآن في مكتبة كوبريلي بإستانبول برقم ١٢٠٩ ، فَرَغَ من كتابتها يوم الاثنين الثَّاني عشر من شَعْبان سنة سبع وأربعين

وأربع مائة ؛ وكذلك نُسْخَة كِتاب «النَّوادِر» لأبي مِسْحَل الأعْرابي وهي الكتابُ الثَّاني في نفس المجموع المحفوظ في مكتب كوبريلي برقم ٢/١٢٠٩ . وإبراهيم بن أحمد بن اللَّيْث - الذي كَتَبَ له عليّ بن عبيد الله الشّرازي نسخة «ديوانِ البُحْتُري» - أديبٌ لُغَوي خضر مَجْلِسَه في هَمَذان الأُدَباءُ والنُّحاةُ لمحلِّه من الأدَب ولا نَدْري سنة وفاته[1] .

والنُّسْخَةُ الوحيدة من كِتاب «المُقْتَضَب في النَّحْو» لأبي العَبَّاس محمد بن يَزيدٍ المُبَرِّد ، المتوفى سنة ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م ، أحد أهَمِّ المُؤلَّفات الأولى في النَّحْو العربي . وتوجد أيضًا في مكتبة كوبريلي بإستانبول ، وتشتمل على أربعة أجزاء في مجلَّدين ، تحت رقم ١٥٠٧ - ١٥٠٨ كتبها مُهَلْهَل بن أحمد البَغْدادي - أحد تلاميذ الخَطَّاط المعروف ابن مُقْلَة - في بَغْداد سنة ٣٤٧هـ/ ٩٥٨م لِخزانَة أبي الحسين محمد بن الحسين العَلَوي . وقد صَوَّبَ هذه النُّسْخَة بخَطِّه في نفس العام النَّحوي المعروف أبو سعيد السِّرافي ، المتوفى سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٩م . وجاء على ظَهْريَّة الجزء الثَّاني منها على سبيل المثال :

«الجزء الثَّاني من كِتاب المُقْتَضَب
تأليف أبي العَبَّاس محمد بن يَزيد المبَرِّد
كَتَبَه مُهَلّهَل بن أحمد
لأبي الحسين محمد بن الحسين العَلَوي

قرأتُ هذا الجزء من أوَّله إلى آخِره وأصْلَحْتُ ما فيه وصَحَّحْتَه فما كان فيه من إصْلاحٍ وتخْريج بغير خَطِّ الكِتاب فهو بخَطِّي ، وكَتَب الحسن بن عبدالله السِّرافي» .

ويُقَدِّمُ أحيانًا بعضُ المُؤلِّفين مؤلَّفاتهم إلى كُتُب الأُمَراء والوُزَراء مثل كتاب «المُغْرب في حُلَى المَغْرب» الذي أهدى مُكَمِّلُ تَصْنيفه علي بن سعيدٍ المغربى النُّسْخَة التي كَتَبَها بخَطِّه إلى خِزانَة كُتُب الصَّاحِب كمال الدِّين أبي القاسم عمر بن أحمد بن هِبَة الله بن أبي جَرادَة العُقَيْلي ، فقد جاءَ على ظَهريَّة الجزء الرابع من الكتاب المحفوظة في دار الكتب المصرية برقم ١٠٣ تاريخ م :

«كتبه بخَطِّه للخِزانة العَليَّة الجَليلَة الصَّاحِبيَّة الكماليَة عَمَّرَها الله ببَقَاء صَدْر الصُّدُور الشَّامية رئيس الأئمَّة الحَنَفيَّة سَيِّد الوُزَراء والأصْحاب الصَّاحِب

(١) ياقوت : معجم الأدباء نشرة أحمد فريد رفاعي ، ١ : ١١١ - ١١٢ ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ٥ : ٣١٠ .

الكبير كمال الدِّين أبي القاسم عمر بن أحمد ابن هِبَة الله بن أبي جَرادَة العُقَيْلي أحْيا الله بطولِ حياتِهِ دَوْلَة الفضائل وأبقى بدوامِ بقائه نجح الوسائل .

مُكَمِّل تَصْنيفه بإعانته علي بن موسى بن محمد بن عبدالملك بن سعيد ابن خَلَفَ بن سعيد بن محمد بن عبدالله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبدالله بن سعد بن عَمَّار بن ياسر العَنْسي الأنْدَلُسي» .

٣ - النُّسَخ المكتوبة لخزائن السَّلاطين .

كُتِبَت أغْلَبُ النُّسَخ المُقدَّمَة إلى خَزائِن كُتُب السَّلاطين أو كِبار الأُمَراء - والتي وَصَلَت إلينا - في فترةٍ متأخِّرةٍ نسبيًا (العَصْر المملوكي) مثل :

نُسْخَةُ كِتاب «فاكِهة الخُلَفاء ومُفاكِهَة الظُّرَفاء» لابن عَرَبشاه ، المتوفى سنة ٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م ، المحفوظة في مكتبة المتحف الأسيوي بمدينة سان بُطْرُسْبرج برقم C-651 التي كُتِبَت :

برَسْم الخِزانَة العالية المَوْلوية القاضوية الكبيرية العالمية المخدومية الزَّيْنية أبي الخَيْر محمد الظَّاهِري جَليس الحَضْرَة الشَّريفة ووكيل بَيْت المال المعمور وناظِر الجَوالي والبيمارِسْتان المنصوري بالدِّيار المصرية وما مع ذلك بالممالِك الإسلامية عَظَّمَ الله شأنه» .

وأبو الخَيْر محمد الظَّاهِري هذا - الذي كُتِبَت النُّسْخَة برَسْم خِزانته - هو زَيْنُ الدِّين أبو الخَيْر محمد بن محمد بن أحمد بن عبدالله النَّحَّاس ؛ كان أصله يبيع النحاس ثم اتَّصَل بالسُّلْطان الظَّاهر جَقْمَق وقُرِّر في وكالة بَيْت المال ونَظَرَ الجوالي سنة ٨٥١هـ/ ١٤٤٧م ، كما قُرِّرَ في نَظَر الكِسْوَة ونَظَرِ البيمارستان المَنْصوري في سنة ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م ، وأُضيف إليه نَظَرُ الذَّخيرة في سنة ٨٦٣هـ/ ١٤٥٩م ، وتوفي في عام ٨٦٤هـ/ ١٤٦٠م[١] .

ونُسْخَةُ كتاب «مُخْتَصر جامع التواريخ» لعُمَر بن مُظَفَّر بن الوَرْدي ، المتوفى سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م ، المحفوظة في مكتبة الدولة بڤيينا برقم AF 109 التي كتبت :

«برَسْم خِزانَة مَوْلانا السُّلْطان المالِك

الملك الأشْرف أبو النَّصْر قايِتْباي»

ونُسْخَة كتاب «الوافي بالوَفيات» لخليل بن أَيْبَك الصَّفَدي ، المتوفى سنة ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م ، والمحفوظة بمكتبة أحمد الثَّالِث بإستانبول برقم ٢٩٢٠ والتي كُتِبَت :

(١) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى ، ٢ : ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٦ .

«بِرَسْم خِزانة المُعِزّ الأَشْرَف الكريم العالي السَّيْفي يَشْبَك من مَهْدي أمير سِلاح ودَوادار كبير الملكي الأشرفي أَعَزّ الله نَصْرَه» .

٤ - المكتباتُ الخاصَّة

اهْتَمَّ العَديدُ من العُلَماء والهُواة بجَمْع المكتبات ، سواء لاستخدامهم الشَّخْصي أو لوَقفها على أحَدِ المساجِد أو المَدارس . ومن خِلال علامات التَّمَلُّك والوَقْف الموجودة على هذه النُّسَخ نستطيع إعادَة بِناء هذه المجموعات ـ التي تَفَرَّقتها الآن المكتباتُ العالمية ـ والتُّعَرُّف على محتوياتها .

وسأقصر حديثي فيما يلي على مكتبةٍ وَقْفية ، ومكتبتين : واحدة لعالمٍ من عُلَماء القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي ، والأخرى لأحَدِ هُواةِ جَمْع الكُتُب من القرن الثاني عشر الهجري/ الثَّامن عشر الميلادي .

المكتبةُ الوَقْفية هي **مكتبةُ المَدْرَسَة المَحْمودية** ؛ بخُط الموازنيِّين خارج باب زَوِيلَة بالقاهرة[١] ، والتي يصفها المَقْريزي بقوله : «ولا يُعْرَف اليوم بديار مصر ولا الشَام مثلها ، وهي باقيـة إلى اليوم لايَخْرُج لأحَدٍ منها كِتابٌ إلا أن يكون في المَدْرسة ، وبهذه الخِزانَة كُتُبُ الإسلام من كُلِّ فَنٍّ ، وهذه المَدْرَسة من أحسن مَدارس مصر»[٢] .

وقد أنشأ هذه المَدْرَسَة عام ٧٩٧هـ/ ١٣٩٥م الأميرُ جمال الدِّين محمود بن علي الأُسْتادَّار[٣] ، الذي وَقَفَ عليها مكتبةً ضخمة تَعَدَّت مُجلَّداتُها الأربعة آلاف مجلَّد ، كما يقول ابن حَجَر ، وكانت تُعَدُّ من أنْفَس الكتب الوجودة في وقته بالقاهِرَة ،وهذه المكتبة هي المكتبة التي جَمَعَها القاضي بُرْهان الدِّين أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالرحيم بن محمد بن جماعَة الكِناني الحَمَوي المَقْدسي ، المتوفى سنة ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨ ، في طُول عمره ، واشْتَراها محمود الأُستادَّار من تركته بعد مَوْتِه ووَقَفَها وشَرَط أن لا يَخْرُج منها شيءٌ من مدرسته[٤] .

---

(١) يَدُلّ على مكانها اليوم الجامع المعروف بجامع محمود الكردي الواقع في آخر قَصَبَة رضوان من أوَّل الخَتَمِيَّة من جهة باب زَوِيلَة عَطْفَة زُقاق المِسْك وجامع إينال .

(٢) المقريزي : المواعظ والاعتبار ، نشرة بولاق ، ٢ : ٣٩٥ .

(٣) انظر عنه ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ٩/ ٢ : ٤٧٧ .

(٤) ابن حجر : إنباء الغمر ٣ : ٢٩٩ ، ٣٥٦ .

وترجعُ قيمةُ مكتبة القاضي ابن جَماعَة ، التي اشْتراها محمود الأُسْتادَّار ، إلى احْتوائها على الكثير من الكتب النادرة والمكتوبة بخُطوط مُؤلِّفيها ، يقول ابن حجر في ترجمة القاضي ابن جَماعَة : «كان يَشْتَري النُّسْخَة من الكِتاب التي إليها المُنْتَهى في الحُسْن ، ثم يقع له ذلك الكتاب بخَطِّ مُصَنِّفه فيشتريه ولا يترك الأولى إلى أن اقْتَنى بخُطوط المُصَنِّفين ما لا يُعَبَّر عنه كثرة ، ثم صارَ أكثرُها إلى جمال الدِّين محمود الأُسْتادَّار فوَقَفها بمَدْرَسَته بالمَوازِنيِّين وانْتَفع بها الطَّلَبَةُ إلى هذا القت»[١] .

وتَولَّى الحافِظُ ابن حَجَر العَسْقلاني أمانَة هذه الخِزانَة بعد سنة ٨٢٦هـ/ ١٤٢٣م ، ونَظَرًا لنفاسَة كُتب الخِزانَة «عَمِل لها فَهرَسْتًا على الحُرُوف في أسماء التَّصانيف ونحوها وآخر على الفُنُون» .

ورَغْم أنَّ ابن حَجَر ذَكَرَ أنَّ مجموعَ كُتُب هذه الخِزانَة كان نحو أربعة آلاف مُجَلَّدَة ، فلم يتبق منها في نهاية القَرْن الماضي عندما جُمِعَت الكُتُب الموجودة في المدارس والمساجد وضُمَّت إلى الكتبخانة الخِديوية (دار الكتب المصرية) ، سوى ثمانية وخمسين كِتابًا فقط[٢] ؛ فقد خَرَجَ القسمُ الأكبر من كُتُبِ هذه الخِزانَة في أعْقاب الفَتْح العُثْماني لمصر وتَوَزَّعَتْه المكتباتُ الوَقْفيَّة التي أنْشِئَت في إستانبول والأناضُول ، ونستطيع الآن من خِلال علامَة الوَقْف التي سَجَّلَها محمود الأسْتادّار على نُسَخ مكتبته أن نُعيدَ بِناء قِسم كبير من كُتُب هذه المكتبة . وجاء نَصُّ وَقْفية محمود الأسْتادّار على جَميع خِزانته بالصِّيغَة الآتية :

«الحَمْدُ لله حَقّ حَمْده

وَقَف وحَبَّسَ وسَبَّل المُقرّ الأشْرَف العالي الجمالي محمود أسْتادّار العالية الملكي الظَّاهِري أعَزّ الله تعالى أَنْصارَه وخَتَمَ بالصَّالِحات أعمالهَ جَميع هذا الجلَّد وما قبله من المجلَّدات من كتاب [اسم الكتاب] وعِدَّةُ ذلك [عَدَد المجلَّدات] من كِتاب [اسْم الكتاب واسْم مؤلِّفه] وَقْفًا شَرْعيًا على طَلَبة العِلْم الشَّريف ينتفعون به على الوجْه الشَّرْعي وجَعَلَ مقَر ذلك بالخِزانَة السَّعيدة المُرْصَدَة لذلك بمَدْرَسَته التي أنشأها بخُطّ الموازنيين بالشَّارِع الأعْظَم بالقاهرة المحروسة ، وشَرَط الواقِف المشار إليه أن لا يخرج ذلك ولا شيء منه من

(١) نفسه ١ : ٣٥٥ .

(٢) فؤاد سيد : «نصان قديمان في إعارة الكتاب» ، مجلة معهد المخطوطات العربية ٤ (١٩٥٨) ، ١٢٣ .

المَدْرَسَة المذكورة برَهْنٍ ولا بغيره . ﴿فمَن بَدَّلَه بَعْدَمَا سَمِعَهُ فإنَّمَا إثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1] تاريخ الخامس والعشرين من شَعْبان المكرَّم سنة سبع وتسعين وسبع مائة» .

والكُتُب التي وَصَلَت إلينا منها هي : «تَجَارِب الأُمم وعَواقِب الهِمَم» لمِسْكَوَيْه ، المتوفى سنة ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م ، نُسْخَة في ستة مجلَّدات كتبت سنة ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م في مكتبة آياصوفيا برقم ٣١١٦ - ٣١٢١ ؛ «كتاب الصِّناعتين» لأبي هلال العسكري بخطِّه في مكتبة كوبريلي برقم ١٣٣٣ - ١٣٣٤ ؛ «مُعْجَم البُلْدان» لياقوت الحموي في مكتبة كوبريلي برقم ١١٦١ - ١١٦٥ ؛ «تارخ الإسلام» للذَّهبى بخَطِّه نُسْخَة في عشرة مجلدات كتبها ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م في مكتبة آيا صوفيا برقم ٢٠٠٥ - ٢٠١٤ ؛ نسخة ناقصة من «سِيَرَ أعْلام النُّبَلاء» للذَّهَبي كتبت سنة ٧٣٩هـ/ ١٣٣٩م نَقْلاً عن نُسْخَة المؤلِّف في مكتبة أحمد الثالث برقم ٢٩١٠ أ ؛ «المَعْرِفَة والتاريخ» لأبي يُوسُف يعقوب بن سُفْيان البَسَوي ، محفوظة في مكتبة روان كشك رقم ١٤٤٥ ؛ «أبْكار الأفكار في أصُول الدِّين» لسَيْف الدِّين أبي الحسن علي ابن محمد الآمدي ، المتوفى سنة ٦٣١هـ/ ١٢٣٣م ، في مكتبة آيا صوفيا برقم ٢١٦٥ - ١٢٦٦ ؛ «ديوان البُحْتُري» نُسْخَة كتبت سنة ٤٢٤هـ/ ١٠٣٣م بخَط علي ابن عبيد الله الشِّيرازي ، في مكتبة كوبريلي برقم ١٢٥٢ .

ومكتبةُ العالِم هي مكتبة الأديب المُؤرِّخ صَلاح الدِّين خَليل بن أيْبَك الصَّفَدي ، المتوفى سنة ٧٦٤هـ/١٣٦٣م ، الذي تُقَدِّم لنا مُؤلَّفاتُه العديدة كَمًّا كبيرًا من المعلومات الهامَّةَ المتنوعة ، فيذكر عن نفسه أنَّه كَتَبَ بخط يده ما يُقارب خمس مائة مجلَّدة بينها ثلاث مائة مُجَلَّدة من تصنيفه[2] . وقد بدأ عمله في النَّسْخ ابتداءً من سنة ٧١٨هـ/ ١٣١٨م حيث وَصَلَت إلينا نُسْخَتُه التي كَتَبَها لنفسه من كِتاب «وَفَيات الأعْيان» لابن خَلِّكان وهي محفوظة في مكتبة غوطا بألمانيا ، كما وَصَل إلينا عَدَدٌ هائِلٌ من الكُتُب التي كَتَبَها بخَطِّه وكذلك السَّماعات والقراءات التي سَجَّلَها على نُسَخِ مكتبته .

وقد جَمَعَ الصَّفَدي مكتبةً كبيرةً يُشير هو بنفسه إلى مُقتنياتها خِلال صفحات مُؤلَّفاته ، وعلى الأخَصِّ «الوافي بالوَفَيات» ، والتي يُشير فيها إلى تَمَلُّكه عددًا كبيرًا من المُؤَلَّفات بخُطوط مؤلِّفيها . ومن حُسْن الحَظِّ وَصَلَت إلينا العَديدُ من النُّسَخ التي تَحْمِل علامَة تَمَلُّك

---

(١) البقرة : ١٨١ .

(٢) ابن حجر : الدرر الكامنة (تحقيق محمد سيد جاد الحق ، القاهرة ١٩٦٤م) ، ٢ : ٨٨ .

الصَّفَدي لها والتي تُؤكِّد ما ذَكَرَه في مؤلَّفاته ، فمن بين هذه الكُتُب مُؤلَّفاتُ علي بن سعيد المغربي : «كنوز المطالب في آل أبي طالب» ، قال : مَلَكْته بخَطِّه في أربع مجلَّدات»[١] ؛ وكتاب «الغَراميَّات» ، قال : «وملكته بخَطِّه»[٢] ؛ وكتاب «المُشْرِق في حُلى المَشْرِق» ، قال : «مَلَكْتُ منه ثلاثة مجلَّدات بخَطِّه»[٣] ؛ وكتاب «المُغْرِب في حُلَى المغرب» ، قال : «ومَلَكْتُه بخَطِّه»[٤] ، ووَصَلَت إلينا هذه النُّسْخَة عينها حيث نجد على ظَهْرِيَّة السِّفْر الرابع منها بخَطّ الصَّفَدي :

«طالعه وانتقى منه مالِكُهُ خليلُ بن أيْبَك بن عبدالله الصَّفَدي عَفَا الله عنه» .

وعلى غُلاف السِّفْر السَّادس من النُّسْخَة نفسها :

«طالعه وعلَّق من ما اختاره مالِكُه خَليلُ بن أيْبَك عَفَا الله عنه» .

وكان من بين كُتُب مكتبته كذلك نُسْخَةٌ من كِتاب «شَرْح اللُّمَع» لأبي القاسِم عُمَر بن ثابت الثَّمانيني النَّحْوي الضَّرير ، المتوفى ٤٤٢هـ/ ١٠٥٠م ، بخَطِّ إسماعيل بن مَوْهُوب الجَواليقي حيث يذكر في ترجمته أنَّه كان «مَليحَ الخَطّ مَلَكْتُ «شَرْح اللُّمَع» للثَّمانيني بخَطِّ هذا إسماعيل وهو في مجلَّدَةٍ واحدة في غاية الحُسْن وصِحَّة الضَّبْط قَلَّ أن رأيت مثلها»[٥] ؛ وكذلك نُسْخَةٌ من «ديوان ابن بابَك» في مجلَّدةٍ واحدة بخَطِّ ابن خَروف النَّحْوي ، المتوفى سنة ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م[٦] ؛ ونُسْخَةٌ من كِتاب «المَغَازي» لأبي القاسم عبدالرحمن بن محمد ابن عبدالله بن حُبَيْش الأَنْصاري ، المتوفى سنة ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م في عِدَّة مجلَّدات بخَطِّه وهو خطٌّ مغربي جَيِّد[٧] ؛ ونُسْخَتان من «ديوان أُسامة بن مُنْقِذ» بخَطِّ يده[٨] ؛ ونُسْخَةٌ من كِتاب «فَلَكَ المعاني» لابن الهَبَّاريَّة بخط وتصْوير محمد بن أحمد بن عبدالله السُّلَمي المُصَوِّر كتبها وصَوَّرَها في المحرَّم سنة ثمانٍ وعشرين وستّ مائة[٩] .

(١) الصفدي : الوافي بالوفيات ٢٢ : ٢٥٤ .
(٢) نفسه ٢٢ : ٢٥٣ .
(٣) نفسه ٢٢ : ٢٥٢ .
(٤) نفسه ٢٢ : ٢٥٢ .
(٥) الصفدي : الوافي بالوفيات ٩ : ٢٣٠ .
(٦) نفسه ٢٢ : ٩٠ .
(٧) الصفدي : الوافي بالوفيات ١٨ : ٢٥٩ .
(٨) نفسه ٨ : ٣٨٧ .
(٩) نفسه ٢ : ١١٣ .

أمّا كُتُبُ مكتبة الصَّفَدي والتي كان يُسَجِّل عليها بخَطٍّ يده العبارة التالية : «من كُتُب خَليل بن أيْبَك الصَّفَدي» ، فقد وَصَلَ إلينا منها عَدَدٌ غير قليل مثل : «رسالة أبي عُثْمان عَمْرو بن بَحْر الجاحِظ» وهي نُسْخَة نفيسة كتبها الخَطَاطُ المعروف علي بن هِلال بن البَوَّاب محفوظة في مكتبة الأوْقاف الإسلامية بإستانبول برقم ١٠٢٤ ، وقد انْتَقَلَت هذه النُّسْخَة بعد ذلك إلى مِلْك أبي بكر بن رُسْتُم الشِّرْواني الذي سأتَحَدَّث عنه بعد قليل ؛ ونُسْخَة كتاب «الأنْوار ومَحاسِن الأشْعار» للشَّميساطي ، وهي نُسْخة خزائنية كُتِبَت في الأصْل برَسْم خِزانَة الخَليفَة المُسْتَعْصِم بالله العَبَّاسي ، محفوظة في مكتبة أحمد الثالث بإستانبول برقم ٢٣٩٢ ؛ ونُسْخَة كِتاب «الكاشِف عن رجال الكُتُب السِّتة» للحافظ الذَّهَبي المحفوظة في دار الكتب المصرية برقم ١٧ مصطلح م والتَّملُّك مُؤرَّخ سنة ٧٦٣هـ/ ١٣٦٤م ؛ ونُسْخَة ترجمة كِتاب «الحيوان لأرسطو في مكتبة جامعة ليدن برقم or 14211/12 . كما يوجد خَطُّ الصَّفَدي على ظهرية الجزء الرابع من كِتاب «مُعْجَم البُلْدان» لياقوت الحَمَوي نُسْخَة مكتبة كوبريلي رقم ١١٦٣ ونَصّه : «فَرَغَ منه ومِمَّا قبله مُخْتارًا ومُنْتَقيًا خَليل بن أيبك الصَّفَدي حامِدًا ومُصَلِّيًا» .

والمكتبةُ الأخيرة هي مكتبة أحد كبار المثَّقَّفين العُثْمانيين هو **أبو بكر بن رُسْتَم بن أحمد بن محمود الشِّرْواني** ، المتوفى سنة ١١٣٢هـ/١٧٢٢م . وهو أحَدُ كِبار هُواة جَمْع الكُتُب والتي تَتَميَّز مجموعَتُه بتنوعها ونُدرَة مجلَّدداتها إضافة إلى أهَمِّيتها . والعَديدُ من النُّسَخ المخطوطة المُوَزَّعة على مكتبات العالم مَصْدَرُها مكتبة هذا الأديب العُثْماني وتحمل كلُّها عَلامَة التَّمَلُّك الآتية :

«اللَّه حسبي . من كُتُب العَبْد الفقير إلى اللَّه أبي بكر بن رستم بن أحمد بن محمود الشَّرْواني وَفَّقه اللَّه إلى ما يحب ويرضى» .

أو «اللَّه حسبي . من كُتُب أبي بكر بن رُسْتُم بن أحمد الشِّرْواني» .

وتوجد هذه النُّسخ على الأخصّ في مكتبات إستنابول وباريس والمدَينة المنوَّرة ولَيْدن والقاهرة .

فقد كانت أسْواقُ إستانبول تَعجّ منذ نهاية القرن العاشر الهجري/ القرن السَّادِس عشر الميلادي بعَدَدٍ كبيرٍ من المخطوطات العربية والشرقية ؛ فيذكر أبو الحسن علي بن محمد بن علي التَّمَجْروتي - الذي تَوَجَّه إلى إستانبول سنة ٩٩٨هـ / ١٥٩٠م برسالةٍ من سُلْطان المغرب إلى السُّلْطان العثماني - أنَّه تُوجَد بالقُسْطَنطينية مخطوطاتُ بكميَّةٍ هائلة تَطْفح بها

المكتباتُ والأسواقُ ، وأنَّ المخطوطات تصل إليها من كلِّ أنحاء العالم ، وأنَّ اللَّه وَفَّقه إلى حَمْلِ عَدَدٍ كبير منها عظيم الأهمية[١] .

ويُؤَكِّدُ هذه الحالة رحالَّةٌ آخرون مثل المستشرق الفرنسي Antoine Galland الذي أمضى عامي ١٠٨٣ ـ ١٠٨٤هـ / ١٦٧٢ ـ ١٦٧٣م في إستانبول ، ينتقي من دكاكين الورَّاقين نَوادِر المخطوطات العربية والفارسية والتركية التى زَوَّدَ بها مكتبة الملك في باريس Bibliotheque du Roi.[٢]

وتَكْشِفُ هذه الشَّهادات إلى أي مَدَى كانت تجارةُ الكُتُب منتعشةً في العاصمة العثمانية . في هذه الظُّروف جَمَع أبو بكر بن رُسْتُم الشَّرْواني مكتبته الضَّخْمة التي تَفَرَّقت بعد وفاته وتَوَزَّعت على العديد من المكتبات العالمية . ومن مخطوطات مكتبته الموجودة في مكتبات إستانبول :

كِتاب «تَحْديد نهايات الأماكن» للبيروني ، وهي بخطِّه كتبت سنة ٤١٦هـ/ ١٠٢٥م ، في مكتبة الفاتح برقم ٣٣٨٦ ؛ وكِتاب »الذَّخائِر والتُّحَف» في مكتبة أفيون قره حصار برقم ١٤/٧٠٢ ؛ وكتاب «تَثْقيف اللِّسان» لابن مكي الصِّقِلِّي في مكتبة مُراد ملا برقم ١٧٢٥ ، ومُسَوَّدَة كتاب «المواعِظ والاعتبار» للمَقْريزي في مكتبة خزينة بمتحف طوبقبوسراي برقم ١٤٧٢ ، وكتاب «التَّعْريف بابن خَلْدون» في مكتبة آياصوفيا برقم ٣٢٠٠ ، وكتاب «تَصْحيح التَّصْحيف» للصَّفَدي في مكتبة مُراد ملا برقم ١٥٥٢ ؛ وكتاب «المُشْتَرَك وَضْعًا والمُفْتَرِق صَقْعًا» لياقوت الحموي في مكتبة آياصوفيا برقم ٤٧٦٩ ؛ وكتاب «شَرْح ديوان المُتَنَبي لابن جِنِّي» في مكتبة يوسف أغا برقم ٧٥٠٦ ؛ وكتاب «أَدَب الكاتِب لابن قُتَيْبَة في متحف الأوقاف برقم ٢٠٧١ ؛ وكتاب «السِّياسة والإمامَة» لابن قُتَيْبَة في مكتبة آياصوفيا برقم ٢٧٨٩ ؛ وكتاب «أعْلام النُّبُوَّة» للماوَرْدي في مكتبة يُوسُف أغا برقم ٥٢٥١ ؛ وكتاب «نهاية الإدْراك في دراية الأفْلاك» للشِّيرازي في مكتبة فيض الله برقم ١٣٤٩ ؛ وكتاب «مَراصِد الاطِّلاع» لابن عبدالمُؤْمن في مكتبة داماد إبراهيم برقم ٨٥٧ ؛ وكتاب «مَباهِج الفِكر ومَناهج العِبَر» للوَطْواط الكتي في مكتبة آق ساكي برقم ١٦٩ ؛ وكتاب «لَذَّة السَّمْع في رِقِّ الدَّمْع» للصَّفَدي ، في مكتبة إسماعيل صائب برقم ١٣٨٥ ؛ وكتاب «اللَّطائف من دَقائق المعارِف للمَديني ، في مكتبة جار الله برقم ٤٠٢ ؛ وكتاب «غُرَر الحِكَم ودُرَر الكلم» للآمدي في

---

(١) التمجروتي : النفحة المسكية في السفارة التركية ، ٢٩ .

(٢) Hitzel, Fr., Manuscrits, livres et culturelivresque a Istanbul, RMMM 87 -88 (1998),p.20.

مكتبة عاطف أفندي برقم ٢٢١٨ ؛ وكتاب «تَرَسُّل القاضي الفاضل» في مكتبة أيُّوب حاجي باش أغا برقم ٨٢٧ ، وكتاب «تَراجِم الفُقَهاء الشَّافعية» للأردبيلي ، في مكتبة يوسف أغا برقم ٧١١٢ ؛ وكتاب الإبْدال والمعاقَبَة» لأبي إسحاق الزَّجّاج في مكتبة أيُّوب حاجي باش أغا برقم ١٩٤ ، وكتاب «تَرْشيح العِلَل في شَرْح اللُّمَع» لابن ناصِر الحسيني ، في مَكتبة لاله لي برقم ٣٣١٤ ؛ وكتاب «الرُّوح» لابن قَيِّم الجَوْزية ، في مكتبة جامعة إسْتانبول برقم ٣٢٦٧ .

أمَّا المكتبة الوطنية في باريس BnF فتحتفظ من بين نُسَخ مكتبة أبي بكر بن رُسْتُم الشِّرْواني بالمخطوطات التالية :

«الرِّسالة القُشَيْرية» برقم ١٣٣٠ ؛ و«الآثار الباقية عن القرون الخالية» للبيروني برقم ١٤٨٩ ؛ و«الكامل في التاريخ» لاين الأثير برقم ١٤٩٣ ؛ و«مرآة الزمان» لسِبْط ابن الجَوْزي برقم ١٥٠٥ ؛ و«رَوْض المناظر في عِلْم الأواخر والأوائل» لابن الشِّحْنَة برقم ١٥٣٩ - ١٥٤١ ؛ و«إنْباء الغُمْر» لابن حَجَر العَسْقلاني برقم ١٦٠١ ؛ و«المُقَفَّى الكبير» للمَقْريزي برقم ٢١٤٤ . ويضاف إلى ذلك المخطوطات الفارسية أقام ٥٨ ، ٥٦٧ ، ٧٠ ، ٩٠ ، ١٣٥ ، ١٦٧ ، ١٨١ ، ٢٣٤ ، ٢٤٦ ، ٣٧٥ .

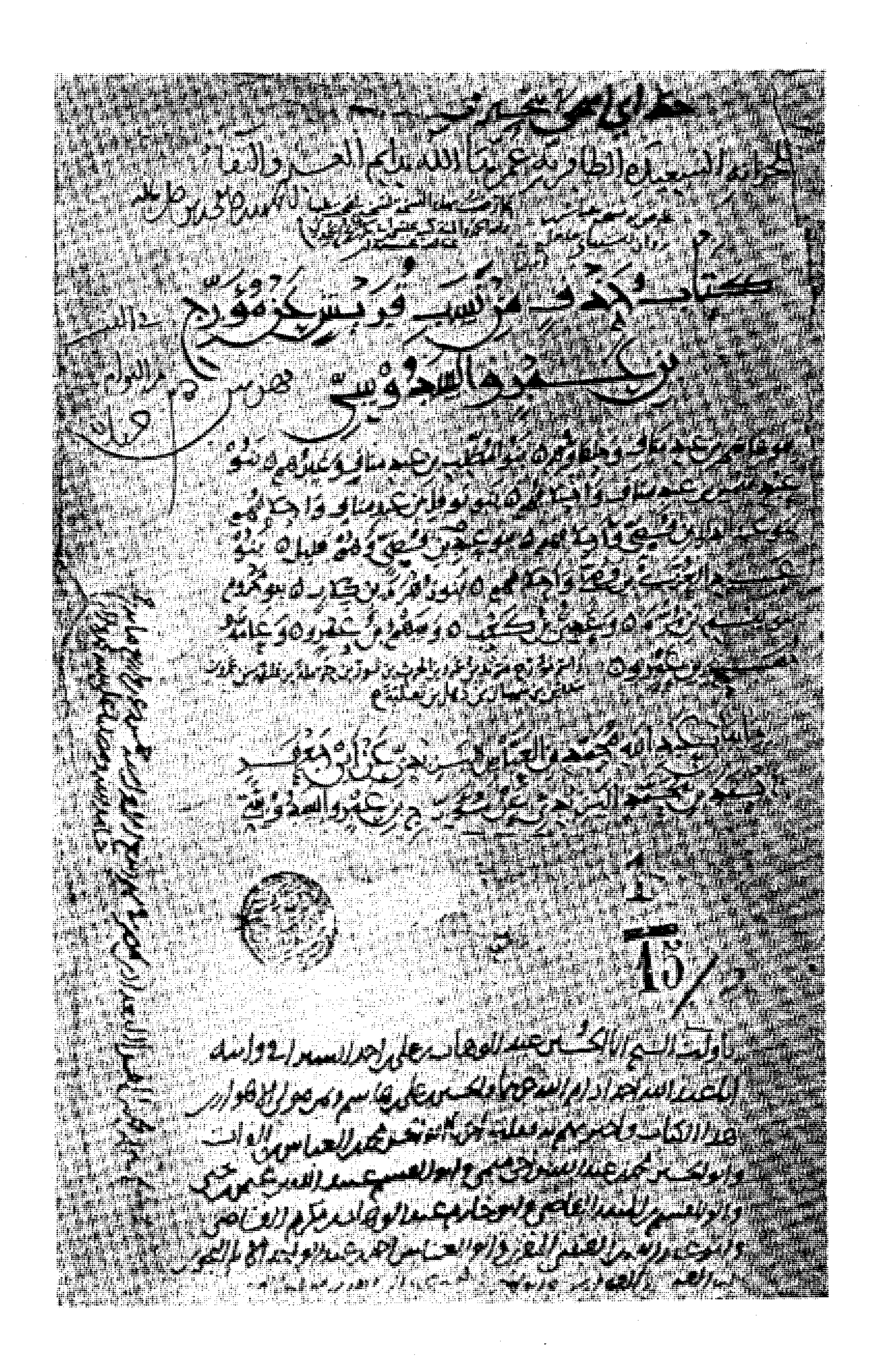
وتَحْتَفِظُ مكتبةُ شَيْخ الإسلام عارِف حكمت بالمَدينة المُنَوَّرَة بنسخةٍ من كتاب «طَبَقات الشُّعَراء» لمحمد بن سَلام الجُمَحي تحت رقم ٤٤١ ، كانت من بين مَخْطوطات مكتبته ، وبنسخة من «كتاب الضَّاد والظَّاء» لأبي الفَرَج محمد بن عبيدالله بن سُهَيْل النَّحْوي برقم ٨١ لغة .

كما تحتفظ دار الكتب المصرية بنسخة من كتاب «رياض الأُنس لعقلاء الإنس في معرفة أصل أحوال النبي ﷺ ، لأبي شجاع بن شيرويه بن فناخسرو الدَّيْلمي تحت رقم ٤٨ تاريخ م» كانت أيضًا من بين نُسخ مكتبته .

والقِسمُ الأكبر من مَخطوطات مكتبة أبي بكر بن رُسْتُم الشِّرْواني مصدرها من القاهِرة ، حيث تُوجَد عليه مُطالَعاتٌ وتوقيفاتٌ تَمَّت في القاهرة .



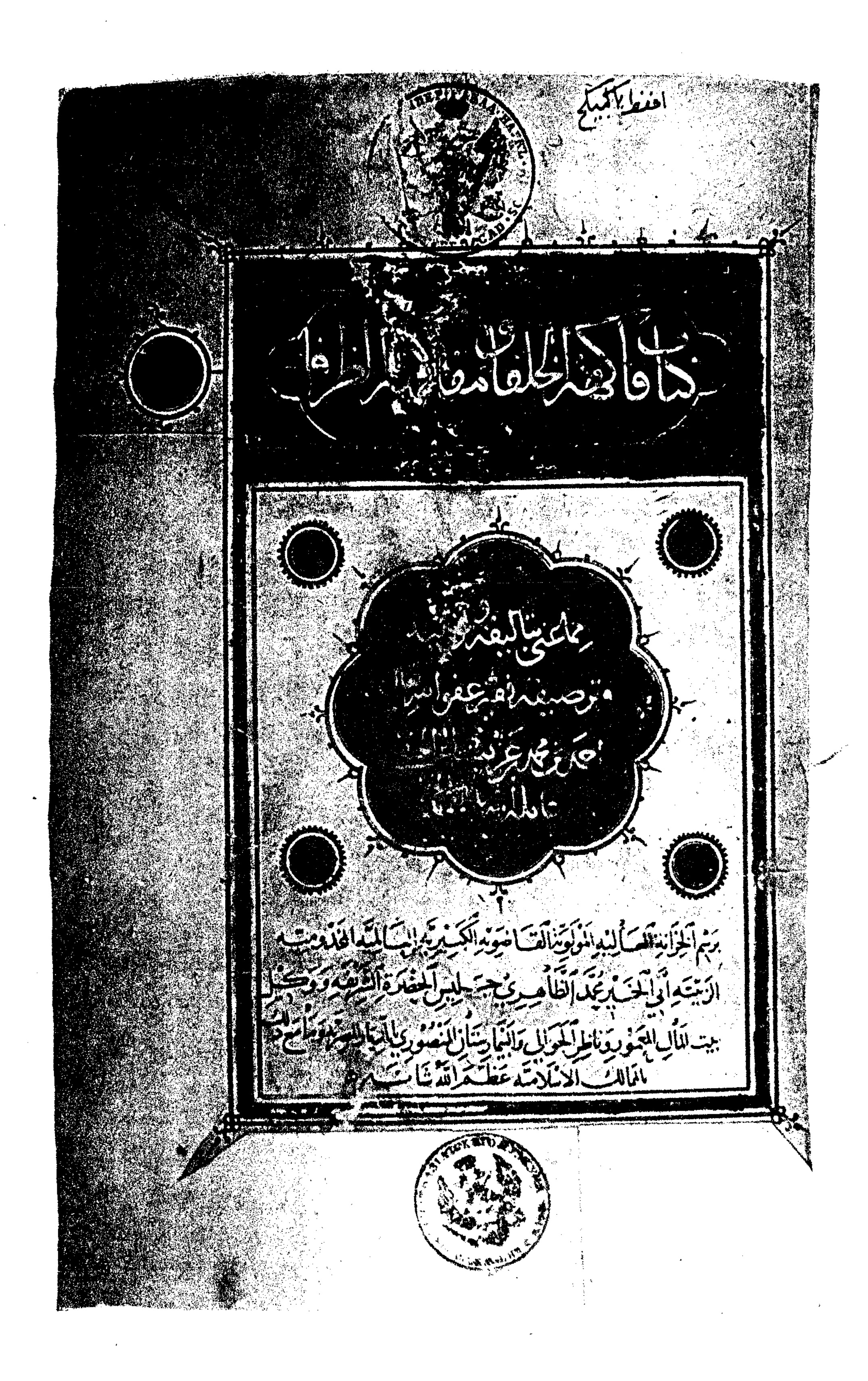
ظهرية نسخة «التعليقات والنوادر» التي كانت في خزانة كتب الفاطميين



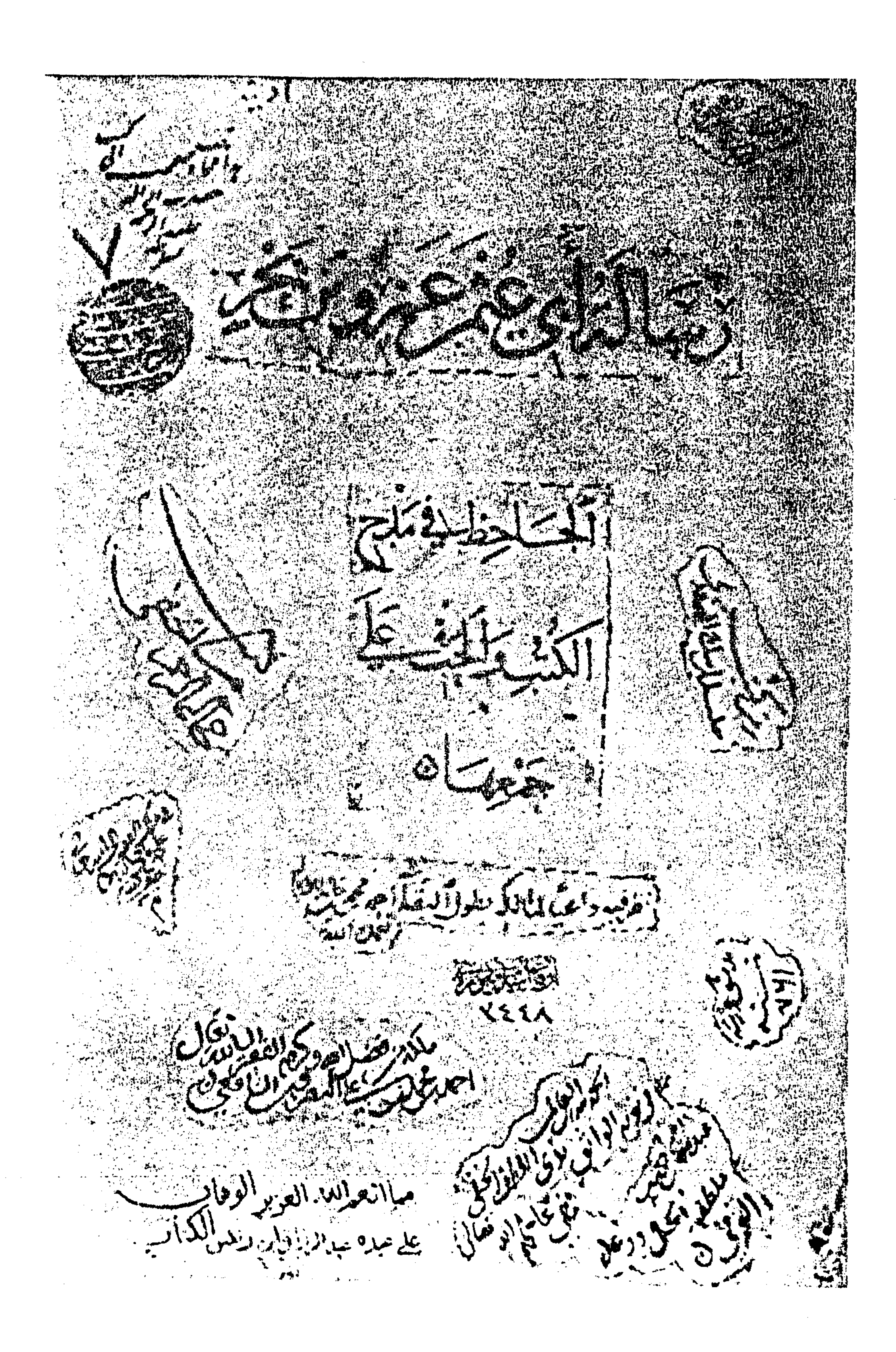
ظهرية نسخة «حَذْف من نَسَب قريش» التي كانت في خزانة كتب الفاطميين



نسخة كتاب «المقتضب للمُبَرِّد المكتوبة لخزانة أبي الحسين محمد بن الحسين العلوي



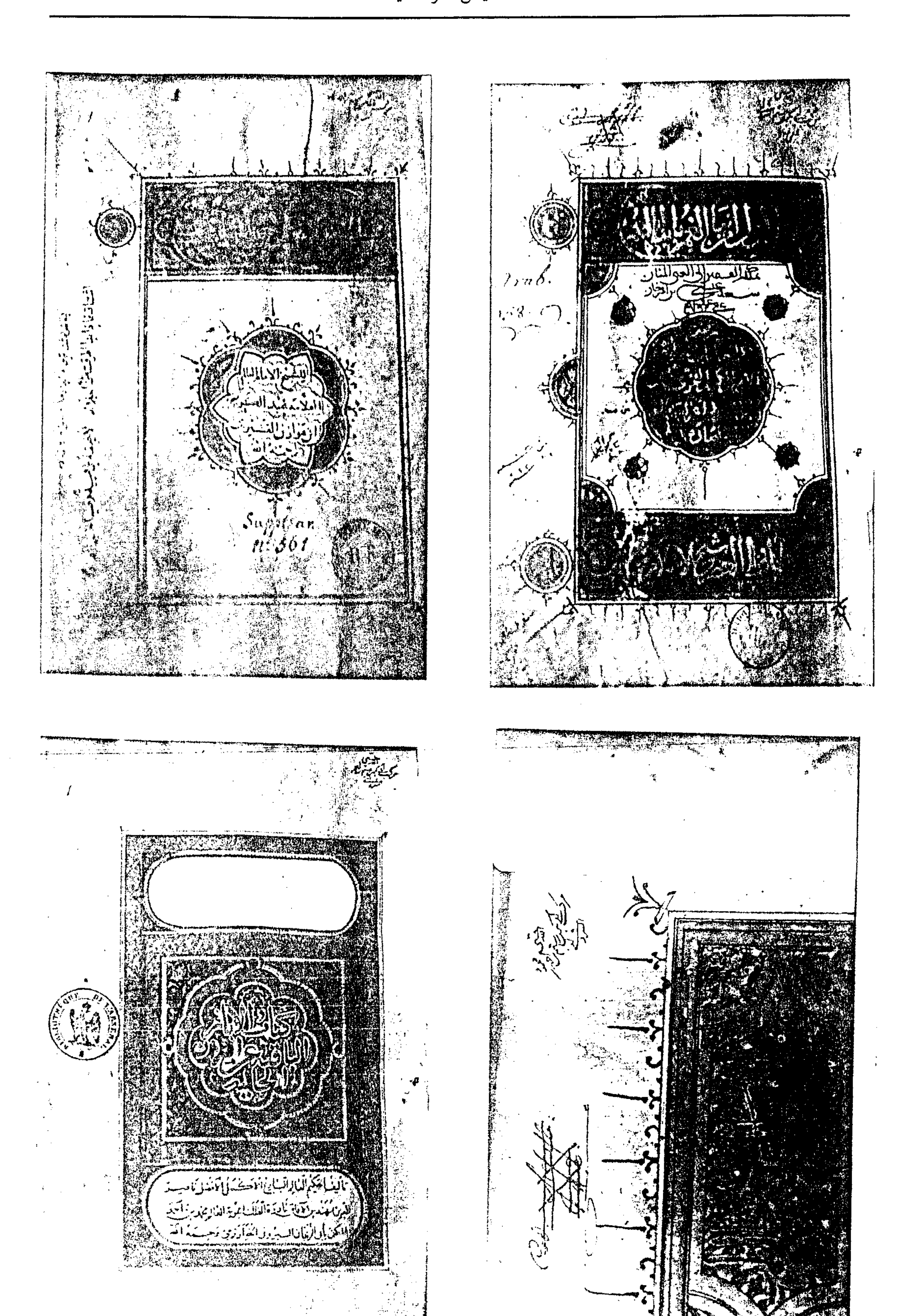
نسخة من كتاب «فاكهة الخلفاء» لابن عَرَبْشاه برسَمْ خزانة زَيْن الدين أبي الخير محمد الظَّاهري



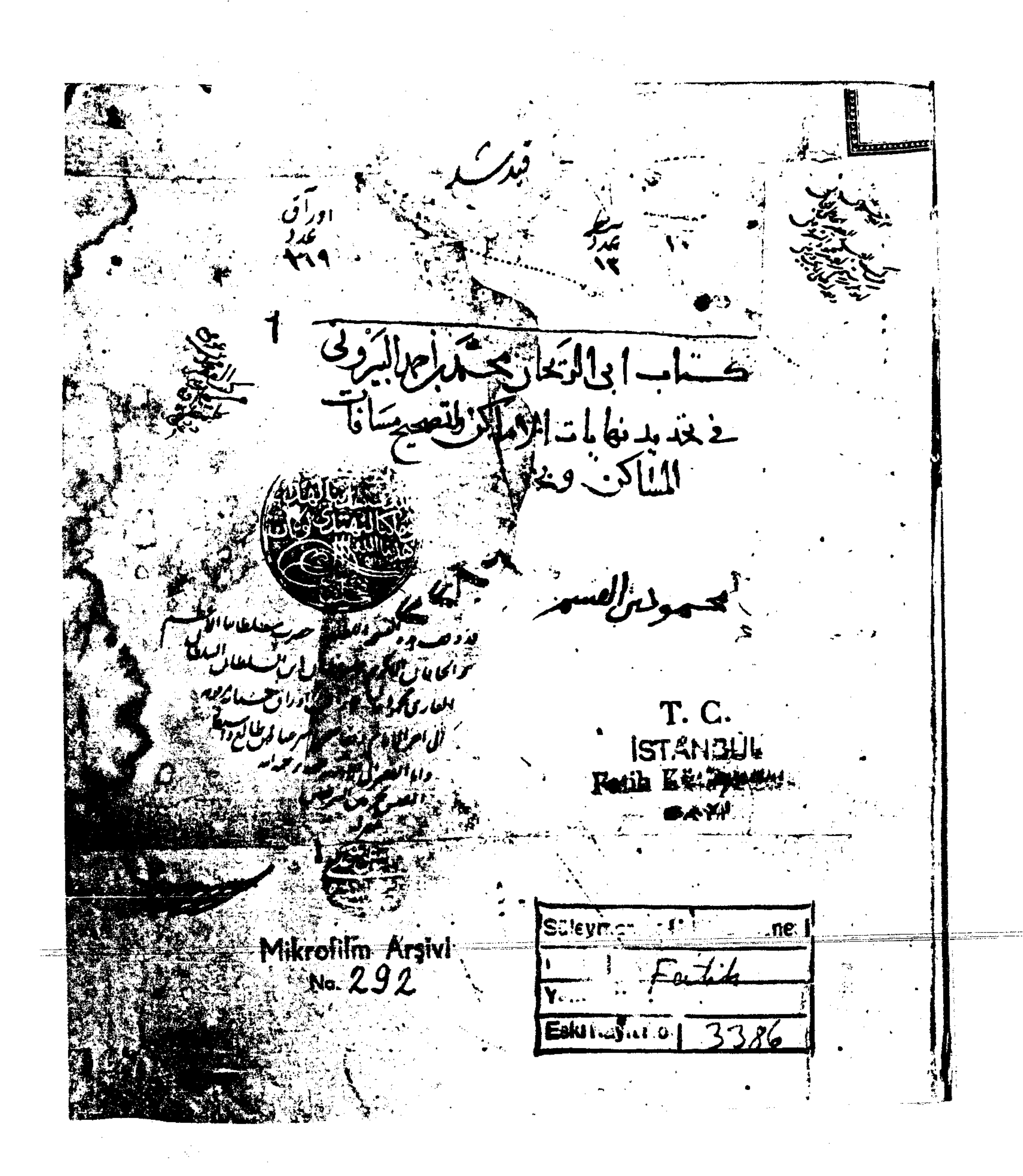
رسالة أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في مدح الكتب وعليه تملك خليل بن أيبك الصَّفَدي



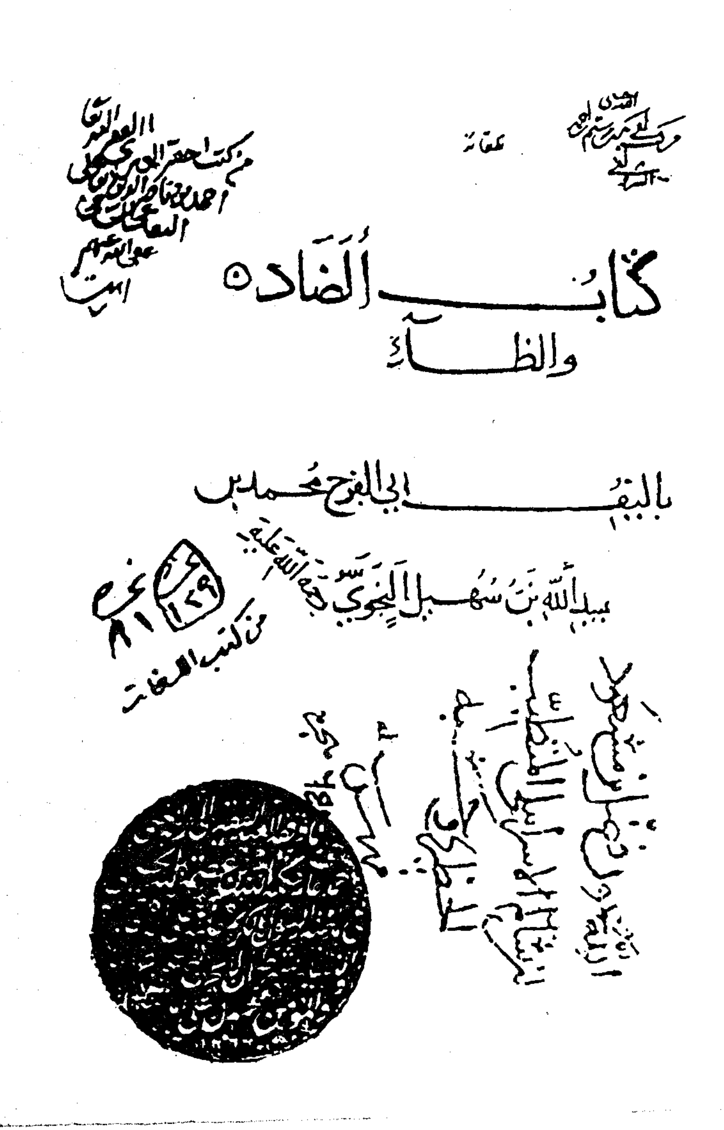
ظهرية «الوافي بالوفيات» للصفدي برسم خزانة الأمير يَشْبَك من مَهْدي الدَّوادار



نماذج لتوقيع أبي بكر بن رُسْتُم الشّرْواني علي نسخ مكتبته



نُسْخة كتاب «تحديد نهايات الأماكن» للبيروني وعليها تملُّك أبي بكر بن رستم الشِّرْواني



نُسْخَة كتاب «الضَّاد والظَّاء» لابن سهيل النحوي وعليه تَمَلُّك أبي بكر بن رستم الشِّرْواني

من كتب التراث :

رسائل عبد العزيز بن يوسف

أ . د . محمد يونس عبد العال*

كان عبد العزيز بن يوسف (ت٣٨٨هـ) من كتّاب القرن الرابع الهجري المشهورين ، تقلد ديوان الرسائل لأقوي حكام بني بويه وأسْيرهم ذكراً ، وهو عضد الدولة الذي حكم فارس سنة ٣٣٨ ، ثم بلدانا أخرى كثيرة فتحها وضمّها إلى ملكه ، وتوفي سنة ٣٧٢ عن ثمان وأربعين سنة تقريبا .

ومما ينسب إلى أبي القاسم الصاحب بن عباد(ت٣٨٥) قوله : «كُتّاب الدنيا وبلغاء العصر أربعة : الأستاذ ابن العميد وأبو القاسم عبد العزيز بن يوسف وأبو إسحاق الصابي ، ولو شئت ذكرت الرابع» يعني نفسه .

ولكن عبد العزيز كان أقلّ شهرة في المصادر التاريخية والأدبية ، فقد غفل عنه ابن النديم ولم يذكره ، وأهمله مسكويه في كتابه التاريخي «تجارب الأمم» ، فخلا ـ فيما نعرفه منه ـ من أية إشارة إليه ، مع كثرة ما أورده من أخبار عضد الدولة وحروبه ، ومع أن مسكويه وعبد العزيز كانا من ندمائه المقربين . أما المصادر القليلة التي أشارت إليه إشارات عارضة فصورته فيها شاحبة باهتة .

ولأبي منصور الثعالبي ــ دون غيره ــ فضل الاهتمام به ، فقد ترجم له ونوّه به واحتفل في «يتيمة الدهر» بنثره وشعره ، ولكنه لم يفرد له بابا مستقلا كما أفرد لكل من أبي محمد المهلبي وابن العميد والصابي والصاحب ، فأشرك معه اثنين آخرين تحت عنوان «في ذكر ثلاثة من كتاب آل بويه يجرون مجرى الوزراء» كما ذكره أيضا بين البلغاء الذين اعتمد عليهم في كتابه «سحر البلاغة وسر البراعة» فروى بعض عباراته بعد عنوان «ما أخرج من كلام أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف» كما روى بعض كلامه في «الإعجاز والإيجاز» وطائفة من أشعاره في «خاص الخاص» .

وقد حفظ الزمن له مجموعة من رسائله تضمنها مخطوط مودع في مكتبة برلين ، عنوانه «كتاب فيه رسائل الوزير أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف الشيرازي الكاتب» «رحمه الله» ،

* أستاذ بكلية الآداب ــ جامعة عين شمس .

وكان لكارل بروكلمان في كتابه «تاريخ الأدب العربى» فضل تنبيهي إلى هذا المخطوط ، فرغبت في الاطلاع عليه ، وأسعفتني مكتبة برلين بالحصول علي مصورة منه ، وتبينت أنه يشتمل على مجموعة متنوعة من الرسائل كتبها مؤلفها في أثناء عمله كاتبا لعضد الدولة ، بعضها شخصي إلى زملائه وأصدقائه ، مثل الصابي والصاحب وأبي الفتح بن العميد ، وبعضها الآخر رسمِيّ كتبه عن الحاكم في الشئون السياسية والعسكرية المختلفة للدولة . ولم يكن في المخطوط ذكر لاسم ناسخه ، ولكنه مكتوب بخط نسخي واضح يرجح أنه من كتابات القرن العاشر الهجري تقريبا ، ولكن يظهر من كتابة الناسخ ضعف نصيبه من الدراية بالعربية وأساليبها ، فهو يرسم ما استغلق على فهمه من الألفاظ والعبارات ــ وذلك عنده الكثير ــ كيفما اتفق له ، وكثيرا ما يخطئ إذا رغب في ضبط بعض الحروف بالشكل ، وقد بدا أيضا أنه ممن لا يميزون أحيانا بين الضاد والظاء .

ومن المرجح أنه نقل ما نسخه من مخطوط ناقص ضاعت منه بعض الأوراق ، فاختلت صفحاته ، ولم يستطع أن يقيم أوده ويرتب أوراقه على الوجه الصحيح . وربما كان ذلك الاختلال أو النقص البادي في المخطوط الذي بين أيدينا قد حدث بعد أن أتم ناسخه عمله ، ثم فقد منه ما فقد في أثناء رحلته الطويلة مع متملكيه وفي خزائن الكتب المختلفة في الشرق والغرب . ويلحظ قارئ المخطوط بسهولة اضطراب السياق واختلاله وفقدان الانتظام في عبارته ، فيما بين نهايات الصفحات اليمنى لبعض اللوحات وبدايات صفحاتها اليسرى .

وتألفت المصورة من (٩٥) لوحة ، كل لوحة ذات صفحتين ، وقد اشتملت اللوحة الأولى على صورة صفحة واحدة هي صفحة الغلاف ، فيها عنوان المخطوط وبعض الكتابات التي كتبها متملكوه أو غيرهم ، كما اشتملت اللوحة الأخيرة على صورة صفحة واحدة أيضا .

وفي كل صفحة من الصفحات المكتوبة (١٥) سطرا ، في كل سطر حوالي (١٠) كلمات ، أما الترقيم الذي رقمت به اللوحات بدءا من (١) إلى (٩٥) فهو بخط مخالف ولعله من عمل المكتبة المحفوظ فيها المخطوط .

وعلى صفحة الغلاف ــ كما سبق القول ــ كتابات وتملكات ، منها تملك وقع تحت العنوان مباشرة ، نصه : «وقع في نوبة أذل عباد الله الأكرم الفقير الحقير حسين بن رستم عفا الله عنه وعن والديه بالقاهرة المعزية صين ما بها عن كل أذية ورزية» ومما أمكن قراءته أيضا من التملكات : «انتقل إلى علم الدين أحمد بن حسن بن إسحاق الشهروري غفر الله له

ولجماعة المسلمين ورزقه الله علما ينتفع به وينور عليه ويغفر جميع خطاياه ولجميع المسلمين والحمد لله رب العالمين» .

وقد افتتح المخطوط بالبسملة ، ثم بلفظ الاستعانة : «وبه أستعين» ، ثم عنوان الرسالة مكتوبا على سطرين : «نسخة الكتاب المنشأ بعقب/العبور في كلويذان» وأول هذه الرسالة : «للنعم مراتب تتناصف حسنا وتتفاوت ، وتتفق شرفا وتتباين ، ولكل منها على من منحها حق من الشكر يوفق الله له من شاء من عبادة ليرتهن بالتأييد عطيته ، ويصل بالمزيد نعمته . . .»

وختام المخطوط قوله : « . . . وأفاء الله علينا وعلى عامة أوليائنا من نعم أعدائنا مالا وكراعا وسلاحا وأثاثا ما لا يعد ولا يحصى فالحمد لله» ثم أنهى الناسخ بخط أكبر وعلى سطر واحد بقوله : «وصلى الله على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه» .

وقد تضمن المخطوط ثمانين رسالة ، ورد بعضها كاملا ، وبعضها الآخر فصولا مختارة منتزعة من ثنايا رسائل أخرى أو من صدورها . ومنها ما هو ديواني أو إخواني ، ومنها ما هو ابتداء أو جواب . أما موضوعاتها فمتعددة ، ففيها رسائل فتوحات ، وعهود ، وشروط ، وتذاكر وإخوانيات مختلفة في التشوق والشكر والمدح والتهنئة والشفاعة والعتاب والتعزية والعيادة . ولم يحرص جامع هذه الرسائل أو ناسخها على تصنيفها أو تبويبها تبعا لتلك الأغراض والأشكال .

وقد وصف بروكلمان المخطوط بأنه رسائل «إلى مختلف العظماء ، تتضمن أخبارا طريفة عن دولة البويهيين في السنوات ٣٣٥ ـ ٣٨٠هـ = ٩٤٦ ـ ٩٩٠م» . وذلك صحيح إلى حد كبير ، فأظهر ما يميز هذه المجموعة أنها ـ من حيث قيمتها التاريخية ـ عرضت لأحداث متعددة ، لاسيما ما يتصل بحروب بني بويه وعلاقات بعضهم ببعض في السنوات ٣٦٣ ـ ٣٧٢هـ ، كما عرضت لأخبار وإشارات كثيرة لأعيان ذلك العصر من الأمراء والوزراء والكتاب والولاة والقضاة والحجاب وقادة الجيوش . وقد كتب عبد العزيز بن يوسف بعض هذه الرسائل عن عضد الدولة وبعضها الآخر عن نفسه . وممن كتب إليهم : مؤيد الدولة ووزيره الصاحب ، وأبوالفتح بن العميد ، وأبو تغلب الحمداني ، والقرامطة الهجريون ، وفخر الدولة وأبوالحسن سيمجور ، وظهير الدولة بهستون بن وشمكير ، وركن الدولة ، وحاكم مصر ، وحاكم عمان ، وعابد بن علي ، والصابي ، وأبو سهل سعيد بن الفضل . وكانت رسائل الفتوح ـ ويصل عددها إلى بضع عشرة ـ توجه إلى الناس عامة لتُقرأ على المنابر أو في

المحافل . وربما أشار عنوان الرسالة إلى اسم من أرسلت إليه ، وربما عرف شخصه من سياقها ومما يرد فيها من الأساليب . وقد وصل عدد الرسائل التي تعذّر معرفة الأشخاص الذين أرسلت إليهم حوالي العشرين .

وقد عمدت الرسائل ـ في شكلها المرويّ في المخطوط ـ إلي ألوان من الحذف والاختصارات ، فكثيرا ما استعملت لفظة «كذا» بديلاعن التأريخ ، مثل : «كتابنا يوم كذا . . .» أو عن المواضع ، مثل : «وصل كتابك الصادر من كذا . . .» أو عن أمور شتى ، مثل : «وقر عندي في باب كذا . . .» و « . . . حملت أبا فلان في أمر كذا وكذا . . .» وإذا أريد إنهاء الرسالة اختصارا ، والاكتفاء ببعض الفصول والضرب صفحا عن سائرهم ، اختتم بمثل : «وقد تأملت كذا وكذا . . .» و «فإن رأيت أن ينعم فكذا وكذا» ، وربما استبدل ذلك باللفظ «وكان وكان» في اختتام الفصول المختارة دلالة على أن للرسالة بقية محذوفة .

وكانت الكناية بلفظ «فلان» مما عمد إليه المخطوط بديلا عن التصريح بالأعلام ، ولعل الدافع إلى ذلك هو الرغبة في التخفيف بحذف ما يمكن حذفه من تلك الأعلام التي لم يعد لذكرها ضرورة تفيد القارئ ، ومن أمثلة هذا اللون من الاختصار قوله : «اتصل بي خبر الحادثة في فلان » و « أحطت بما زود عن فلان من الرسائل» .

وقد خلت الرسائل من التأريخات التي تحدد زمن كتابة كل منها ، باستثناء أحد العهود ، نصّ في ختامه على أنه كتب في شوال سنة ٣٥٩ ، ولكن المتأمل في بعض السياقات وبخاصة ما اشتمل منها على أخبار تاريخية بارزة ، يستطيع أن يستدل علي السنة أو الفترة التي كتبت فيها ، فمنها ما جرت أحداثه خلال السنتين ٣٦٣ ـ ٣٦٤ بين الأتراك والبويهيين في العراق ، وكان عضد الدولة قد خف بجيوشه من فارس للمعاونة ، ومنها ما جرى بعد وفاة ركن الدولة في المحرم من سنة ٣٦٦ وما أعقبها من تقسيم مملكته بين أبنائه ثم استيلاء عضد الدولة على بغداد في سنة ٣٦٧ ، وحروبه المتتالية بعد ذلك مع أبي تغلب الحمداني في الموصل وديار مضر ، ومع أبناء حسنويه الكردي في قرميسين سنتي ٣٦٨ ، ٣٦٩ ومع قابوس بن وشمكير في جرجان وطبرستان سنة ٣٧١ ، أما آخر ما يمكن التوصل إلى سنة كتابته فهو رسالة في ذكر الهدنة مع الروم سنة ٣٧٢ .

وتثير هذه المجموعة من الرسائل بعض التساؤل عن رواتها والظروف التي أحاطت بجمعها ، وذلك مما يعسر معرفته والوصول فيه إلى حقائق ثابتة ، والمؤكد أنها ليست كل ما

أنشأه مؤلفها من رسائل ، وإنما هي مختارات كتبت في فترات زمنية متقاربة ، ومن المؤكد أيضا ـ وذلك أمر يتطلبه توثيق النصوص بالدرجة الأولى تمهيدا لتحقيقها ـ أنها صحيحة النسبة إلى كاتبها عبد العزيز بن يوسف ، لا يعتور ذلك أدنى شك أو لبس ، لأسباب كثيرة ، منها ما يتعلق بمضامين الرسائل وما احتوته من المعاني والأحداث وما صوّرته من الشخصيات ، ومنها ـ وهو الأهم ـ أن فصولا كثيرة مما اختاره الثعالبي لعبد العزيز في «يتيمة الدهر» أو في «سحر البلاغة» قد ورد في ذلك المخطوط .

وربما كان الثعالبي ـ كما سبق القول ـ هو المؤلف الوحيد الذي اهتم برواية ما راقه من نثر عبد العزيز وشعره ، وقد استهل روايته في اليتيمة بقوله : «وأنا أُورد من غرر نثره التي تعرب عن أدب فضفاض ، وخاطر بالإجادة والإحسان فياض ، ومن لُمَع شعره التي هي أحسن من زهر الرياض ، وأسلس من الماء على الرضراض ، ما هو شرط هذا الكتاب المشتمل على ملح الآداب» ، ثم أثبت فصولا من ديوانياته بعد عنوان : «ما أخرج من سلطانيته» في أربعة عشر فصلا ، لم يتجاوز بعضها سطرين ، وطال بعضها إلى ما يقرب من عشرين ، وقد ورد منها سبعة في رسائله المخطوطة ، وكان ورودها عند الثعالبي متتابعا تقريبا كتتابعها في المخطوط ، مما قد يشير إلى أنه اختارها من مصدر واحد ، وقد بدأ عنوان كل منها بلفظ : «ومن كتاب» كما أثبت الثعالبي تحت عنوان : «ما أخرج من إخوانياته» تسعة فصول ، أقصرها من أربعة أسطر ، وأطولها ـ وهو رسالة كاملة ـ من ثلاثين ، وقد ورد خمسة منها في المخطوط .

وكنت بين الحين والحين أطالع رسائل المخطوط أتأمل موضوعاتها وأساليبها وألفاظها ، مقوِّماً ما يُستطاع تقويمه مما أفسده ناسخوها ، مفسرا ما غمض وأشكل من معانيها ، موازنا بين ما عرضت له من أحداث أو أشخاص أو مواضع أو غيرها ، وما أشبهها من كتابات الأدباء والإخباريين والتراجمة ، وتيقنت أن مثل هذا الأثر جدير بإذاعته ونشره ، لأنه نص قديم أفلت لحسن حظه من الضياع في رحلته الطويلة التي بلغت ما يزيد على ألف عام ، وظل حبيس المكتبات أزمانا طويلة ، ولأن من حقه أن يخرج من محبسه ليتعرف الناس ما فيه ويستفيدوا ما ينفعهم منه ، وأحسب أن فوائده الثقافية العامة ، وبخاصة الأدبية واللغوية والتاريخية والاجتماعية لا تقف عند حد .

والمخطوط ـ فيما أظنه بعد طول السؤال ـ وحيد لا ثاني له ، فيه مواضع تحريف يستغلق الوصول فيها إلى صحة أو وجه يقنع ويرضي ، وفيه اختلال واضح ـ كما سبق القول

ـ بين نهايات بعض الصفحات وبدايات ما يليها مما يؤكد أن بضع أوراق على الأقل قد نقصت وانفصلت ففقدت ، أو وضعها القائمون على بعض المكتبات في غير مكانها مع مخطوط آخر . وقد يقال إن هذه الرسائل ـ شأنها شأن كثير غيرها من ألوان النثر والشعر ـ لا تعرض لأحوال الجمهور من الناس وما يضطرب فيه المجتمع من القضايا والمشكلات ، وإنها لا تعدو الحديث عن الحروب والمعارك وعن الطبقات العليا من الحكام والولاة ، وذلك صحيح إلى حد كبير ، ولكنه لا يجوز أن يكون مبرراً لرفضها وإنكار جدواها لأنها تحمل إلى جانب تلك الاتجاهات أبعادا أخرى ، ولا تخلو من إشارات لها مغزاها عن طوائف مختلفة من الناس والأجناس والثقافات ، كما تقدم للمتأدبين واللغويين متونا لبست أثوابا فضفاضة ، وحولت الأحاديث عن الحروب والأخبار السياسية المتنوعة من شكلها الموجز العادي كما يظهر في كتابات المؤرخين ومن جرى مجراهم إلى قطع أدبية ، كانت بمقاييس عصرها وبمقاييس من يعجب بها في عصرنا وفي كل عصر غاية النهاية في البراعة وجودة الأداء ، فكانت أهلاً لأن تروى وتدوَّن وأن يتوفر على كتابتها النساخ وأن يحرص المصنفون على أن يجمعوها وأن يختاروا منها ما يروقهم في دواوين شغلت مساحة لا يمكن تجاهلها في الأدب العربي . ولهذه الأسباب وغيرها ينبغي ـ مهما كانت العوائق ـ نشر هذه الرسائل وتحقيقها تحقيقا علميا دقيقا يخرجها في صورة أقرب ما تكون إلى الصحة والاكتمال ، وهو ما أرجو أن أوفق إليه إن شاء الله تعالى .

شخصيات تراثية :

الحسن بن الهيثم . . المفترى عليه
دراسة تحليلية نقدية

أ . د . علي حلمي موسى*

في مساء يوم ٢١ ديسمبر ١٩٣٩ شهدت القاهرة حفلاً حضره جمهور كبير من أساتذة الجامعة والصفوة المثقفة إذ أقامت الجمعية المصرية للعلوم الرياضية والطبيعية حفلاً كبيراً إحياء لذكرى ابن الهيثم وتمجيداً له . وتكلم في هذا الحفل نخبة من علماء مصر عن عبقرية ابن الهيثم في انتاجه الضخم في الرياضيات والطبيعة والفلسفة والفلك والهندسة .

وبعد أكثر من ستين عاماً نعود لنجدد اللقاء مع هذا العالم الكبير حيث إنه تعرض حديثًا لهجوم شرس من أحد المؤرخين المعاصرين .

هو أبو علي الحسن بن الحسن بن الهيثم . وُلِد في البصرة (العراق) عام ٩٦٥م وعكف على دراسة علوم عصره ولكنه نبغ في الفلسفة والرياضيات والفيزياء والهندسة والطب ، وانتقل إلى مصر في عام ٩٩٦م بدعوة من الحاكم بأمر الله . ألّف ابن الهيثم أكثر من مائتي مقال ورسالة وكتاب في مختلف فروع العلم ، ولكن أعظم مؤلفاته هو «كتاب المناظر» وعن هذا الكتاب وضع كمال الدين الفارسى (المتوفى عام ١٣٢٠م) كتاباً بعنوان «تنقيح المناظر لذوى الأبصار والبصائر»[١] ، كما وضع «ويتلو» البولندي عام ١٢٧٠م كتاباً في الضوء نقل معظمه من كتاب ابن الهيثم ، ووضع «روجر بيكون» (المتوفى عام ١٢٩٢م) كتاباً به فصل عن الضوء اعتمد فيه على ابن الهيثم ، وفي القرن الحالي كتب الأستاذ مصطفى نظيف كتاباً بعنوان «الحسن بن الهيثم - بحوثه وكشوفه البصرية» (صدر سنة ١٩٤٢م) .

وحديثاً نشر مارك سميث أستاذ التاريخ بجامعة ميسوري بالولايات المتحدة الأمريكية بحثاً بعنوان «بطليموس والحسن وكبلر ومشكلة الصور الضوئية»[٢] في مجلة Arabic Sciences and Philosophy عدد مارس ١٩٩٨ . وفي هذا البحث قام المؤلف بإلقاء الضوء على دور الحسن بن الهيثم في علم البصريات وقارن أعماله بأعمال كل من بطليموس وكبلر ، غير أنه قد جانبه الصواب في هذا البحث الذي يقع في ٣٦ صفحة ، إذ احتوى على عدد

(*) أستاذ بكلية العلوم جامعة عين شمس .

من التناقضات ، كما إنه مكتوب بأسلوب لغوي رفيع المستوى يسمح لكاتبه بطمس بعض الحقائق . أما الجوانب الإيجابية في أعمال الحسن والتي اضطر لذكرها فقد ورد معظمها في الهوامش بخط دقيق . وسوف أحاول في هذا البحث إلقاء الضوء على ما فيه من تناقضات .

يبدأ المؤلف بشرح نموذج إقليدس (حوالى عام ٣٠٠ قبل الميلاد) وتعديله على يد بطليموس (حوالى عام ١٥٠م) ، ويعتمد هذا النموذج على أن العين تطلق فيضًا بصرياً في حزم قطرية تنبعث من نقطة تقع داخل كرة العين فيتكون منه مخروط يقع رأسه عند مركز الرؤية وتحدد قاعدته مجال الرؤية ، وكل ما يقع داخل هذا المجال أو على حدوده يمكن رؤيته . وقد أضاف بطليموس مواصفات تشريحية للعين كما اهتم بموضوع وضوح الرؤية حيث قال إنه كلما كان الشيء المرئى بعيداً تقل شدة الإحساس به بواسطة الفيض البصري ، كما أن موضع الشعاع داخل المخروط البصري يحدد درجة إحساس الفيض البصرى ، فكلما بعد الشُعاع عن محور المخروط قلّ هذا الإحساس . ومع ارتداد هذا الفيض البصري إلى العين تشعر بالجسم المرئى . ويعتقد المؤلف أن بطليموس كان يعي أن الإحساس البصري يتم في المخ .

ثم ينتقل المؤلف إلى «كتاب المناظر» الذي وضعه الحسن بن الهيثم في القرن الحادي عشر الميلادي وترجم إلى اللاتينية في القرن الثالث عشر ، ويقول إن الغرض منه هو استكمال وتصحيح ضوء بطليموس . غير أن الحسن بن الهيثم قد وضع أيضًا كتاباً بعنوان «الشكوك على بطليموس» عرض فيه الأسئلة التى لم يجب عليها بطليموس في الضوء وفي الفلك .

وقد اعترف المؤلِّف بتميز الحسن بن الهيثم حيث يقول : «لقد رفض الحسن نظام بطليموس وهاجم دعوى الحركة من العين إلى الأشياء الخارجية بهدف توضيح أن الرؤية تعتمد على انتقال التأثيرات المرئية على هيئة ضوء ولون من الأجسام الخارجية . وأصبح الضوء واللون (وليس الفيض البصري) هما المحدِّدان الفيزيقيان الأساسيان للرؤية . ثم يضيف في الهامش بخط دقيق ما يلى : لقد بنى الحسن نظريته على أساس الاقتصاد المنطقى . فسواء كان الانتقال عن طريق الفيض البصرى أو الوسط الحامل فإن هناك شيئًا يتم إرساله للعين لكي تحدث الرؤية ، وبالتالي يكون من غير المعقول أن الفيض يذهب ويعود للعين بينما يمكن أن تتم الرؤية برحلة واحدة فقط .

وطبقاً لما ذكره كمال الدين الفارسي في كتاب «تنقيح المناظر لذوي الأبصار والبصائر» : يقول ابن الهيثم ما نصه : «إن كان الإبصار بشيء يخرج من البصر فذلك إما أن

يكون جسماً أو لا ، فإن كان جسمًا فإذا نظرنا إلى السماء ورأيناها وما فيها من الكواكب فيكون في ذلك الوقت قد خرج من البصر جسمٌ ملأ ما بين السماء والأرض ، ولم ينقص من البصر شيء ، وهذا أمر في غاية الاستحالة والشناعة ، وإن كان الخارج غير جسم فإنه لا يحس بالمبصر لأن الإحساس إنما هو للأجسام ذات الحياة ، ولاشك أن الإبصار يكون بالبصر ، والخارج غير مُحَسّ ، فالخارج إنما يكون مؤدياً شيئاً ما من المبصر إلى البصر ، به يحسُ البصرُ بالمبصر وليس هذا الخارج شيئًا محسوساً ، بل هو مظنون» .

وينتقل المؤلِّف إلى نقطة هامة أخرى وهي أن الحسن بن الهيثم (على عكس بطليموس) اعتبر أن عملية الإشعاع عملية أساسية في الطبيعة ، أي أن انتشار الضوء واللون يستلزم انتقالاً كيفياً في الأوساط الشفافة مثل الهواء والماء . وطبقًا للحسن فإن الفيض المرئي يختلف عن الفيض البصري لبطليموس فيما له علاقة بالوجود . فالأول شكلي والثاني مادي أو شبه مادي . أما بالنسبة للخصائص الذاتية للسطوح المرئية فإن الحسن يرى أن الضوء واللون ينبعثان في جميع الاتجاهات خلال الوسط المحيط الشفاف من كل نقطة على هذه السطوح .

وقد عقّب المؤلِّف على ذلك بقوله إن الحسن قد مهد الطريق نحو الثورة الضوئية في القرن السابع عشر بأن وضع التفسير الفيزيقي للضوء واللون على أسس موضوعية وهي التي قامت عليها ثورة الضوء في القرن السابع عشر . وأضاف أن العديد من المؤرخين (وفيهم المؤلف نفسه) قد أكدوا الطبيعة الثورية لوصف الحسن للإشعاع الضوئي والخلل الذي يفصله عما قام به بطليموس . ثم يختم المؤلف هذا الجزء بقوله «بفحص نموذج الحسن للرؤية نرى أن اختلافه عن طريق بطليموس غير قاطع» . وقد قام المؤلِّف في عام ١٩٩٠م بوضع كتاب بعنوان «فضل الحسن على ضوء بطليموس» .

ويبدو هذا التناقض واضحًا إذ أنه مع تأكيده للطبيعة الثورية لضوء الحسن (مدفوعاً بآراء المؤرخين الآخرين) واقتناعه بوجود خليج يفصل ما بين تصور الحسن وتصور بطليموس ، يعود ليكرر تعبير «الثورة الضوئية في القرن السابع عشر» مرتين ليعطي الانطباع بأن الثورة الضوئية لم تحدث إلا بعد الحسن بستة قرون . أما التناقض الثاني فيظهر في قوله إن اختلاف نموذج الحسن عن طرق بطليموس غير قاطع ، وهذا التعبير غير حقيقي بالمرة بل أكاد أقول إنه يخل إخلالاً كبيراً بالأمانة العلمية التي يجب أن يتحلّى بهَا كل المفكرين .

الأسس التشريحية والوظائف للرؤية

توضح الشريحة تصوّر الحسن للعين وتركيبها ، كما تعرض تصور بطليموس وأيضًا التصور الحالي للعين .

وقد أشاد بيكون (١٢٢٠ - ١٢٩٢) بما حققه الحسن في هذا المجال ، وكان بيكون قد وضع كتاباً في الضوء بناه على كتاب «المناظر» لابن الهيثم . ولم يُنكر المؤلِّف أن نموذج الحسن التشريحى للرؤية يختلف عن نموذج بطليموس في نواحي مميزة ، فهناك اختلافات أساسية في التفاصيل التشريحية والوظائفية ، كما إن الأسس الفيزيقية للنموذجين تختلف اختلافًا بيِّنا .

ثم يعود المؤلف ليقول إنه من رأيه أن النموذجين يتشابهان في طريقة تكوين الصور الضوئية من حيث حدة الرؤية واختلافها بالنسبة للشعاع العمودي ، كما يتشابهان في اعتناق كروية العين ووضع النقطة المركزية باعتبارها نقطة الرؤية ، ثم يضيف في الحاشية تصحيحًا لذلك إذ يؤكد أنه طبقًا لبطليموس فإن مركز العين يمثل نقطة الرؤية الواقعية أما في نموذج الحسن فيمثل نقطة النظر الافتراضية ، وهذا في رأيي اجتهاد من المؤلف ، إذ أن الحسن لم يشر إلى النقطة المركزية في نموذجه .

ثم يُعقّب المؤلِّف على ذلك بقوله إنه من الجائز اعتبار النموذجين يتفقان بطريقة عامة في التركيب التشريحي لنظام الرؤية ، وهذا يناقض تمامًا ما سبق أن قاله بأن نموذج الحسن التشريحي يختلف عن نموذج بطليموس في نواحي مميزة إذ أن هناك اختلافات أساسية في التفاصيل التشريحية والوظائفية . وهذا ما أكده كثير من المؤرّخين أيضًا .

موضع العدسة البلورية في العين

يقول المؤلف إن تحليل الحسن للرؤية قد لعب دوراً مركزيًا في تطوير النظرية الضوئية في الغرب اللاتيني منذ منتصف القرن الثالث عشر ، ولكن الحسن لم يكن المصدر الوحيد الموثوق به في تناول ضوء القرون الوسطى ، فهناك أطباء مثل «جالن» و «حُنين بن إسحق» و«اسفيسينا» كان لهم دور استشاري أيضًا .

وبالنسبة لموقع العدسة البلّورية في العين فإن الحسن قد حدَّد موقعها في اتجاه مقدمة العين بحيث يكون مركزها أقرب إلى إنسان العين من مركز تكوّر السطح الأمامي . أما في طريقة «جالن» في التشريح وكما عدلها «حُنين بن إسحق» (٨٠٩-٨٧٧م) فإن العدسة

البُلورية تقع في مركز الكرة العينية ، وعلى لسان حنين : تقع العدسة في مركز العين لأن كل ما يحيطها في العين قد خُلق لحمايتها من الإصابة أو لفائدتها . وهذا يوضح أن إسهام الحسن في تصحيح موضع العدسة إسهام مميز .

وعلى الرغم من ذلك فقد نالت فكرة التوسط الفيزيقي للعدسة داخل العين تصديقًا في الغرب اللاتيني حتى القرن السادس عشر . ولم يكن ذلك بين الأكاديميين فقط ، بل كذلك بين الفنانين أيضًا . فقد اعتقد «ليوناردو دافنشي» أن العدسة البلورية تشغل موقعًا مركزيًا داخل العين ، وأنها كرويَّة الشكل ، وكذلك فعل «فرانسيسكو موروليكو» الذي رسم العين عام ١٥٤٣م وفيها تقع العدسة في موضع مركزي .

وفي النصف الثانى من القرن السادس عشر أعاد علماء التشريح النظر في مركزية العدسة وعلى الأخص «فيلكس بلاتار» عام ١٥٨٣م و«يوهانز جيسين» عام ١٦٠١م حيث وضعها قرب مقدمة العين كما وضعها الحسن بن الهيثم قبل ذلك بستة قرون ، ولكن المؤلف لم يُشر إلى هذه القضية بوضوح .

معالجة الخلل في الرؤية

أشار المؤلف إلى أن «بيكون» كان يفسّر النقص في حدة البصر في حالة طول النظر على أنه بسبب الرطوبة الزائدة التى تعوق قوة البصر . وفي حالة قصر النظر فإنه يكون بسبب التشتيت المعاكس لقوة البصر قبل أن تصل إلى الأجسام البعيدة .

وقد أخطأ «بيكون» لأنه يعرِّف طول النظر وقصره على أنها خلل في الانكسار ويُرجع المؤلِّف هذا القصور في تفسير الخلل في النظر إلى نظرية الحسن!! ويتساءل : كيف قبل «بيكون» ومن تبعه من معسكر الحسن هذا القصور؟ أي أن المؤلف يعتقد أن خطأ «بيكون» (حوالي عام ١٢٦٠م) يعود إلى الحسن بن الهيثم الذي توفي قبل أكثر من قرنين وليس إلى «بيكون» نفسه .

هل تخيل الحسن بن الهيثم أنه بعد تدوين كتابه «المناظر» بقرنين ونصف قرن يأتى عالم غربي ليضع كتابًا مستلهِمًا كتاب «المناظر» ويضيف عليه تفسيرًا خاطئًا لم يكن موجودًا في كتاب «المناظر» فيأتي مؤرخ أمريكي في نهاية القرن العشرين ليُرجع هذا الخطأ إلى العالم العربي العملاق؟ .

ينتقل المؤلف بعد ذلك إلى نموذج «كبلر» الذى ظهر في كتابه بعنوان «تنقيحات على

«ويتلو» المؤلَّف عام ١٦٠٤م والذي بناه على كتاب «ويتلو» (عام ١٢٧٠م) المنقول في معظمه عن «المناظر» لابن الهيثم ؛ والذي يقول فيه إن العدسة وسيلة لتجميع الضوء ، وتمثل العين الكاميرا ، كما تمثل الشبكية الشاشة ، وتتم العملية بتجميع الأشعة من نقطة معينة على الجسم المرئي إلى نقطة معينة أخرى على شاشة الشبكية عند مؤخرة العين .

ويعلق المؤلَّف بأن وصف «كبلر» للرؤية ومفهوم تكوين الصورة يتضارب مع الوصف الذى يتزعمه الحسن وتابعوه اللاتينيين (لاحظ أن المؤلف لا يقارن الحسن وإنما يقرن به اللاتينيين ليحمِّل الحسن أخطاءهم) ، ثم يوحى بأن نظرية الحسن ونظرية بطليموس شيء واحد حين يقول : بعكس العين «البطليموسية – الحسنية» والتي لها شكل كروي ووظائف غيبية ، فإن العين الكبلرية تأخذ شكلها الطبيعى من أسس الضوء الفيزيائى . وهو بهذا يريد أن يمحو جميع مميزات نظرية الحسن الضوئية الثورية بربطها بنظرية بطليموس المليئة بالثقوب وذلك لكي يبدي تفوق نظرية «كبلر» عليها .

ويتابع المؤلِّف قوله إن العين الكبلرية تقدم مفتاحًا لفهم طوول النظر وقصر النظر ، وكذلك تصحيحهما بالعدسات ، فيذكر أنه إذا سقطت أشعة متوازية من أجسام بعيدة فإنها سوف تتجمع في بؤرة على الشبكية ، وإذا استطالت كرة العين فإن الأشعة المسلَّطة من خلال العدسة البلورية سوف تتجمع في بؤرة أقرب وتكون النتيجة طول نظر ، وفي كلتا الحالتين ينتج خلل عن انحراف هيكل العين يستلزم تصحيحًا بإعادة وضع البؤرة على الشبكية ويتم ذلك بوضع عدسة مقعرة أو محدّبة لها تكور مناسب بين الجسم المرئي والعين .

ثم يقول المؤلِّف إنه من المؤكد أن شخصًا آخر قبل «كبلر» قد قام به ، وقدَّم بنفسه الدليل على ذلك حيث قال : «لقد تم استخدام النظارات الطبية ذات العدسان ثنائية التحدب في أواخر القرن الثالث عشر ، وبعد ذلك بقرن استخدمت العدسات ثنائية التقعر مع العدسات ثنائية التحدب في فلورنسا ، وبعد ذلك بفترة وجيزة تم إنتاج النظارات الطبية لتصحيح قصر النظر وطول النظر» . ثم يضيف : (من هذا يتضح أن اكتشاف «كبلر» عن تكوين الصور الحقيقية باستخدام العدسات كان قد دخل مرحلة التطبيق قبل أن يصل «كبلر») .

كيف إذن يخلع المؤلِّف «مارك سميث» على «كبلر» أنه واضع الثورة الضوئية وأنه لولا اختراقه المفاهيمي المزعوم لما وصلنا إلى الوضع الحالي في علم الضوء؟

وإذا كان هناك شخص آخر قبل «كبلر» قد توصل إلى ما سماه «اختراق كبلر» ، فلماذا لم يذكر «كبلر» ذلك في كتابه صراحة؟ ولماذا تغاضي المؤلِّف عن هذه النقطة الجوهرية ولم يحاول تأنيب «كبلر» على ذلك كما أنَّبْ الحسن على خطأ «بيكون»؟

وينهي المؤلف كلامه قائلاً : كان من الممكن التوصل إلى اختراق «كبلر» قبل ذلك ولكن لم يكن من المحتم التوصل إليه . ثم عدَّد إيجابيات الحسن وانتهى إلى أن هناك من الأسباب ما يدعو إلى الإعجاب به لإقامته صرحًا نظريًا مدهشًا مما جعل الأمر يحتاج إلى «كبلر» (وليس أقل منه) لكي يقوضه .

أي أن المؤلِّف قد بوأ «كبلر» منزلة ثورية رفيعة في علم الضوء رغم اعترافه بأن غيره هو الذي توصّل إلى ما توصّل إليه ، ولم يكتفي بذلك وإنما جعله مقّوض نظرية الحسن التي ما زالت قائمة حتّى الوقت الحالي .

آراء بعض المؤرخين المحايدين :

يقول رشدي راشد في مقالة بعنوان «الضوء الهندسى»[٣] في المجلد الثاني من موسوعة «تاريخ العلوم العربية» ما يلى :

«لم يحدث قبل ابن الهيثم أن أحدًا ألمّ بعدد كبير من الحقول في بحوثه وجمع بين الاتجاه الفلسفي والرياضي والطبي ، وألّف العديد من الكتب والمقالات أهمها كتاب «المناظر» الذي ظل تحت الدراسة والفحص سواء باللغة العربية أو اللاتينية حتى القرن السابع عشر . إن أهم أثر لدوره أنه قد أوضح التمييز للمرة الأولى في تاريخ الضوء بين شروط انتشار الضوء وشروط رؤية الأجسام . وانقسم الضوء تبعاً لابن الهيثم إلى قسمين :

(١) نظرية الرؤية وتتضمن أيضًا وظيفة العين وسيكولوچية الاستقبال .

(٢) نظرية الضوء وتحتوي على الضوء الهندسي والضوء الفيزيائي .»

وعلى الرغم من هذه الإشادة بابن الهيثم إلا أنه قال في بداية المقال المذكور ما يلي :

«لقد نشأ الضوء العربي من الضوء الإغريقي ويمكن القول إنه منه فقط .

لقد استعار الضوء العربي من الضوء الإغريقي أسئلته ومفاهيمه ونتائجه وحتى تقاليده المختلفة . إن أول العلماء العرب دارسي الضوء قد التحقوا بالمدرسة الإغريقية لإقليدس وهيرو وبطليموس وثيون وغيرهم . وهذا الاعتماد الضيق جداً لم يؤدِّ إلى ظهور البحوث الأصلية» .

ولكنه يعود إلى القول بأن الترجمة إلى العربية للمراجع الإغريقية في الضوء ظهرت جنبًا إلى جنب مع البحوث الأولى التي كتبت باللغة العربية .

وهذا التزامن للترجمة والبحث لم يتم في فرع الضوء فقط ولكنه ظهر في جميع فروع الرياضيات إن لم يكن في مجمل التراث .

أما «جول راسل» فقد تعرض لجانب آخر من جوانب كتاب «المناظر» ، ففي مقاله بعنوان «ظهور الضوء الوظائفي»(٤) المنشور في المجلد الثاني من موسوعة «تاريخ العلوم العربية» يقول :

«يعرض كتاب المناظر فحص الضوء كشيء مختلف عن الإبصار كما يصف تفصيليًا تركيب العين منفصلة عن وظيفتها ، ثم يجمعهما في محاولة لوصف الإبصار كنتيجة لتكوين صورة داخل العين بسبب الضوء . وأهم ما يميز نظام ابن الهيثم هو قدرته على تحليل الموضوعات المركبة إلى مجموعة من البحوث المترابطة ، وكل منها تتعرض لتحليل كمي لمتغيراتها تحت شروط محكمة . وقد قام ابن الهيثم بإجراء مجموعة من التجارب على انتشار الضوء باستخدام غرف مظلمة بها فتحة في أحد الجوانب كمصدر للضوء مع تغيير هذا المصدر» .

وقد شرح ابن الهيثم عملية انكسار الضوء على أساس أن سرعة الضوء تتأثر بكثافة الوسط الذي ينتقل خلاله الضوء . فإذا انتقل الضوء من الهواء إلى الماء تقلّ السرعة وإذا انتقل من الزجاج إلى الماء تزداد السرعة ، وقد استخدم ابن الهيثم هذه القاعدة لشرح انكسار الضوء عند السطوح الشفافة داخل العين . هذه النقطة الهامة هي أكبر دليل على أن ابن الهيثم كان يعلم أن تصحيح الخلل في البصر يتم بتصحيح عملية انكسار الضوء داخل عدسة العين ، وقد أهمل مارك سميث الإشارة إليها .

وعن هذه النقطة نذكر ما كتبه أحمد سعيد الدمرداش في كتابه عن الحسن ابن الهيثم(٥) حيث قال : إن رأي الحسن في تأثر سرعة الضوء بكثافة الوسط الذي ينتقل فيه الضوء ما هي إلا أساسية «فيرما» (١٦٠١-١٦٦٥) التي تتلخص في أن الضوء عند نفوذه من نقطة في جسم مشفّ إلى نقطة أخرى في جسم مشفّ آخر ملامس للأول يختلف شفيفه (كثافته) عند شفيف الأول ، ويسلك السبيل الذي يستغرق فيه الوصول من النقطة الأولى إلى الثانية أقصر الأوقات ، فهو يسلك السبيل الذي تكون عليه الحركة بحسب تعبير ابن الهيثم «أسرع وأسهل» .

نعود إلى تعليق راسل عن أن ابن الهيثم قد قام ببحث انتشار الضوء بمعزل عن تأثيره على العين ، كما قدَّم وصفًا تفصيليًا لتشريح العين بدون فروض تكوين الصورة في الإبصار . وبعد توضيح تركيب العين قام بشرح المغزى الوظيفي كنظام ضوئي ؛ وبذلك يكون ابن الهيثم هو أول من تناول ما يسمَّى التشريح الوصفي والوظائفي للعين . وقد أوضح أن الجسم المرئي نفسه لا يُشعر به ولكن نقط الضوء العديدة المنكسرة من السطح إلى العين ينتج عنها الشعور بالصورة التى تتكون طبقًا للأسس الضوئية ، ويعتبر مدخل ابن الهيثم للرؤية تغييراً مفاهيميًا حطم التقاليد الإغريقية . وهذا الجزء من مقال راسل يعدّ ردًا كافيًا على ما ذكره مارك سميث من أن العين «البطليموسية - الحسنية» لها وظائف غيبية . ويعود راسل للقول بأن ابن الهيثم قد مهد لنا الانتقال الأساسي من الميكانيكا الملموسة للرؤية إلى نظرية النقطة المناظرة لتكوين الصورة ، كما يعود لابن الهيثم ظهور تشريح العين بصورة نشطة في مناقشات الإبصار كشريك أساسي مع الضوء .

ويختم راسل مقاله بتأكيده على أن كتاب «المناظر» يمثل أقدم الأعمال التى غيرت نمط التفكير حول الإبصار .

أما مقال «ديفيد لندبرج» بعنوان استقبال الغرب للضوء العربي»[٦] في المجلد الثانى من موسوعة «تاريخ العلوم العربية» فقد أشار فيه إلى أن تراجم القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين قد أدّت إلى انتقال المعرفة ، فقد وجدت المسيحية الغربية نفسها تمتلك مجموعة من المراجع في الضوء بعضها لها أصل عربي ، والبعض الآخر مراجع إغريقية انتقلت من خلال الوسيط العربي . أما المرجع الذي أثبت على مر العصور أنه الأكثر تأثيرًا في هذا المجال فهو «دي اسبكتيباس» (المناظر) للحسن بن الهيثم الذي تمت ترجمته في أواخر القرن الثانى عشر أو في أوائل القرن الثالث عشر ، فقد تميز ابن الهيثم بتطعيم نظريته بما توصل إليه «جالن» في مجال التشريح ووظائف الأعضاء والتقاليد الطبية لتنتج نظرية للإبصار ذات مضامين رياضية وفيزيائية وطبية .

وقد أنهى «لندبرج» مقاله بقوله : «إن ما توصل إليه ابن الهيثم وغيره من المؤلفين العرب والإغريق ظل سائدًا خلال القرون الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر . وعندما واجه «يوهانز كبلر» مشكلة الإبصار في بداية القرن السابع عشر بدأ من حيث انتهى ابن الهيثم» .

ومن المعلوم أن كتاب «كبلر» الذي وضعه عام ١٦٠٤م كان بعنوان «تنقيحات على ويتلو» ، أي أنه مراجعة لكتاب «ويتلو» الذي وضعه عام ١٢٧٠م معتمدًا على كتاب «المناظر» لابن الهيثم .

وفي رأي «لندبرج» أن «كبلر» بدأ من حيث انتهى ابن الهيثم ، وهذا هو النقد العلمي المحايد ، وهو يختلف تمامًا عن رأي مارك سميث الذي حاول ربط الحسن ببطليموس من جهة ، ثم زعم أنه السبب في عدم تقدم علم الضوء خلال القرون من العاشر حتى السابع عشر . وادّعى بأن ما قام به «كبلر» هو اختراق مفاهيمي ، رغم أن ما كتبه «كبلر» كان قد تم تطبيقه قبل ذلك بثلاثة قرون على الأقل حين كانت المعرفة الضوئية من صنع العلاّمة الحسن بن الهيثم .

ويقول ج . برونوفسكي البريطاني (وهو بولندي الأصل) في كتابه «ارتقاء الإنسان» عند تعرضه لحركة الترجمة الأوروبية للتراث اليوناني في الأندلس ما يلي :

في رأيي أن أروع الرجال الذين تُرجمت أعمالهم وأشدّهم نفوذًا في المدى الطويل لم يكن يونانيًا ، ومصدر حكمي هذا أنني مهتم بتصور الأجسام في الفراغ وهو موضوع كان اليونانيون فيه على خطأ بَيِّن . لقد فُهم هذا الموضوع لأول مرة حوالى عام ١٠٠٠م على يد عالم رياضي عربي يُدعى ابن الهيثم ، وهو وحده العقل العربي الأصيل الذي أنجبته الثقافة العربية ، لقد ظن اليونانيون أن الضوء ينطلق من العين إلى الأجسام ولكن ابن الهيثم أدرك لأول مرة أننا نرى الجسم لأن كل نقطة فيه ترسل شعاعًا إلى العين . إن التصور اليوناني لم يكن قادرًا على تفسير كيف أن أي جسم يبدو وقد تغير حجمه عندما يقترب من العين أو يبعد عنها . إن فكرة ابن الهيثم من البساطة بحيث يبدو مدهشًا أن العلماء لم ينتبهوا لها إلا بعد ٦٠٠عام من نشره لها (باستثناء روجر بيكون) . أما الفنانون فقد تعاملوا مع هذه الفكرة بطريقة عملية قبل العلماء بزمان طويل . إن مفهوم مخروط الأشعة الصادر عن الجسم إلى العين هو أساس فكرة المنظور . والمنظور هو الفكرة الجديدة التي منحت الرياضيات حيوية جديدة . لقد انتقلت هذه الفكرة المثيرة – فكرة المنظور – إلى الفن في شمال إيطاليا وفلورنسا وفينسيا في القرن الخامس عشر .

وفي مكتبة الفاتيكان بروما توجد اليوم نسخة لاتينية مترجمة من كتاب ابن الهيثم «المناظر» وعليها تعليقات وحواشي «لورنز جبرتي» الذي وضع المنظور البرونزي المشهور لأبواب الكنيسة المعمدانية في فلورنسا . إن مدرسة المنظور هي في الواقع مدرسة في الفكر

لأن هدفها لم يكن مجرد تصوير الأجسام كما تبدو في الحياة وإنما خلق هذا الإحساس بحركة الأجسام في الفضاء .

ويقول عبد العظيم أنيس في كتاب «علماء وأدباء ومفكرون» الصادر عام ١٩٨٣م : أما «برنال» في كتابه «العلم في التاريخ» فإنه يقول شيئًا مشابهًا لما قاله «برونوفسكي» ، ولكنه من ناحية أخرى يؤكد على الأهمية الفسيولوجية للوصف الدقيق الذي قدمه ابن الهيثم لتركيب العين في مناطق شديدة الحرارة كثرت فيها أمراض العيون وعلاقة هذا بضعف البصر والحاجة إلى العدسات المكبرة للقراءة .

الخلاصة

لقد حاول مارك سميث طمس إنجازات الحسن بن الهيثم عن طريق :

١- الربط بين نموذج الحسن ونموذج بطليموس الضوئي ، علمًا بأن جميع المؤرخين يؤكدون الاختلاف الكامل بين النموذجين .

٢- التأكيد بأن الحسن قد مهد الطريق نحو الثورة الضوئية في القرن السابع عشر (في محاولة للربط بين كبلر والثورة الضوئية) ، مع أن جميع المؤرخين يؤكدون على إنجاز الحسن في الضوء الذي تم في نهاية الألفية الأولى هو ثورة معرفية كبرى .

٣- القول بتشابه نموذج الحسن التشريحي للعين مع نموذج بطليموس ، وقد ظهرت الفروق العديدة بينهما في الشريحة المعروضة .

٤- تجاهل اختراق الحسن في وضعه العدسة البلورية للعين في مكانها الصحيح قبل أن يتوصل إليها الغرب اللاتيني بستة قرون .

٥- ارجاع خطأ بيكون (١٢٢٠-١٢٩٢م) في تفسير علاج خلل البصر إلى الحسن بن الهيثم (٩٦٥ - ١٠٤٠م) .

٦- القول بأن وصف كبلر للرؤية يتضارب مع وصف الحسن ، وهذا خطأ بيّن ، حيث يؤكد المؤرخون أن كبلر بدأ من حيث انتهى الحسن .

٧- القول بأن عين كبلر تختلف عن عين «الحسن - بطليموس» ، والواقع أنها تختلف عن عين بطليموس ولا تختلف عن عين الحسن .

٨- القول بأن كبلر قدم تفسيرًا سليمًا لطول النظر وقصره وتصحيحهما بالعدسات ، مع أن هذا

التفسير قد ظهر قبل كبلر بثلاثة قرون كنتيجة مباشرة لنظرية الحسن الضوئية .

٩- القول بأن كبلر قد قوّض نظرية الحسن الضوئية ، وهذا محض افتراء ، إذ أن أعمال كبلر ما هي إلا استكمال لضوء الحسن بن الهيثم .

١٠- عدم الإشارة إلى أن فكرة المنظور الثورية التى توصل إليها الحسن كانت السبب المباشر في تقدم الفن التشكيلى بعد ذلك .

المراجع

(١) «تنقيح المناظر لذوى الأبصار والبصائر»/ كمال الدين أبي الحسن الفارسي - الجزء الأول - تحقيق وتقديم مصطفي حجازي - القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٨٤م .

2- "Ptolemy, Alhazen, and Kepler and the problem of Optical Images", by A. Mark Smith. Arabic Sciences and Philosophy, Vol.8, No.1, March 1998, pp. 9-44.

3- "Geometrical Optics", by Roshdi Rashed. Encyclopedia of the istory of Arabic Science, Vol.2, 1996, pp. 643-671.

4- "The Emergence of Physiological Optics", by Gul Russell, Encyclopedia of the History of Arabic Science, vol.2, 1996, pp.672-715.

(٥) «الحسن بن الهيثم»/ أحمد سعيد الدمرداش .- القاهرة : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر - دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، يوليو ١٩٦٩ .

سلسلة (أعلام العرب ، رقم ٨٥) .

6- "The Western Reception of Arabic Optics", by David c. Lindberg, Encyclopedia of the History of Arabic Science, Vol.2, 1996, pp.716-729.

شخصيات تراثية :

القاضي الفاضل
[٥٢٩ - ٥٩٦هـ / ١١٣٥ - ١١٩٩ م]

د . لبيبة إبراهيم مصطفى محمد *

هو أبو علي عبد الرحيم بن علي بن الحسن اللخمي البيساني ، العسقلاني المولد[1] . كان من أبرز الشخصيات التي ارتفعت مكانتها وعلا نجمها في أفق الدولة الأيوبية ، وذلك لما قدمه من خدمات جليلة في مجال السياسة والجهاد ، بالإضافة إلى كونه علماً من أعلام الأدب العربي ، وصاحب مدرسة فنية مميزة في الكتابة والبلاغة .

كان القاضي الفاضل رجلاً أتاحت له ظروفه ومنصبه أن يعاصر ثلاثة عهود من الحكم المصرى ، ذات ألوان وأساليب متباينة ؛ فالمعروف تاريخيا أنه شهد نهاية وسقوط الدولة الفاطمية الشيعية ، وما صاحب ذلك من الفوضى السياسية التي حلت بالبلاد . كذلك شهد قيام دولة بني أيوب السنية ، وقيام الوحدة بين مصر والشام على يد صلاح الدين الأيوبي ، وماصنعه صلاح الدين في مصر من قوة عسكرية ، ونظام إداري حازم . وشهد أخيراً تفكك الإمبراطورية المصرية الصلاحية ، وكيفية تقسيمها بين أبناء البيت الأيوبي ، والمنازعات والصراعات التي حدثت بين الأسرة الأيوبية من أجل السلطة والحكم .

كان القاضي الفاضل صاحب ديوان الإنشاء في عهدي أسد الدين شيركوه ، وصلاح الدين الأيوبي ، وهو الذي كتب تقليد الوزارة لكليهما من قِبَل الخليفة العاضد الفاطمي[2] ، وأصبح المتحدث الرسمي بلسان صلاح الدين الأيوبي في الداخل والخارج ، «وكان أعز عليه من أهله وأولاده»[3] .

(*) كبير باحثين بمركز تحقيق التراث بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

(١) انظر ترجمته في ابن خلكان : وفيات الأعيان ، تحقيق د . إحسان عباس ، بيروت - دار صادر ، ١٩٦٨م ، ج٣ ، ص١٥٨ - ١٦٣ ؛ السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق د . محمود الطناحي ، القاهرة ، ١٩٦٤ - ١٩٧١م ، ج٧ ، ص١٦٦ - ١٦٨ .

(٢) انظر : القلقشندي : صبح الأعشى ، سلسلة تراثنا ، القاهرة ، ١٩٦٣م ،ج١٠ ، ص٨٠ ، ص٩٠ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، تحقيق أحمد أبو ملحم وآخرون ، بيروت - دار الكتب العلمية ١٩٨٧م ، ج ١٣ ، ص٢٧

وكـان السلطان صـلاح الـدين يُشـيـد بفـضله ويقـول : « لاتظنوا أني ملكت البـلاد بسيوفكم ، بل بقلم القاضي الفاضل»[١] .

وقد بلغ القاضي الفاضل مكانة سامية في الدولة ، فكان الساعد الأيمن لصلاح الدين ، إذ جعله « وزيره ومشيره ، بحيث كان لا يُصدر أمرًا إلا عن مشورته ، ولا يُنفذ شيئا إلا عن رأيه ، ولايحكم في قضية إلا بتدبيره»[٢] .

صحب القاضي الفاضل الناصر صلاح الدين في معظم فتوحاته ببلاد الشام ، ثم أقام بمصر ليشرف على الإدارة المالية ، ويعمل على تجهيز الجيش والأسطول ، وبعدئذ عاد إلى بلاد الشام وظل بالقرب من صلاح الدين وبجواره حتى مرضه الأخير ، وحضر وفاته هو والقاضي ابن شداد سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م[٣] .

وفيما يلي بعض مواقفة التي تؤكد ماذكرناه عن مكانته وعلو منزلته عند صلاح الدين ، وعند أبناء البيت الأيوبي جميعا .

لقد حضر القاضي الفاضل الكثير من فتوحات صلاح الدين في بلاد الشام ، ولكن مرضه منعه من حضور فتح بيت المقدس[٤] ، على الرغم من وجوده في دمشق في تلك الأثناء . لذلك لم ينس صلاح الدين في غمرة فرحته بهذا الفتح العظيم المبارك وزيره ومستشاره القاضي الفاضل ، فأرسل إليه رسالة يبشره فيها بهذا الفتح ، ومن خلال كلمات هذه الرسالة يتضح مدى ما كان يكنه صلاح الدين من حب واحترام وتقدير لهذا القاضي الأجل ، متمنيًا لو أنه كان بحضرته في ذلك الوقت حتى تتم فرحته بما مَنَّ الله به عليه من نصر .

ومما ورد في هذه الرسالة : «وما كان يعوزنا ويعوزه إلا حضور المجلس السامي أسماه الله ، فما لهذا الأمر رواء إلا بروائه ، ولا للأنس لقاء إلا بأنس لقائه ، وكاد يتصحف الفتح

---

(١) العماد الأصفهاني : الفتح القسي في الفتح القدسي ، تحقيق محمد محمود صبح ، القاهرة ـ الدار القومية للطباعة والنشر د .ت ؛ ص٢٧ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ـ دار الكتب المصرية د .ت ، ج٦ ، ص١٥٧ ؛ سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، شيكاغو ، ١٩٠٧م ، ج٨ ، ص٣٠٤ .

(٢) السبكي : طبقات الشافعية ، ج٧ ، ص١٦٦ ـ ١٦٨ ؛ المقريزي : الخطط ، القاهرة ـ مطبعة بولاق ، ١٢٧٠هـ ، ج٢ ، ص٣٦٦ .

(٣) راجع ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق د . جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٦٤م ، ص٢٥١ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تحقيق د . جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٥٣ - ١٩٥٧م ، ج٢ ، ص٤٢١ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٧ ، ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣ .

(٤) كان فتح بيت المقدس في يوم الجمعة ٢٧ رجب سنة ٥٨٣هـ / سبتمبر ١١٨٧م .

لولا صالح دعائه ، وحسن آلائه . والحمد لله الذي خصنا بهذه الخاصية ، وفضلنا بالنصرة القدسية ، وذخر لنا هذا البر الذي عجز بل قصر عنه ملوك البرية ، والحمد لله على هذه النعمة السنية ، فما أشوقنا وأشوق القدس إلى قدومه ، وما أظمأنا وأظمأه إلى خلاص الرّيّ به وعمومه ، ويا حظ هذا البيت الذي هو أخو البيت الحرام من زيارته ، وما آنق روضه وأوفق رضاه إذا فاز بنظره ونضارته ، ونحن نعرف أن همته العاليه تحدوه ، وأن دينه إلى إجابة دعوته تدعوه ، ونسأل الله أن يُكمل صحته وينعش قوته ، ويقوي نهضته ، وما أقمنا بهذا البلد إلا لتطهيره ، وترتيب أمره وتدبيره»[١] .

وفي سنة ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م عندما هَمَّ صلاح الدين لاستكمال فتوحات ساحل الشام ، بدأ بزيارة القاضي الفاضل ، وزيره وصاحبه ، ليستنير برأيه فيما هو قادم عليه ، «فاستضاء برأيه فيما يريد فعله ، وكان لا يأتي أمراً إلا من بابه ، فأقام عنده إلى الظهر ، ثم ودعه ورحل»[٢] .

ولاشك إن إجماع المؤرخين المعاصرين لصلاح الدين على اهتمامه بأخذ مشورة القاضي الفاضل ، إن دَلّ على شئ فإنما يدل على الثقة المكينة التي كان يتمتع بها الفاضل في أغوار نفس صلاح الدين ، لما لمسه منه ومن آرائه من نجاحات في خططه ومشروعاته ، تلك الآراء التي لاتخرج إلا من عقلٍ خبير ذي حكمة وفطنه وفكر صائب .

ومن الطريف أننا عثرنا على نظم للقاضي ابن الذّروي المصري[٣] ، يصف فيه آراء القاضي الفاضل ، ويوضح تأثير آرائه هذه في الانتصارات التي أحرزها المسلمون على الأعداء . حيث يقول :

لرأيك هذا النصر للدين ينتمي	فلا ينتحله كل عضب ولهذم
وإن كان فيه للأسنة والظبي	مساعدة فالفضل للمتقدِّم
تشير على الإسلام منك فراسة	لها حزم طب واحتراز منجم
وتحميه ألفاظ لديك كأنها	قواطع بُتر أو نوافذ أسهم
ألا حبذا فتح نشرت لواءه	وقلت لخيل الله ياخيل أقدمي
وقمت وقد نام الأنام مناجيا	بمولاي نجِّ المسلمين وسَلِّمِ[٤]

(١) راجع سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٢٥٥ ؛ أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ، تحقيق محمد حلمي محمد أحمد ، القاهرة ، ١٩٦٢م ، ج٢ ق١ ، ص٣٢١ .

(٢) أبو شامة : الروضتين ، بيروت ، دار الجيل ، ١٩٧٤م ، ج٢ ، ص١٢٥ ؛ راجع أيضًا ماذكره العماد في الفتح القسى ، ص٢١٧ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، بيروت ، ١٩٧٩م ، ج١٠ ، ص١٦٦ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ؛ ج٢ ، ص ٢٥٥ .

(٣) هو القاضي الوجيه رضي الدين أبو الحسن على بن يحيى بن الحسن بن أحمد ، المعروف بابن الذروي ، نسبة إلى ذروة ، وهي قرية بصعيد مصر . انظر : وفيات الأعيان ، ج٤ ، ص١٤٥ ـ ١٤٦ حيث أورد مجموعة من أشعاره .

(٤) أبو شامة : الروضتين ، ج٢ ، ص١٢٥ .

وفي سنة ٥٨٦هـ/١١٩٢م أثناء محاصرة الصليبيين لعكا : في محاولة منهم لاستعادتها من المسلمين ، ذلك الحصار الشديد الذي انتهى بسقوط عكا في أيدي الصليبيين في جمادى الآخرة سنة ٥٨٧هـ/يولية ١١٩١م ، كان القاضي الفاضل في مصر يدبر شئونها نيابة عن صلاح الدين ، وكان من خلال موقعه هذا «يرتب للسلطان أموره من تجهيز العساكر ، وتعمير الأسطول ، وحمل المال ، ونقل المير إلى عكا والسلطان يكاتبه في مهماته ، وترجع أجوبته بأحسن عباراته مشيراً وناصحًا ومسليًا ، وباحثًا عن مصالح الإسلام متقصيًا»(١) .

وقد استمر دور القاضي الفاضل القيادي البارز في الدولة الأيوبية بعد وفاة الناصر صلاح الدين(٢) ، ولم ينقطع عن العطاء ، وواصل مسيرته لمساندة أبناء صلاح الدين وتأييدهم ونصحهم لتخطي العقبات التي تعترض طريقهم ، وكان هدفه السامي من وراء ذلك الحفاظ علي وحدة الدولة الأيوبية وسلامتها ، لتقف شامخة أمام التحدي الصليبي ، بعد فقد عائلها وقائدها الناصر صلاح الدين الأيوبي .

وبعد وفاة صلاح الدين أقام القاضي الفاضل بدمشق عند الملك الأفضل ابن صلاح الدين ، فرأى في تصرفاته ما استنكره منه ، فنصحه كثيرًا ، ولكنه لم يستجب له ، لذلك فارقه واتجه إلى مصر حيث الملك العزيز ابن صلاح الدين .

فلما علم العماد الأصفهاني بترك القاضي الفاضل للملك الأفضل قال له : « لم تركت القاضي الفاضل يرحل ، والمُلكُ بتحوله يتحوَّل ؟ فقال : ما الذي كنت أفعله وهو لايَقْبل مني؟ فقلت : كان ينبغي أن تركب إلى داره وتفعل كل مايؤثره ، فكُنْتَ تملكُ به أمرك ، وتأمن به في ملكك(٣) . ولكن الأفضل لم يأبه ينصح العماد له ، واستمر فيما هو عليه .

وأثناء النزاع الذي حدث بين الملك الأفضل ، والملك العزيز فيما بين سنتي ٥٩٠ - ٥٩١ هـ/ ١١٩٤ - ١١٩٥م ، لجأ الملك العادل الأيوبي إلى القاضي الفاضل ليصلح ذات البين بين الأخوين ، وذلك لأن القاضي الفاضل «كان مطاعًا عند البيت الصلاحي ، لعلو منزلته التي كانت عند صلاح الدين»(٤) واستطاع الفاضل بما له من خبرة وحكمة أن يوفق بين الأخوين ، وتم الصلح بينهما على يديه .

---

(١) أبو شامة : الروضتين ، ج٢ ، ص١٦٥ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٢ ، ص٣٦١ .
(٢) كانت وفاة صلاح الدين في يوم الأربعاء ٢٧ صفر سنة ٥٨٩هـ . راجع التفاصيل في الروضتين ، ج٢ ، ص٢١٢ - ٢١٤ .
(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج٣ ، ص ١٠ - ١٢ ؛ أبو شامة : الروضتين ، ج٢ ، ص٢٢٨ .
(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج١٠ ، ص٢٤٠ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب من تاريخ حلب ، تحقيق د . سامي الدهان ، دمشق ، ١٩٥١ - ١٩٥٤م ، ج٣ ، ص١٣٤ - ١٣٥ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، ج٣ ، ص٥٢ - ٥٤ .

تلك كانت بعض مواقف القاضي الفاضل مع البيت الأيوبي ، وهي توضح مدى حرصه على بقاء الملك في أبناء صلاح الدين وأحفاده ، وتبين مدى حرصه على اجتماع كلمة المسلمين وعدم فرقتهم . وقد استمر في عطائه للبيت الأيوبي حتى كانت وفاته بالقاهرة في ربيع الآخر سنة ٥٩٦ هـ /١١٩٩م[١] .

ولا يفوتنا هنا أن نذكر أنه كان من أعلام الأدب العربي في فن النثر ، خاصة الرسائل الديوانية التي أمضى وقتًا طويلاً في كتابتها ، والتي صور فيها المواقع التي خاضها المسلمون ضد الصليبيين تصويرًا فنيًا بليغًا ، وكانت هذه نعمة خصه الله بها دون غيره من عامة الناس .

فكانت رسائله مزدحمة بعدد لا حصر له من الصور البيانية الرائعة ، والأساليب الإنشائية المتعددة . فكل رسالة خطها كانت بمثابة لوحة فنية تعب صاحبها في رسمها حتى أخرجها في أبهى وأروع ماتكون .

ويلاحظ في رسائل القاضي الفاضل اختياره للألفاظ القرآنية ، وإيثاره لها ، وهي خاصة تميز بها أسلوبه ، تعرف بـ «نثر القرآن» ؛ فقد كان يتمتع بمقدرة فائقة على أن يدمج القرآن الكريم في كلامه ، فكأنه جزء من هذا الكلام[٢] .

وإلى جانب نثر القرآن امتاز أسلوب القاضي الفاضل بالسجع ، والطباق ، والجناس ، والمقابلة ، وتجسيم المعاني ، وتشخيص الجماد .

وخلاصة القول أن القاضي الفاضل الذي «تمثلت فيه ثقافة عصره كلها تمثلاً حسنًا ، قد استطاع - في مهارة وحذق - أن يفيد فائدة كبيرة من هذه الثقافة التي أخضعها لفنه ، وأن يمزج هذه الثقافة نفسها بهذا الفن ، مزجًا خرجت به الطريقة الفاضلية في زينتها ، فبهرت أعين الناظرين إليها ، وجعلتهم ينظرون إلى صاحبها على أنه عاهل الكتابة العربية في عصره»[٣] .

رحم الله القاضي الفاضل رحمة واسعة .

---

(١) راجع سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج٨ ، ص ٣٠٤ - ٣٠٥ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص١٥٨ - ١٦٣ ؛ السبكي : طبقات الشافعية ، ج٧ ، ص ١٦٦ - ١٦٨ ؛ المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق د . محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ، ١٩٣٤م ، ج١ ، ص١٨٤ - ١٨٥ ؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، القاهرة ، ١٣٥٠هـ ، ج٤ ، ص٣٢٤ .

(٢) راجع بعض هذه الرسائل في الروضتين ، ج٢ ، ص١٦٦ ، ص٢٣١ - ٢٣٣ ؛ صبح الأعشى ، ج٦ ، ص٤٩٦ .

(٣) عبد اللطيف حمزة : أدب الحروب الصليبية ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٤م ، ص٢٠٠ - ٢٠١ ؛ عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، د.ت ، ص٢٨٠ - ٢٨٢ .

قائمة المراجع

ابن الأثير (عز الدين علي بن محمد بن عبد الكريم ، ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م) :

* الكامل في التاريخ . بيروت ، ١٩٧٩م .

ابن تغرى بردي(أبو المحاسن يوسف ، ت ٨٧٤هـ / ١٤٧٠م) :

* النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . القاهرة ، دار الكتب المصرية ، د .ت ، الجزء السادس

ابن خلكان (أحمد بن محمد بن أبي بكر ، ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)

*وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان . تحقيق د . إحسان عباس . بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٨م .

ابن شداد (بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم ، ت ٦٣٢هـ / ١٢٣٩م) :

*النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية . تحقيق د . جمال الدين الشيال .القاهرة ، ١٩٦٤م .

ابن العديم (عمر بن أحمد ، ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م) :

* زبدة الحلب من تاريخ حلب . تحقيق د . سامي الدهان . دمشق ،١٩٥١ - ١٩٥٤م .

ابن العماد الحنبلي(عبد الحي بن أحمد بن محمد ، ت ١٠٨٩هـ /١٦٧٨م) :

* شذرات الذهب في أخبار من ذهب . القاهرة ، ١٣٥٠هـ .

ابن كثير (عماد الدين إسماعيل بن عمر ، ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) :

* البداية والنهاية . تحقيق أحمد أبو ملحم وآخرون . بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٧م .

ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم ، ت ٦٩٧هـ / ١٢٩٨م) :

*مفرج الكروب في أخبار بني أيوب . تحقيق د . جمال الدين الشيال . القاهرة ،١٩٥٣ ـ ١٩٥٧م (الأجزاء من ١ ـ ٣) .

أبو شامة (عبد الرحمن بن إسماعيل ، ت ٦٦٥ هـ/ ١٢٦٧م) :

* الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية . تحقيق د . محمد حلمي محمد أحمد . القاهرة ، ١٩٦٢م .

* الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية . بيروت ، دار الجيل ، ١٩٧٤م .

سبط ابن الجوزي(يوسف بن قزأغلي ، ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٧م) :

* مرآة الزمان في تاريخ الأعيان . شيكاغو ، ١٩٠٧م ، ج٨ .

السبكي(عبد الوهاب بن علي ، ت ٧٧١هـ / ١٣٧٠م) :

* طبقات الشافعية الكبرى . تحقيق د . محمود الطناحي ، د . عبد الفتاح الحلو . القاهرة ، ١٩٦٤ ـ ١٩٧١م .

د . عبد اللطيف حمزة :

* أدب الحروب الصليبية . القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٤م .

* الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول . القاهرة ، دار الفكر العربي ، د . ت .

العماد الأصفهاني(محمد بن محمد بن حامد ، ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) :

* الفتح القسى في الفتح القدسي . تحقيق محمد محمود صبح .

القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، د . ت .

القلقشندي(أحمد بن علي ، ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) :

*صبح الأعشى في صناعة الإنشا . سلسلة تراثنا ، القاهرة ، ١٩٦٣م .

(وهذه النسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ١٩١١ ـ ١٩٢٢م) .

المقريزي(تقي الدين أحمد بن علي ، ت ٨٤٥ هـ /١٤٤٢م) :

* المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار . القاهرة ، مطبعة بولاق ، ١٢٧٠هـ .

* السلوك لمعرفة دول الملوك . تحقيق د . محمد مصطفى زيادة . القاهرة ، ١٩٣٤ ، ج١ .

نصوص من التراث :

الفانيد في حلاوة الأسانيد
تأليف
الحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر
السيوطي (المتوفى ٩١١هـ)

تحقيق أ . مرزوق علي إبراهيم*

تقديـم :

الحمـد لله وكـفى ، وسـلام على عـبـاده الذين اصطفى ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد خاتم النبيين والمرسلين ، وآله ، وصحبه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . أما بعد . . .

فإن الله كـرَّم هذه الأمة وشـرَّفـهـا ، وفضلها بالإسناد ، وليس لأحد من الأمم قـديمـهـا وحديثها ، إسناد موصول ، كالذي نجده فيما روي من أحاديث النبى ﷺ ، فقد كانوا يتحرون النقل عن الثقة المعروف في زمانه بالصدق والأمانة ، عن مثله ، حتى تتناهى أخبارهم ، ثم يبحثون أشـد البحث حتى يعرفوا الأحفظ ، فالأحفظ ، والأضبط ، فالأضبط ، والأطول مجالسة لمن فوقه ، ممن كان أقصر . ثم يكتبون الحديث من عشرين وجهًا وأكثر حتى يهذبوه من الغلط والزلل ، ويضبطوا حروفه ، ويعدُّوه عداً ، فهذا من فضل الله على هذه الأمة ، فنستودع الله شكر هذه النعمة ، وغيرها من نعمة .

وإذا نظرنا إلى طرق تحمل الحديث وأقسامه[١] ، تبين لنا تلكم الدقة المنهجية لهذا

(*) باحث بمركز تحقيق التراث بدار الكتب .

(١) ومجامعها ثمانية أقسام :

القسم الأول : السماع : من لفظ الشيخ ، وسواء كان من حفظه أو من كتابه . وهذا القسم أرفع الأقسام عند الجماهير . . . ثم «حدثنا» و «حدثني» . . . ثم يتلو ذلك : «أخبرنا» .

القسم الثاني : القراءة على الشيخ .

القسم الثالث : الإجازة وهي أنواع :

أولها : أن يجيز لمعيَّن في مُعين . **ثانيهما** : أن يجيز بمعين في غير مُعيَّن .

ثالثهما : أن يجيز لغير مُعيَّن بوصف العموم ، مثل أن يقول : أجزت للمسلمين ، أو أجزت لكل أحد ، أو أجزت لمن أدرك زماني ، وما أشبه ذلك .

رابعها : الإجازة للمجهول أو بالمجهول . **خامسها** : الإجازة للمعدوم ، وكذا للطفل الصغير . =

العلم المنضبط ، الذي يقوم علي التحري والتحقيق ، وظهر بجلاء أنَّ المسلمين سبقوا الأمم جميعًا باستخدامهم المنهج العلمي الصحيح في توثيق النصوص[1] .

«ولما خص الله هذه الأمة بعلم الإسناد : نَصَبَ للقيام بحفظه خواص من الحفاظ النقاد ، وجعلهم ذابِّينَ عن سنة نبيه ﷺ في جميع الأوقات والبلاد ، باذلين وسعهم في تبيين الصحة من طرقها والفساد ، خوفًا من الانتقاص منها والازدياد ، ودحضًا لما اخترعه أهل الأهواء والعناد ، وحفظًا علي الأمة إلي يوم التناد ، فبالغوا في ذلك بالجد والاجتهاد ، ولا تزال على القيام بذلك - بحمد الله ولطفه - طوائف من خواص العباد ، إلى انقضاء الدنيا وإقبال المعاد ، وإن قلوا وقرُبوا من النفاد[2]» .

= **سادسها** : إجازة ما لم يسمعه المجيز ولم يتحمله أصلاً بعد ليرويه المجاز له إذا تحمله المجيز بعد ذلك .

القسم الرابع : المناولة وهي نوعان :

أحدهما : مناولة مقرونة بالإجازة . **وثانيهما** : المناولة المجردة عن الإجازة .

القسم الخامس : المكاتبة : وهي أن يكتب الشيخ إلى الطالب وهو غائب شيئًا من حديثه بخطه ، أو يكتب له ذلك وهو حاضر .

القسم السادس : إعلام الراوي للطالب بأن هذا الحديث أو هذا الكتاب سماعه أو رواية من فلان مقتصرًا على ذلك من غير أن يقول : اروه عني ، أو أذنت لك في روايته ، ونحو ذلك . . .

القسم السابع : الوصيَّةُ بالكُتب : أن يوصِي الراوي بكتاب يرويه ، عند موته أو سفره ، لشخص .

القسم الثامن : الوجادَةُ : أن يقف على كتاب شخص فيه أحاديث يرويها بخطه ولم يلقه ، أو لَقِيَه ، ولكن لم يسمع منه ذلك الذي وجده بخطه ، ولا له منه إجازة ولا نحوها . انظر مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح ٢٤٥-٢٩٥ باختصار (تحقيق الدكتورة عائشة عبدالرحمن . ط . دار الكتب - القاهرة - ١٩٧٤م) . وإرشاد طلاب الحقائق إلى معرفة سنن خير الخلائق ﷺ ١٢١-١٤٢ (تحقيق الدكتور نور الدين عتر - دار البشائر الإسلامية ، بيروت ١٩٩١م) .

(١) من ذلك ما قيل عن مقدمة ابن الصلاح : « . . .قد أخذت مكانها الجليل بين الكتب الأمهات لعلوم الحديث . لكنها غابت طويلاً في مجال مناهج البحث ، فلم يلتفت أكثر المشتغلين منا بهذه المناهج تأريخًا أو دراسة أو ترجمة ، إلى أنَّ مقدمة ابن الصلاح تعطينا أدق القواعد للمنهج النقلي الذي تأصل في مدرسة علماء الحديث ، إلى المدى الذي لا أعلم أنَّ مناهجنا المحدثة قد تجاوزته . . .

وقد أعلم أنَّ عصرنا الحديث قدم إلى المنهج النقلي جديدًا من وسائل التوثيق للنصوص والمرويات ، لم تكن متاحة لجيل مضى ، كأجهزة التصوير ومعامل الفحص الكيميائي لمواد الكتابة وأنواع الخط .

لكني أعلم كذلك أن علماء الحديث ، أصّلوا من قواعد المنهج لتوثيق المرويات ، وفحص الأسانيد ونقد المصادر ، مالا تستغني عنه مناهجنا الحديثة في النقد والتحقيق والرواية والنقل .

وحين يتصل الأمر بمناهج البحث ، فمقدمة ابن الصلاح لا تعطي تراثنا قيمة فحسب ، بل ينبغي كذلك أن تكون بين أيدي هذه الأجيال من الدارسين ، عمدة في المنهج النقلي لتوثيق المصادر وتحقيق النصوص ، في مجال الدراسات الإسلامية ، وفي مجال النقد التاريخي أيضًا لكل درس يعتمد الوثائق المخطوطة أو المدونة ، مادة له ومصدرًا . . .» . مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح ١٠-١١ (باختصار) .

(٢) إرشاد طلاب الحقائق إلى معرفة سنن خير الخلائق ﷺ ٥٣-٥٤ .

ولقد عقد الإمام مسلم في مقدمة صحيحه بابًا بعنوان : «باب بيان أنَّ الإسناد من الدين ، وأنَّ الرواية لا تكون إلا عن الثقات . وأن جرح الرواة بما هو فيهم جائز ، بل واجب ، وأنه ليس من الغيبة المحرمة ، بل من الذبّ عن الشريعة المكرمة[١] .

فعن محمد بن سيرين ، قال : إنَّ هذا العِلمَ دين . فانظروا عَمَّنْ تأخذون دينكم[٢] .

وقال عبدالله بن المبارك : الإسناد عندي من الدين ، لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء[٤] . فإذا قيل له : من حدثك ، بقي[٣] . (أي سكت) .

وقال أيضًا : بيننا وبين القوم القوائم[٤] ، يعني الإسناد .

وعن مِسْعَرٍ ، قال : سمعت سعد بن إبراهيم يقول : لا يحدث عن رسول الله ﷺ إلا الثقات[٥]» .

وقال الحافظ ابن حجر : «الأسانيد أنساب الكتب»[٦] .

والكتاب الذي نقدمه من الكتب اللطيفة النادرة المفيدة ، فقد جمع فيه مصنفه طائفة من الأحاديث التي يقع في إسنادها[٧] لطيفة ، وسماه بـ «**الفانيد في حلاوة الأسانيد**» .

ولقد كان سبب تأليفه لهذا الجزء أن سأله سائل : هل روى الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه عن الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى شيئًا؟ فأجاب المصنف على ذلك وكتب هذا الجزء اللطيف .

هذا وفي الكتاب فوائد شتى يراها القارئ والباحث وطالب العلم .

وأسأل الله العلي القدير أن ينفع به ، ويوفقنا جميعًا إلى نشر ما فيه نفع الأمة ، وإحياء تراثنا العظيم ، إنه نعم المولي ونعم النصير .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

---

(١) صحيح مسلم ١٤/١ . (تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي - دار إحياء التراث العربي- بيروت ١٣٧٤هـ) .
(٢) نفسه ، ونفس الصفحة .
(٣) صحيح مسلم ١٥/١ ، وسنن الترمذي ٤٣٨/٩ . (تحقيق عزت عبيد الدعاس - المكتبة الإسلامية استانبول) .
(٤) سنن الترمذي ٤٣٨/٩ والزيادة منه .
(٥) صحيح مسلم ١٥/١ ومعنى هذا الكلام : إن جاء بإسناد صحيح قبلنا حديثه ، وإلا تركناه ، فجعل الحديث كالحيوان لا يقوم بغير إسناد . كما لا يقوم الحيوان بغير قوائم .
(٦) صحيح مسلم ١٥/١ ومعناه : لا يقبل إلا من الثقات .
(٧) المنجم في المعجم ٨ . (تحقيق إبراهيم باجس - دار ابن حزم - بيروت - ١٩٩٥م) .

حول كلمة : «الفانيد . . .»

الفانيد أصلها الفانيذ ، وهي من الكلمات الفارسية الدخيلة[١] .

والفانيذ : ضرب من الحلواء مُعَرَّب پانيد[٢] .

وپانيد : پانيذ : سكر أحمر ، أو أصفر أو أبيض مكرر ، ونوع من الحلوى[٣] .

وقال الفيومى : الفانيذ نوع من الحلوي يعمل من القَنْد والنَّشَا وهي كلمة أعجمية لفقد فاعيل من الكلام العربي ، ولهذا لم يذكرها أهل اللغة[٤] .

وحرف الدال من الألفاظ الفارسية وهو بحساب الجمل[٥] ، وقد يبدل في بعض الكلمات بـ (ت) وأحيانًا بـ (ذ) مثل كنبد وكنبذ . وقد كان في القديم يلفظ دالاً إلا إذا كان قبله حرف ساكن وغير معتل فينطق (ذالاً) مثل كنبد ونمود وكشود ، فتلفظ كنبذ ، ونموذ وكشوذ . أما اليوم فلا تراعى هذه القاعدة[٦] .

وحرف الذال من الألفباء الفارسية ، وهو في حساب الجمل (٧٠٠) وقد كان موجوداً قبل الإسلام في إيران وبالتدريج أخذ يتحول إلى حرف (دال)[٧] .

وقد جاءت كلمة «الفانيد» في فهرس الفهارس للكتاني ضمن عنوان لكتاب قريب الشبه لكتابنا هذا وهو «حلاوة الفانيد في إرسال حلاوة الأسانيد» ، للشيخ محمد مرتضي بن محمد بن محمد بن عبدالرزاق االحسيني العلوي الزبيدي النسب المتوفى سنة (١٢٠٥هـ)[٨] .

وهو كما يبدو جاء متأخرًا عن السيوطي ، ولعله اقتبس الكلمة منه .

وقد جاءت كلمة : «الفانيد» في اسم الحسين بن الحسين الفانيد ، الراوي عن أبي علي بن شاذان ، والمتوفى سنة (٤٩٦هـ)[٩] .

---

(١) الإسناد ، ويقال السند : رواة الأحاديث الذين نقلوه إلينا .

(٢) المعرب ، للجواليقي ٤٧ . (اعتنى به الدكتور ف . عبدالرحيم - دار القلم - دمشق ١٩٩٠م) .

(٣) القاموس المحيط ٣٥٤/١ والسامي في الأسامي ٢٠٤ ولسان العرب ٣٨/٥ .

(٤) المعجم الذهبي (فارسي عربى) (پانيد) ، (پانيذ) ١٤٠ (تأليف محمد التونجي ، دار العلم للملايين - بيروت ١٩٨٠) .

(٥) المصباح المنير ، للفيومي ١٨٣ . (مكتبة لبنان - بيروت . دون تاريخ) . وفاعيل من الأوزان غير العربية نحو : هابيل ، وقابيل ، وشاهين وغيرها . المعرب ١٧ .

(٦) المعجم الذهبي (فارسي - عربى) ٢٥١ . (تأليف محمد التونجي ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٠م .)

(٧) المعجم الذهبي ٢٨٧ .

(٨) فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات ، للكتاني ٣٦٣/١ و ٥٢٦ و ٥٣٨ . (عناية : إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي - بيروت - ١٩٨٢) .

(٩) ميزان الاعتدال ، للذهبي ٥٣٣/١ (تحقيق علي محمد البجاوي - دار المعرفة - بيروت ١٩٨٢م) . ولسان الميزان ٢٧٩/٢ نشر مؤسسة الأعلمى . بيروت- ١٣٩٠هـ) . والكواكب النيرات في معرفة من اختلط من الرواة الثقات ، لابن الكيال ٢٨ . (تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي - المكتبة السلفية- القاهرة -١٤٠١هـ) .

ويتضح من ذلك أنَّ هذه الكلمة عرفت في اللغة العربية ، وإن كانت نادرة فيما نرى .

السيوطي في سطور

- هو عبدالرحمن بن أبي بكر محمد بن سابق الدين بن فخر عثمان بن ناظر الدين بن خضر بن أيوب الخضيري الأسيوطي ، ولقبه جلال الدين .
- نشأ نشأة علمية ، وكان من بيت علم ، وتربى في أسرة انقطع معظم رجالها لطلب العلم والاشتغال بالتعليم .
- أخذ العلم على عدد هائل من الشيوخ في كل فن ، وقد ذكرهم في المنجم في المعجم ، وهم نحو مائة وخمسة وتسعين شيخًا ، ذكر بعضهم في حسن المحاضرة .
- سافر إلي بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب والتكرور .
- رزق التبحر في سبعة علوم هي التفسير ، والحديث ، والفقه ، والنحو ، والمعاني ، والبيان والبديع ، وقد كملت عنده آلات الاجتهاد ، وكتب في كل شيء إلا الحساب .
- نالت مؤلفاته شهرة واسعة ، وانتشاراً في كل الأقطار ، وسارت بها الركبان ، ورفع الله له من الذكر الحسن والثناء الجميل ما لم يكن لأحد من معاصريه وتصانيفه على حد قول ابن القاضي : « . . .تجاوز الألف»[١] . وقد قامت مؤلفات حديثه بحصر مؤلفاته وهي قريبة من هذا العدد الذي ذكره ابن القاضي[٢] .
- تُوفيّ رحمه الله في سحر ليلة الجمعة ١٩ من جمادي الأولى سنة ٩١١هـ ، ودفن بالقاهرة في حوض قيصون خارج باب القرافة المعروفة الآن ببوابة السيدة عائشة[٣] .

نسبة الكتاب إلى مؤلفه

ذُكر هذا الكتاب في كشف الظنون لحاجي خليفة في موضعين : فقال مرة : «رسالة في الحديث» . بعد أن ذكر اسمه ونسبه[٤] ، وقال في موضع آخر : «الفانيد في حلاوة

(١) درة الحجال في أسماء الرجال ، لابن القاضي ٩٢/٣ (تحقيق الدكتور الأحمدي أبو النور - دار النصر للطباعة - القاهرة - ١٩٧٠م) .

(٢) دليل مخطوطات السيوطي وأماكن وجودها ، لأحمد الخازندار ، ومحمد إبراهيم الشيباني ، وقد وصلت المؤلفات الخطية والمطبوعة في هذا الكتاب إلي (٩٨١) مصنفًا) . (مكتبة ابن تيمية - الكويت - ١٩٨٣م) . ومكتبة الجلال السيوطي ، لأحمد الشرقاوي إقبال ، دار المغرب للتأليف والترجمة ، الرباط - ١٣٩٧هـ .

(٣) قبر الإمام السيوطي وتحقيق موضعه ، لأحمد تيمور باشا ٧-٨ (السلفية - القاهرة - ١٣٤٦هـ) وانظر حسن المحاضرة ، للسيوطي ٣٨/١ (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية - ١٣٨٧هـ - القاهرة) .

(٤) ١٥٠/١ (طبعة استانبول - ١٩٤١م)

الأسانيد . . .رسالة للسيوطي»[١] .

وكذلك ذكره البغدادي في هدية العارفين[٢] .

وأجمعت الفهارس العامة للمكتبات الخطية على نسبته للسيوطي وعلي اسمه المثبت هنا كما جاء في دليل مخطوطات السيوطي . ومن ذلك : فهرس جامعة الرياض رقم ١٤١١ ، وبرلين ١٤١٣ والمكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء ، مجموع٢٥٩ ، ومكتبة الخنتي (بالسعودية) ٣٧ مجاميع ، وأيا صوفيا الوطنية في بلغاريا ، مجموع ١٦١٨ ، فضلاً عن فهارس دار الكتب المصرية المثبتة في وصف المخطوطات المعتمدة هنا[٣] .

كذلك ثبت اسم الكتاب ونسبته للسيوطي فيما وقفت عليه من نسخ خطية .

وليس أدل على قيمة الكتاب ونفاسته من انتشاره في تلك المكتبات المتفرقة .

وصف النسخ الخطية التي اعتمدت عليها في التحقيق

لقد اعتمدت في تحقيق هذا الكتاب على عدة نسخ خطية ، كلها ضمن مخطوطات دار الكتب المصرية وهذا بيانها :

النسخة الأولى :

برقم ٤١٦ مجاميع ، وهي من القطع الكبير ، وتشغل في هذا المجموع من أثناء الورقة ٨١ (أ) حتى نهاية الورقة ٨٣ (ب) . وخطها جيد مقروء دقيق ، وهي أقدم نسخة كما يتضح من خطها ، ومما أثبت عليها من تأريخ . وقد كتبت العناوين فيها بالحمرة ومسطرتها (٣٣) سطرًا ، وتتميز هذه النسخة بأنها تامة ، عليها تاريخ النسخ واسم الناسخ ، ونص ذلك : « . . . وكان الفراغ من نسخه يوم الاثنين قبيل المغرب خامس شهر ربيع الثاني سنة سبع وسبعين وألف على يد ناسخه الفقير عبدالله بن السيد من ذرية سيدي أبي القاسم الحسيني الطهطاوي ، نفعنا الله به آمين . . .» .

---

(١) ١٢١٧/٢ .

(٢) ٥٤١/١ (طبعة دار العلوم الحديثه - بيروت) .

(٣) دليل مخطوطات السيوطي وأماكن وجودها ٧٨ .

النسخة الثانية :

ضمن مجموع برقم ٥٤ (مجاميع حليم) وتبدأ من الورقة ٨٢(أ) حتى الورقة ٨٧(ب) وهي من القطع الكبير ، وخطها جيد مقروء ، ولكنه أحدث من خط النسخة السابقة ومسطرتها (٢١) سطرًا ، وقد رمزت لها بالرمز (ح) .

النسخة الثالثة :

ضمن مجموع كذلك برقم ٦٦٤ (مجاميع) ، وتبدأ من الصفحة (٤٧) حتي الصفحة (٥٢) وحجم ورقه من القطع الكبير . ومسطرته (١٩) سطرًا ، وقد كتبت بخط مغربي جيد مقروء . وهي ناقصة من آخرها ، وأثبتّ ذلك عند مقابلتها في الحواشي ، وقد رمزت لها بالرمز(مـ) .

النسخة الرابعة

وهي برقم ٣٦٢ (مجاميع تيمور) .

وهذا المجموع كتب بخط نفيس ، جميل ، دقيق ، وعناوينه بالحمرة ، ويقع كتاب الفانيد فيه من الورقة ١٢٢(ب) حتى الورقة ١٢٥(أ) وحجم المخطوط وقطعه متوسط ، ومسطرته (٢٥) سطرًا .

وهذه نسخة تامة ، وقد رمزت لها بالرمز (ت) .

وفيما يلي نماذج مصورة من تلك المخطوطات :

بعلمه الاسم الاعظم فرأى في النوم هو الله الله الله الذي لا إله إلا هو [illegible]
الأسماء الحسنى [illegible] المتقدم [illegible]
في الأسماء التي دعوت بها القول الثامن [illegible] كل اسم من أسمائه [illegible]
[illegible]
في الحلية عن أبي يزيد البسطامي أنه سأله رجل عن الاسم الأعظم فقال [illegible]
[illegible] فإذا كنت [illegible] أي اسم شئت [illegible] إلى المشرق والمغرب
وأخرج أيضا عن أبي سليمان الداراني قال سألت بعض المشايخ عن اسم الله الأعظم فقال تعرف قلبك
قلت نعم قال فإذا رأيته [illegible] فاسأل الله حاجتك فذلك اسم الله الأعظم وأخرج أيضا
عن ابن الربيع [illegible] رجلا فقال له علمني الاسم الأعظم قال [illegible]
الله [illegible] القول التاسع [illegible] اللهم حكاه الزركشي في شرح جمع الجوامع [illegible]
لذلك بأن الله دال على الذات والرحمن دالة على الصفات [illegible]
قال الحسن البصري اللهم مجمع الدعاء وقال النضر بن شميل من قال اللهم فقد دعا الله بجميع
أسمائه العشرون الاسم أخرج ابن جرير عن ابن مسعود قال [illegible] هو اسم الله الأعظم وأخرج
ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال [illegible] اسم من أسماء الله الأعظم وأخرج [illegible]
عن ابن عباس قال [illegible] الله به وهو من أسمائه تعالى [illegible]
[illegible] على سيدنا محمد [illegible] بحمد الله وعونه وحسن توفيقه وكان الفراغ [illegible]
يوم [illegible] المبارك خامس شهر ربيع الثاني سنة [illegible]
[illegible] عبد الله [illegible] من ذرية سيدي أبي القاسم [illegible]

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى سألني سائل [illegible]
أبو حنيفة عن الإمام مالك بن أنس رحمهما الله تعالى شيئا فقلت له نعم [illegible] أنه روى عنه
[illegible] ووعدته أن أخرجها له فكتبت هذا الجزء في ذلك ونحوه مما وقع من الأحاديث في
إسناده لطيفة وسميته الفانيد في حلاوة الأسانيد حديث فيه رواية نبينا
صلى الله عليه وسلم عن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام [illegible]
[illegible] الله الكريم [illegible] لنا سندا متصلا [illegible] إبراهيم [illegible]
[illegible] قال أنا عبد الله بن علي [illegible]
[illegible]
عبد الله أنا أبو بكر بن زيد أنا سليمان بن أحمد [illegible] بن الحسن بن المثنى [illegible]
محمد بن [illegible]
[illegible]
[illegible] عبد الله بن مسعود [illegible]

الصفحة الأولى من نسخة الأصل

الصفحة الأخيرة من نسخة الأصل

اخرج ابو الشيخ في الثواب عن ابن مسعود رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فرغ احدكم من
طهوره فليقل اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله
ثم ليصل علي فاذا قال ذلك فتحت له ابواب الرحمة تمت
الرسالة والحمد لله وحده

كتاب الفانيد في حلاوة الاسانيد
للحافظ السيوطي رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى سألني
سائل هل روى الامام ابو حنيفة رضي الله تعالى عنه
عن الامام مالك بن انس رحمه الله تعالى شيئا فقلت له نعم
في حفظي انه روى عنه حديثين ووعدته ان اخرجهما
له فكتبت هذا الجزء ونحوه في ذلك ونحوه مما يقع
من الاحاديث التي في اسنادها لطيفة وسميته الفانيد
في حلاوة الاسانيد حديث فيه رواية نبينا محمد صلى
الله عليه وسلم عن ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام
وقد نبه عليه النووي في تهذيبه فقال قدس الله الكريم
فجعل لنا مسندا متصلا بخليله ابراهيم اخبرني شيخنا
الامام تقي الدين الشمني بقراءتي عليه قال انا ابو عبد الله بن
علي الكناني انا ابو الحرم القلانسي اخبرتنا مؤنسة

الصفحة الأولى من نسخة (ح)

من اجمل الناس وكان اسمر رقيق اللون لا بالطويل
ولا بالقصير وكان لعبد الله جمة الى شحمة اذنيه وكانت
[illegible] شعره الى شحمة اذنيه وقال علي بن الجهم وكانت
للمتوكل جمة الى شحمة اذنيه وقال لنا المتوكل وكان
للمعتصم جمة وكذلك المأمون والرشيد والمهدي
والمنصور ولابنه محمد ولجده علي ولابيه عبد الله بن عباس

وهذا اخر الكتاب والحمد لله
تعالى وحده
تم

وهذا جزء لطيف في الشتاء للحافظ
جلال الدين السيوطي
رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله خالق الازمنة والفصول والصلاة والسلام
على محمد خير نبي ورسول هذا جزء الفته في فضل الشتا
معتبر ضمنته ما ورد فيه من الحديث النبوي والاثر
اخبرتني ام الفضل بنت محمد المقدسي بقراءتي عليها
انا ابو المعالي عبد الله بن عمر وابو العباس احمد بن الحسين
قالا اخبرتنا ام الخير بنت علي انا ابو الطاهر بن عوف
وابو العباس الدمشقي قالا ابو القاسم البوصيري عن

الصفحة الأخيرة من نسخة (ح)

بان الناس لم يزالوا مختلفين في ذلك قال والذي اراه انه مباح ليس
بسنة ولا بدعة انتهى ونقله الشرف النووي في شرح المنهاج
ولم يزد عليه انتهى والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى سألني سائل هل روى الامام
ابو حنيفة عن الامام مالك بن انس ... نعم في حفظي انه روى
عنه حديثين ووعدته انه اخرجها له فكتب هذا الجزء في ذلك
ونحوه مما وقع من الاحاديث في اسانيده لطيفة
الفانيد في حلاوة الاسانيد فيه رواية نبينا صلى الله
عليه وسلم عن ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وقد نبه عليه النووي
في تهذيبه فقال وقد من الله الكريم فجعل لنا سندا متصلا
بخليله ابراهيم اخبرني شيخنا الامام تقي الدين الشمني
بقراءتي عليه انا عبد الله بن علي الكناني انا ابو الحرم القلانسي
اخبرتنا مونسة خاتون بنت الملك العادل ابي بكر بن ايوب
اخبرتنا عفيفة بنت احمد اخبرتنا فاطمة بنت عبد الله اخبرنا ابو بكر
ابن اخبرنا سليمان بن احمد ثنا علي بن الحسين بن المثنى الجهني
التستري ثنا محمد بن الحارث الخزاز البغدادي ثنا سيار بن حاتم
ثنا عبد الواحد بن زياد عن عبد الرحمن بن اسحق عن القاسم بن عبد الرحمن

عن عبد الله بن الفضل عن نافع بن جبير بن مطعم عن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الايم احق بنفسها من وليها والبكر
تستأمر وصمتها اقرارها حديث فيه رواية الشافعي عن
محمد بن الحسن عن ابي يوسف اخبرني عبد الرحمن بن محمد
الغزي بقراءتي عليه انا ابو الفرج الغزي عن وزيرة بنت عمر
انا الحسين بن المبارك انا ابو زرعة المقدسي انا ابو الحسن مكي بن محمد
انا ابو بكر الحيري ثنا ابو العباس الاصم ثنا الربيع بن سليمان المرادي
ثنا محمد بن ادريس انا محمد بن الحسن عن يعقوب بن ابراهيم عن عبد الله
ابن دينار عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الولاء لحمة كلحمة
النسب لا يباع ولا يوهب حديث من رواية الشافعي عن
مسلم عن ابن جريج عن الثوري عن مالك ففيه بينه وبين مالك
ثلاثة انفس وبالاسناد الماضي الى الربيع بن سليمان انا
الشافعي انا مسلم عن ابن جريج عن الثوري عن مالك بن انس
عن يزيد بن عبد الله





الصفحة الأخيرة من نسخة (م)

بسم الله الرحمن الرحيم[١]

الحمد لله وكفى[٢] وسلام على عباده الذين اصطفى .

سألني[٣] سائل : هل روى الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه عن الإمام مالك بن أنس رحمهما[٤] الله تعالى شيئًا؟

فقلت له : نعم .

في حفظي أنه روى عنه حديثين ، ووعدته أنَّ أخرجَهما له ، فكتبت هذا الجزء في ذلك ونحوه مما وقع[٥] من الأحاديث التي[٦] في إسنادها[٧] لطيفة ، وسميته : «**الفانيد في حلاوة الأسانيد**» .

حديث فيه رواية نبينا محمد[٦] ﷺ عن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام

وقد نبه عليه النووي في تهذيبه فقال : قد[٨] مَنَّ الله الكريم ، فجعل لنا مسندًا متصلاً بخليله إبراهيم :

[١] أخبرني شيخنا الإمام تقي الدين الشمني بقراءتي عليه . قال : أنا[٩] عبدالله بن علي الكناني ، أنا أبو الحرم القلانسي ، أخبرتنا مؤنسة خاتون ابنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب : أخبرتنا عفيفة بنت أحمد ، أخبرتنا فاطمة بنت عبدالله ، أنا أبو بكر بن زيد ، أنا سليمان بن أحمد ، ثنا[١٠] علي بن الحسين بن المثنى الجهني التستري ، حدثنا محمد بن الحارث الخزاز البغدادي : ثنا سيار بن حاتم ، ثنا عبدالواحد بن زياد ، عن عبدالرحمن بن إسحاق ، عن القاسم بن عبدالرحمن ، عن أبيه ، عن عبدالله بن مسعود ، عن أبيه ، عن جده

(١) في (ح) بعد البسملة : «وصلى الله وسلم على محمد وآله» .
(٢) كلمة : «وكفى ساقطة في (م) .
(٣) في (ح) : «سأل» .
(٤) في (ح) : «رحمه» .
(٥) في (ح) : «يقع» .
(٦) كلمة : «التي» ساقطه في (م) .
(٧) في الأصل : «أسانيد» . والمثبت من (ح) و(م) و (ت) .
(٧) كلمة : «محمد» ساقطة في الأصل .
(٨) في (م) و (ح) : «وقد» .
(٩) أي : أخبرنا .
(١٠) أي : حدثنا .

عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : **«رأيت إبراهيم الخليل عليه السلام ليلة أسرى بي فقال[١] : يا محمد أقرأ أمتك منى السلام وأخبرهم أنَّ الجنة طيبة التربة ، عذبة الماء ، وإنها لقِيعان[٢] ، وغراسُهَا[٣] : سبحان الله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم»[٤]** .

حديث اجتمع فيه خمسة من الصحابة يروي بعضهم عن بعض[٥]

[٢] أخبرني محمد بن مقبل[٦] بن عبدالله الحلبي أجازهُ مكاتبة ، عن أحمد بن عبدالعزيز ، ومحمد بن علي الحراوي[٧] ، كلاهما عن الحافظ شرف الدين الدمياطى ، أنا الحافظ يوسف بن خليل ، أنا ذاكر بن كامل ، أنا أبو زكريا يحيى بن أبي عمرو الأصبهاني أنا عمي أحمد بن الفضل ، أنا أبو علي الحسين ابن أحمد البردعي ، أنا محمد بن العباس الجويري ، ثنا محمد بن حبان الأنصاري ، ثنا الشاذكوني ، ثنا سفيان بن عيينه ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن عبدالله بن عمرو بن العاص ، عن عثمان بن عفان ،

---

(١) في (م) : «فقال لي» .

(٢) في (م) و(ح) : «قيعان» . والقِيعان : الأرض المستوية . النهاية ١٣٢/٤ـ ١٣٣ . (تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود الطناحي ـ دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة) .

(٣) في (م) و(ح) : «وغراسها قول» .

(٤) أخرجه الترمذي في سننه وقال : حسن غريب (٣٤٥٨) . والطبراني في الكبير ١٧٣/١٠ . (تحقيق حمدي عبدالمجيد ، نشر وزارة الأوقاف العراقية ـ ١٩٨٣م) . والأوسط ٢٧٠/٤ (تحقيق محمود الطحان ، مكتبة المعارف ـ الرياض ١٩٨٥م) . والصغير ٣٢٦/١ (تحقيق محمد شكور محمود المكتب الإسلامي ـ بيروت ١٩٨٥م) . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : «ورواه الطبراني في الكبير والأوسط والصغير وفيه عبدالرحمن بن إسحاق أبو شيبة الكوفي وهو ضعيف» ٩/١٠ (مكتبة القدسي ـ القاهرة ـ ١٣٥٢هـ) وذكره ابن أبي حاتم في علل الحديث وقال عقبة : «رواه سيار وغيره ، ويقول : عن القاسم عن أبيه هذا الصحيح مرسل . قلت لهما : الوهم ممن تراه قال أبي من سيار . وقال أبو زرعة : لا أدري ، إما من سيار ، وإما من عبدالواحد ، رواه جماعة عن عبدالواحد فلم يقولوا عن أبيه» ١٧٠/٢ـ ١٧١ (المكتبة السلفية ـ القاهرة ١٣٤٣هـ) .

(٥) قال البلقيني في محاسن الاصطلاح عن رواية الصحابة بعضهم عن بعض : «هو فنٌّ مهم ؛ لأن الناظر في السند غالبًا يعتقد أن الرواي عن الصحابي تابعي فيحتاج إلي التنبيه علي ما يخالف الغالب» ٦٢٣ .

(٦) في (ح) ، (م) محمد بن عبدالله ، والصواب المثبت . فهو محمد بن مقبل بن عبدالله الحلبي الصيرفى ، مسند الدنيا علي الإطلاق ، وملحق الأحفاد بالأجداد والمتفرد في عصره بعلو الإسناد ، وهو من شيوخ السيوطي الذين ذكرهم في «المنجم في المعجم» ص٢١٩ـ ٢٠٠ تحقيق إبراهيم باجس ـ دار ابن حزم ـ بيروت ـ ١٩٩٥م) وانظر الضوء اللامع ٥٣/١٠ (دار مكتبة الحياة ـ بيروت) ومعجم شيوخ ابن فهد ٢٨٨ (تحقيق محمد الزاهي ، ودار اليمامة ـ الرياض) .

(٧) في (م) : «الحرارى» .

عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ، عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالي عنه ، عن بلال رضي الله عنه ، قال : قال رسول ﷺ : «**الموت كفَّارة لكل مسلم**»[١] .

حديث اجتمع فيه أربعة من الصحابة

[٣] أخبرني شيخنا الإمام تقي الدين الشمني بقراءتي عليه ، أنا عبدالله بن علي الكناني أنا علي بن أحمد العرضي ، أنبأتنا[٢] زينب بنت مكي ، أخبرنا[٣] مقبل بن عبدالله ، أنا أبو القاسم بن الحصين ، أنا أبو علي التميمي ، أنا أبو بكر القطيعي ، أنا أبو عبدالله أحمد بن حنبل بن عبدالله ، حدثني أبي ، ثنا أبو اليمان ، أنا شعيب ، عن الزهيري ، أخبرني السائب بن يزيد ابن أُخت نَمْر : أنَّ حويطب بن عبدالعُزَّى[٤] أخبره أنَّ عبدالله بن السعدي قدم على عمر في خلافته ، فقال له عمر : ألم أحدث أنك تلي أعمالا من أعمال الناس ، فإذا أعطيت العُمَالة[٥] كرهتها؟ قال : قلت : بلى .

فقال عمر : فما تريد إلى ذلك؟

فقلت : إنَّ لي أفراسًا وأعبُدًا وإني بخير وأريد أن تكون عمالتي صدقة على المسلمين .

قال عمر رضي الله عنه : فلا تفعل ، فإني قد كنت أردتُ الذي أردت ، فكان النبي ﷺ يعطيني العطاء فأقول : أَعطِهِ أفقر إليه مني[٦] ، حتى أعطاني مرة مالا ، فقلت : أعطه أفقر إليه مني ، فقال النبي ﷺ :

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تعزية المسلم ٤٦-٤٧ (تحقيق مجدي السيد ، مكتبة العلم - جدة ١٤١١هـ) والبيهقي في شعب الإيمان ١٧١/٧ والخطيب في تاريخ بغداد ٣٤٧/١ (دار الكتب العلمية - بيروت (مصورة) ١٩٣١م) . والقضاعي في مسند الشهاب ١٣٣/١ (تحقيق حمدي عبدالمجيد ، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٩٨٦م) وكلهم عن أنس بن مالك ، وليس عن بلال رضي الله عنهما . ولم أقف على رواية بلال إلا في محاسن الاصطلاح ، للبلقيني ، فقد ذكره مسندًا (٦٢٣) . وقال الألباني : «موضوع» كما في الضعيفة (٤٦٧٢) (المكتب الإسلامي - بيروت - ١٣٩٢هـ) وضعيف الجامع . (٥٩٥٠) . (مطبعة المعارف - الرياض - ١٩٨٦م) .

(٢) في (ح) : «أخبرتنا» .

(٣) في (م) : «أنا» .

(٤) في (م) و(ح) : «عبدالعزيز» .

(٥) العُمالة - بالضم - : أجرة العمل ، وبفتح العين : العمل نفسه . النهاية ٣٠٠/٣ ، وقال في الدرر المبثثة في الغرر المثلثة ، للفيروزأبادي : «العَمالة والعُمالة والعِمالة - مثلثة العين - : أجرة العامل ، حكاه ابن سيدة» ٩٦ . (تحقيق الطاهر أحمد الزاوي ، الدار العربية للكتاب ، طرابلس - ليبيا - ١٩٨٧م) .

(٦) في المخطوط : «أفقر مني إليه» . والمثبت من المصادر .

«خُذْه فتَموَّلهُ[١] وتصدَّق به ، فما جاءك من هذا المال وأنت غيرُ مَشْرِفٍ[٢] ولا سائلٍ ، فَخُذْهُ ، وما لا ، فلا تُتْبِعْه نَفْسَكَ»[٣] .

حديث اجتمع فيه أربع صحابيات ، ثنتان[٤] من نسائه ﷺ وثنتان ربيبتان له

[٤] أخبرني الحافظ أبو الفضل بن فهد ، أنا إبراهيم بن صديق ، عن أبي العباس الحجار ، أنا أنجب بن أبي السعادات إجازة ، أنا أبو زرعة الطاهر بن محمد المقدسي ، أنا محمد بن الحسين ، أنا أبو القاسم بن أبي المنذر ، أنا علي بن إبراهيم بن سلمة ، أنا محمد بن يزيد القزويني ، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، ثنا سفيان بن عيينه ، عن الزهري ، عن عروة ، عن زينب بنت أم سلمة ، عن حبيبة بنت أم حبيبة ، عن أمها أم حبيبة ، عن زينب بنت جحش رضي الله تعالي عنهن ، أنها قالت : استيقظ رسول الله ﷺ وهو مُحَمَّر وجهه ويقول :

«لا إله إلا الله (ثلاث مرات)[٥] وَيلٌ للعرب من شَر قَدِ اقترب ، فُتِحَ اليومَ مِنْ رَدْمِ يَأجُوجَ ومَأجُوج هكذا ، وعَقَد بيده عَشرة[٦] .

قلت : يا رسول الله ، أَنَهلكُ وفينا الصالحون؟!!

قال : «نَعَمْ إذا كَثُرَ الخبَثُ»[٧] .

حديث فيه رواية صحابي عن تابعي عن صحابي

[٥] وبالإسناد الماضي إلى عبدالله بن أحمد بن حنبل ، قال : حدثني أبى ، قال : ثنا عتاب بن زياد : ثنا عبدالله [يعني ابن المبارك[٨]] ، أنا يونس ، عن الزهري ، عن السائب بن

---

(١) مالَ الرَّجل وتموَّل ، إذا صار ذا مال ، وقد مَوَّله غيره . ويقال : رجل مال : أي كثير المال ، كأنه جعل نفسه مالاً ، وحقيقتُهُ : ذو مال . النهاية في غريب الحديث والأثر ٣٧٣/٤ .

(٢) يقال : أشرفت الشيء أي عَلَوْتُه . وأشرفتُ عليه : اطَّلَعْتُ عليه من فوق . أراد ما جاءك منه وأنت غيرُ متطلع إليه ولا طامع فيه . النهاية ٤٦٢/٢ .

(٣) أخرجه البخاري (٧١٦٣) ، (٧١٦٤) . (فتح الباري شرح صحيح البخاري ، للحافظ ابن حجر . المطبعة السلفية - القاهرة) ، ومسلم (١١١) ، (١٠٤٥) ومسند أحمد (١٠٠) ، (١٣٦) ، (١٣٧) (تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين - بيروت - ١٩٩٩م) .

(٤) في (ح) : بنتان .

(٥) جملة : «لا إله إلا الله» (ثلاث مرات) ليست في الأصل ، وهي من (م) و (ح) والمصادر .

(٦) في رواية : «وحَلَّقَ» . وفي أخرى «وحَلَّقَ بأصْبُعَيه : الإبهام والتي تليها» . وفي ثالثة : « . . . فتح اليومَ من رَدْم يأجُوجَ ومأجُوجَ مِثْلُ موضع الدرهم» . وفي رابعة : « . . . وهو عاقد بأصبعيه السبابة والإبهام» . وكلها صحيحة وسائغة وثابتة ويفسر بعضها بعضاً .

(٧) أخرجه مسلم (٢٨٨٠) وأحمد (٢٧٤١٣) ، (٢٧٤١٤) والخَبَثُ : الفسق والفجور والزنى . النهاية ٦/٢ .

(٨) ما بين المعقوفين إضافة من المصادر .

يزيد ، وعبيد بن عبدالله بن عتبة ، عن عبدالرحمن ابن عَبْدٍ ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من فاته شيء من وِرْدِهِ أو - قال - حِزبه[١] من الليل ، فقرأه بين صلاة الفَجْرِ إلى الظهّر ، فكأنَّما قرأه من ليلته»[٢] .

حديث من رواية أحمد بن حنبل عن الشافعي عن مالك

[٦] وبالإسناد الأول إلى عبدالله بن أحمد بن حنبل قال : حدثني أبي قال : ثنا محمد بن إدريس الشافعي ، قال : أنا مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر رضي الله عنه ، أنَّ النبي ﷺ قال :

«لا يَبعْ بعضُكُم علي بيع بعض ، ونهى عن النَّجْشِ[٣] ، ونهى عن بَيْع حَبَلِ الحَبْلة[٤] ، ونهى عن بيع المُزَابَنة[٥]»[٦] .

[٧] وبه إلى عبدالله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي : ثنا محمد بن إدريس الشافعي ، عن مالك ، عن أبي الزناد ومحمد بن يحيي بن حبان ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ نهى عن المُلامَسَةِ وعن المُنَابَذَة[٧] .

[٨] وبه إلى عبدالله ثنا : أبي ثنا : محمد بن إدريس الشافعي ، أنا مالك ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال[٨] :

«لايَبع بعضُكم علي بيع بعض ، ولا يَبع حَاضرٌ لبادٍ»[٩] .

---

(١) وفي رواية : «من جُزئه» . وكلاهما سائغ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٢٠) و(٣٧٧) ، وابن المبارك في الزهد (١٢٤٧) (تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي - دار الكتب العلمية - بيروت) .

(٣) والنَّجْشُ : هو أن يمدح السلعة ليروجها أو يزيد في الثمن ، ولا يريد شراءها ، ليغتر بذلك غيره . النهاية ٢١/٥ .

(٤) الحَبَلُ بالتحريك : مصدر سُمِّي به المحمول ، كما سُمِّي بالحمْل ، ويراد به ما في بطون النوق من الحمل ، ونُهى عنه لأنه غَرَرٌ وبيع شيء لم يخلق بعد ، وأجل مجهول ولا يصح . النهاية ٣٣٤/١ .

(٥) المزَابَنَةُ : هي بيعُ الرُّطب في رءوس النَّخْل بالتمر ، وأصله من الزَّبن وهو الدفْعُ ، كأنَّ كل واحد من المتبايعين يَزْبن صاحبه عن حقه بما يزداد منه . وإنما نهى عنها لما يقع فيه من الغَبْن والجهالة . النهاية ٢٩٤/٢ .

(٦) أخرجه أحمد (٤٥٣١) ، ومسلم (١٥١٧) ، والبخاري (٢١٦٥)

(٧) أخرجه أحمد في المسند (٨٩٣٥) ، و(١٠٨٤٥) والشافعي كذلك في مسنده (١٤٤/٢) (تحقيق خليل ملا خاطر ، دار القبلة - جدة) ومن طريقه أخرجه البيهقي في المعرفة (١١٤٦٢) (تحقيق عبدالمعطي قلعجي ، كراتشي - باكستان ١٩٩١م) . وهو في صحيح البخاري (٢١٤٦) ، ومالك في الموطأ ٦٦٦/٢ ، ٩١٧ (تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء التراث ، بيروت ١٩٨٥م) .

والمُنَابَذَةُ : أن يقول الرجل لصاحبه : انْبِذْ إليَّ الثَّوب ، أو أَنْبِذُ إليك ، ليجب البيع . وقيل : أن يقول : إذا نَبَذْتُ إليك الحصاة فقد وجب البيع ، فيكون البيع مُعاطاة من غير عقد ، ولا يصح . النهاية ٦/٥ .

(٨) من قوله : «نهى عن الملامسة . . . قال» ساقط في (ح) .

(٩) أخرجه أحمد (١٠٠٠٤) وهو في الموطأ ٦٨٣/٢ - ٦٨٤ ، ومن طريق مالك أخرجه الشافعي ١٤١/٢ - ١٤٢ (بترتيب السندي) ، والبخاري (٢١١٥٠) ، ومسلم (١٥١٥) .

[٩] وبه عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال :

«لاتَنَاجَشُوا ولا تلَقَّوُا السِّلع[١]»[٢] .

[١٠] وبه عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال :

«مَطْلُ[٣] الغني ظلم ، وإذا أُتْبعَ أحَدُكم على مَلىءٍ ، فَلْيَتْبَعْ»[٤] .

[١١] وبه إلى عبدالله حدثني أبي : ثنا محمد بن إدريس الشافعي ، عن مالك ، عن ابن شهاب ، عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك ، أخبره أنَّ أباه كعبًا كان يحدث أنَّ رسول الله ﷺ قال :

«إنما نَسَمَةُ[٥] المؤمن طائرٌ يَعْلُقُ في شجر الجنة ، حتى يَرْجِعَهُ الله إلى جَسَدِه[٦]»[٧] .

حديث فيه رواية أبي حنيفة ، عن مالك وهو المسئول عنه

[١٢] أخبرني محمد بن مقبل الحلبي إجازة ، عن الصلاح بن أبي عمر ، عن أبي الحسن البخاري ، عن أبي اليمن الكندي ، عن أبي بكر الأنصاري ، عن أحمد بن ثابت الحافظ ، أنا محمد بن علي بن أحمد الصبحي ، ثنا أبو زرعة أحمد بن الحسن بن علي الرازي : ثنا علي بن محمد بن مهروية : ثنا المنسجر بن الصلة ، ثنا القاسم بن الحكم العدنّي ، ثنا أبو حنيفة ، عن مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : أتى كعب بن مالك النبي ﷺ فسأله عن أرعية[٨] له كانت ترعى في غنمه ، فتخوفت على الشاة الموت فذبحتها

(١) وفي رواية : «تَلَقّى الرُّكبان» ، أي بالسلع . والمقصود هو أن يستقبل الخَضَريُّ البدويَّ قبل وصوله إلى البلد ، ويخبره بكساد ما معه كذبًا ؛ ليشتري منه سلعته بالوكس ، وأقل من ثمن المثل ، وذلك تَغْريرٌ مُحَرَّم ، ولكن الشراء مُنْعَقِد ، ثم إذا كذب وظهر الغبن ، ثبت الخيار للبائع ، وإن صدق ، ففيه على المذهب الشافعي خلاف . النهاية ٤/٢٦٦ .

(٢) أخرجه أحمد (١٠٠٠١) ، ومالك في الموطأ ٢/٩٠٧ ـ ٩٠٨ ، والبخاري في الصحيح (٦٠٦٦) ،

(٣) المَطْلُ : التسويف والمُدافعة بالعِدة والدَّين ، والمَطْلُ المَدّ ، اللسان ١٤/١٤٧ . (مطبعة بولاق) .

(٤) أخرجه أحمد (٧٣٣٦) ، (٨٩٣٨) والبخاري (٢٢٨٧) ، ومسلم (١٥٦٤) .

(٥) النَّسَمَةُ : النفس والروح ، وكل دابة فيها روح فهي نسمة . النهاية ٥/٤٩ .

(٦) وفي رواية بزيادة : «إلى جسده يوم يَبْعَثُهُ» .

(٧) أخرجه أحمد (١٥٧٧٨) ، ومالك في الموطأ ١/٢٤٠ .

ويَعْلُقُ : أي تأكل . وهو في الأصل للإبل إذا أكلت العِضَاه . يقال : عَلَقَتْ تَعْلُق عُلوقًا ، فنُقل إلى الطير . النهاية ٣/٢٨٩ .

(٨) في (م) : «راعية» .

بحجر[١]، فأمر النبي ﷺ بأكلها[٢].

حديث آخر كذلك

[١٣] أخبرني محمد بن مقبل إجازة عن الصلاح بن أبي عمر، عن أبي الحسن البخاري، عن أبي طاهر الخشوعي، عن أبي عبدالله البلخي، أنا أبو الحسين المبارك عن عبدالجبار بن أحمد أبو الفرج الحسين بن علي بن عبيدالله، أنا أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين، ثنا محمد بن مخزوم بالبصرة: حدثني جدي محمد بن الضحاك بن عمر بن الضحاك بن مخلد، ثنا عمران بن أبي عبدالرحيم الأصفهاني، ثنا بكار بن الحسن، ثنا إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة، عن مالك بن أنس، عن عبدالله بن الفضل، عن نافع بن جبير بن مطعم، عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**الأَيِّمُ أحَقُّ بنفسها من وليّها، والبِكْرُ تُسْتَأْمر، وصَمْتُها إقْرارها**»[٣].

حديث فيه رواية الشافعي، عن محمد بن الحسن، عن أبي يوسف

[١٤] أخبرني عبدالرحمن بن محمد الفخري بقراءتي عليه، أنا أبو الفرج الغزي، عن وزيرة بنت عمر، أنا الحسين بن المبارك، أنا أبو زرعة المقدسي، أنا أبو الحسن مكي بن محمد، أنا أبو بكر الحميري، ثنا أبو العباس الأصم، ثنا الربيع بن سليمان المرادي، ثنا محمد بن إدريس الشافعي، أنا محمد بن الحسن الحنفي، عن يعقوب بن إبراهيم، عن عبدالله بن دينار، عن ابن عمر، أن النبي ﷺ قال:

«**الولاءُ لحمَة كلُحْمة النَّسبِ، لا يباعُ ولا يُوهبُ**»[٤].

---

(١) في مسند الإمام أبي حنيفة: «بمَرْوَة» وكلاهما صحيح وسائغ. والمَرْوُ: حجر أبيض رقيق يجعل منها المَطارّ يذبح بها، والمروة: هي حجر أبيض برّاق. وفي حديث آخر: قال عدي بن حاتم: إذا أصاب أحدُنا صيدًا وليس معه سكين أيذْبَحُ بالمروة وشِقّة العصا؟ اللسان ٢٠/١٤٤.

(٢) مسند الإمام أبي حنيفة ٢٤١-٢٤٢ (تحقيق نظر محمد الفاريابى، مكتبة الكوثر، الرياض ١٩٩٤م).

(٣) المصدر السابق ٢٣٦ - ٢٣٧، والموطأ ٢/٥٢٤.

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه: (٤٩٢٩)، والحاكم ٤/٣٤١، وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي (مطبعة دائرة المعارف العثمانية - الهند). والبيهقي في السنن الكبرى ١٠/٢٩٢ (مطبعة دائرة المعارف العثمانية، الهند ١٣٥٢هـ) وانظر الأم للشافعي ٤/٧-١٠ (تحقيق محمد زهري النجار، دار المعرفة - بيروت ١٩٧٣م)، والمقنع، لابن قدامه، والشرح الكبير ٧/٢٩٢، ١٨/٤٠٢ (تحقيق عبدالله التركي وعبدالفتاح الحلو، مطبعة هجر، القاهرة - ١٩٩٧م).

حديث من رواية الشافعي . عن مسلم ، عن ابن جريج ، عن الثوري ، عن مالك ، بينه وبين مالك ثلاثة أنفس

[١٥] وبالإسناد الماضي إلى الربيع بن سليمان قال : أنا الشافعي ، أنا مسلم ، عن ابن جريج ، عن الثوري ، عن مالك بن أنس ، عن يزيد بن عبدالله(١) ، عن سعيد بن المسيب ، عن عمرو بن عثمان ، أنهما قَضَيَا في المِلْطَاة(٢) بنصف دِيَة المُوضحة(٣) .

حديث فيه رواية المازني عن سيبويه عن الخليل

[١٦] وبالإسناد الماضي إلى أحمد بن ثابت ، أنا أبو المظفر هناد بن إبراهيم النسفي ، قال : سمعت أبا محمد عبدالله بن محمد الجوزجاني يقول : سمعت أبا عمر محمد بن الحسين بن عمران البغدادي يقول : سمعت محمد ابن عبدالله بن حبيش يقول : سمعت أبا عثمان بكر بن محمد المازني يقول : سمعت سيبويه يقول : سمعت الخليل بن أحمد العروضي يقول : سمعت ذرًّا الهمداني يقول : سمعت الحارث العُكْلِيَّ يقول : سمعت عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : سمعت النبي ﷺ يقول :

«أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة ، وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة»(٤) .

---

(١) نهاية نسخة (م) عند : «يزيد بن عبدالله» .

(٢) هي من الشجَاج وجروح الرأس ، والتي تَشُقُّ اللحم كله حتى تنتهي إلى قشرة رقيقة بين العظم واللحم تسمى السِّمْحَاقُ والمِلْطَاة ، فَسميت الشجة بها . فإن انكشطت تلك القشرة أو انشقت حتى يبدو وضح العظم فتلك المُوضِحَة خلق الإنسان ، لثابت بن أبي ثابت ٨٩ (تحقيق عبدالستار فراج ، معهد المخطوطات ـ الكويت ـ ١٩٦٥م) . وغاية الإحسان في خلق الإنسان ، للسيوطي ٨٦ ـ ٨٧ (تحقيق مرزوق علي إبراهيم ، دار الفضيلة ، القاهرة ـ ١٩٩١م) والقاموس المحيط ٣٧٤/٢ و ٢٥٣/١ (الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ـ ١٩٧٧م)

وفي الفقه : تقع في باب ديات الجروح (الشجاج وكسر العظام) : «ثم السمحاق وهي التي تصل إلى قشرة رقيقة فوق العظم ، تسمي تلك القشرة سِمْحَاقًا ، وسُمِّيت الجراح الواصلة إليها بها ، ويسميها أهل المدينة المِلْطي والمِلْطاة ، وهي تأخذ اللحم كله حتى تخلص منه» . الكافي ، لموفق الدين ابن قدامة ٢٣١/٥ (تحقيق الدكتور عبدالله التركي - مطبعة هجر ، القاهرة ـ ١٩٩٧م) ، والمقنع ، والشرح الكبير ٦/٢٦ـ٧

(٣) أخرجه عبدالرزاق في المصنف ٣١٢/٩ ، ٣١٣ (تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي - بيروت - ١٩٧١م) . والبيهقي في السنن الكبرى ٨٣/٨ .

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣٥٧/٤ ، وقال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وأخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٢٤٤/٢ ، ٣٢٦/١١ ، وقال عقبة : ومحمد بن الحسين هذا هو الذي يسمي نفسه لاحقًا ، وكان يضع الحديث ، وأورده ابن الجوزي في العلل المتناهية ٥٠٧/٢ . (تحقيق خليل الميس ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٣م) . وينظر الحديث في بغية الوعاة للمصنف ٤٠٢/٢ـ ٤٠٣ (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية - بيروت) .

حديث فيه رواية ابن دريد ، عن أبي حاتم ، عن الأصمعي ، عن أبي عمرو بن العلاء

[١٧] أخبرتني أم الفضل بنت محمد المقدسي بقراءتي عليها قالت : أنا محمد بن ياسين ، أنا أبو الحسن الواني [سماعًا][(١)] ، أنا أبو القاسم بن بكر ، أنا أبو طاهر السلفي ، أنا أبو طالب نصر بن الحسين بن محمان قاضي الدِّينور ، وبها ثنا أبو سعيد بندار بن علي بن الحسين بن الرواس إملاءً ، أنا أبو الخير زيد بن رفاعة الكاتب ، أنا أبو بكر محمد بن الحسن بن دُرَيد الأزدي ، عن أبي حاتم السجستاني ، عن الأصمعي ، عن أبي عمرو بن العلاء ، عن نَصْر بن عاصم الليثي ، عن أبيه ، عن جده ، قال : سمعت النابغة[(٢)] ، يقول : أتيت رسول الله ﷺ فأنشدته ، حتى أتيت إلى قولي :

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى ويتلو كتابًا واضح الحقّ[(٣)] نَيِّرَا
بلغنا السماء بجدّنا[(٤)] وجُدُودُنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرًا

فقال لي : «إلى أين يا أبا لَيْلى» .

فقلت : إلى الجنة .

فقال : «إنْ شَاءَ الله»

فأنشدته :

ولا خيرَ في جهلٍ إذا لم يَكُنْ له حليمٌ إذا ما أوْرَدَ الأمْرَ أصْدرَا
ولا خَيْرَ في حِلمْ إذا لم تكنْ له بَوادِرُ تَحْمي صَفْوَهُ أنْ يُكَدَّرا

---

(١) ما بين المعقوفين إضافة من بغية الوعاة .

(٢) هو النابغة الجعدي ، وقد اختلف في اسمه ، فقيل : قيس بن عبدالله ، وقيل : عبدالله بن قيس ، وقيل : حيان بن قيس بن عبدالله بن عمرو بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة العامري الجعدي . وكان يذكر في الجاهلية دين إبراهيم عليه السلام والحنفية ، ويصوم ويستغفر ، وله قصيدة أولها :

الحمد لله لا شريك لهُ من لم يَقُلْها فَنَفْسَه ظَلَمَا

قال أبو عمر : فيها ضروب من دلائل التوحيد ، والإقرار بالبعث والجزاء ، والجنة والنار .
وقال أبو نعيم : مات بإصبهان ودفن هناك . الإصابة ٥٣٧/٣ ، وما بعدها (دار إحياء التراث العربي ـ القاهرة ١٣٢٨هـ) وأسد الغابة ٥١٥/٤ (دار الشعب ـ القاهرة ـ ١٩٧٠م) ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ٢١٤/١ ، ٢٨٩ (تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار المعارف – القاهرة – ١٩٨٢م) . وذكر أخبار إصبهان ، للأصبهاني ٧٣/١ (ليدن ، ١٩٣١م) .

(٣) في بعض الروايات : «كالمَجَرَّة» . كما في الديوان والخزانة .

(٤) في (ح) : «مجدًا» ، وفي بعض الروايات : «مَجْدُنَا» . والمثبت من المصادر .

فقال لي : «**صَدَقْتَ ، ولا يَفْضُضِ الله فَاكَ**»(١) .

قال : فبقي عُمْرَه أحسن الناس ثَغْرًا كلما سقطت سِنّ عادت أخرى مكانها ، وكان معمرًا(٢) .

حديث في إسناده جماعة من الشعراء المشاهير

[١٨] أخبرني أبو الفضل المرجاني [إجازة](٣) ، عن أبي هريرة بن الذهبي ، أخبرنا أبي ، أنا أحمد بن إسحاق ، أنا عبدالسلام بن سهل ، أنا شهردار بن شيرويه ، أنا أحمد بن عمر بن البيع ، أنا حميد بن المأمون ، أنا أبو بكر الشيرازي ، أنا أبو بكر عبدالله بن أحمد بن محمد الفارسي الشاعر ، ثنا أبو عثمان بن سعيد بن زيد بن خالد مولى بني هاشم الشاعر ، ثني أبو نواس الحسن بن هانىء الشاعر ، ثني والبة بن الحُباب الشاعر : حدثني الكميت بن زيد الشاعر ، ثني خالي الفرزدق الشاعر ، حدثني الطرماح الشاعر ، قال : لقيت النابغة بن جعدة الشاعر ، وقلت له : أَلَقِيتَ رسول الله ﷺ ؟ .

قال : نعم ، وأنشدته قصيدتي التي أقول فيها :

بلغنا السماء مجدَنا وجدُودَنا ... وإنّا لنرجو فوق ذلك مظهرًا(٤)

قال : فرأيت وجه رسول ﷺ قد تغير ، وبدا الغضب فيه ، فقال : «**إلى أين يا أبا ليلى؟**» .

فقلت : الجنة يا رسول الله .

فقال : «**إلى الجنة إن شاء الله**»(٥) .

---

(١) أخرجه أبو نعيم في كتاب ذكر أخبار إصبهان ٧٣/١ ـ ٧٤ ، وقال : رواه داود بن رشيد وهاشم بن القاسم الحرّاني وعُروة العِرقي وأبو بكر الباهلي كلهم عن يعلى الأشدق . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه البزار وفيه يعلى بن الأشدق وهو ضعيف ٨/ ١٢٦ . وينظر ديوان النابغة ٧٠ وما بعدها (تحقيق عبدالعزيز بن رباح ، دمشق ١٣٨٤هـ) ، ودلائل الإعجاز ، لعبدالقادر الجرجاني٢١ ـ ٢٢ ، (قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب –٢٠٠٠م) ، وبغية الوعاة ٤٠١/٢-٤٠٢ . وذكر الحديث الحافظ ابن حجر في الإصابة ، وقال عقبة : أخرجه البزار والحسن بن سفيان في مسنديهما كلهم من رواية يعلى بن الأشدق وهو ساقط الحديث . . . وقال أيضا : ورويناه في المؤتلف والمختلف للدارقطني ، وفي الصحابة ، لابن السكن . الإصابة ٥٣٩/٣ .

(٢) ينظر كتاب أخبار إصبهان ، لأبي نعيم ٧٤/١ ، وابن حجر في الإصابة ٥٣٩/٣ .

(٣) ما بين المعقوفين إضافة من (ح) .

(٤) في (ت) : «بلغنا السماء . . . البيت» .

(٥) ذكر الحافظ ابن حجر هذه الرواية ، وقال عقبها : رويناها مسلسلة بالشعراء من رواية دعبل بن علي الشاعر ، عن أبي نواس ، عن والبة بن الحباب ، عن الفرزدق ، عن الطرماح ، عن النابغة ، وهي في كتاب الشعراء ، لأبي زرعة الرازي المتأخر . الإصابة ٥٣٩/٣ .

حديث في إسناده جماعة من الكتَّاب

[١٩] وبالإسناد إلى أحمد بن ثابت قال : حدثني أبو طالب يحيى بن عبدالله الدسكري لفظًا ، ثنا عمرو ضرار بن رافع الضبي الكاتب الهروي ، ثنا أبو الحسن عبدالله بن موسى البغدادي الكاتب ، ثنا أبو الحسن علي بن مهدي الفقيه المتكلم النحوي الكاتب ، ثنا علي بن الفضل بن المروي وكان كاتبًا أديبًا ، ثني عبدالله بن أحمد البَلْخِيّ - هو الكعبي المتكلم وكان كاتبًا لمحمد ابن زيد - ثني أبى ، ثني يحيى بن خالد البغوي الكاتب ، ثني عبدالله بن طاهر ، ثني طاهر بن الحسين بن مصعب ، ثني الفضل بن سهل ذو الرياستين ، حدثني جعفر بن يحيى الكاتب ، ثني أبو يحيى ، ثنا يحيى شرف الدين برمك ، ثني أبو خالد بن برمك ، ثني عبدالحميد بن يحيى الكاتب ، ثني سالم ابن هشام الكاتب ، ثني عبدالملك بن مروان كاتب عثمان ، ثني زيد بن ثابت كاتب الوحي قال : قال رسول الله ﷺ : «**إذا كتبت : بسم الله الرحمن الرحيم فبين السين**[١]»[٢] . أخرجه ابن عساكر في تاريخه .

حديث في إسناده ستة من الخلفاء

[٢٠] أنبأني أبو الفضل المرجاني عن أبي هريرة ابن الذهبي[٣] ، عن أبي نصر الشيرازي ، عن جده ، عن أبي القاسم بن عساكر ، أنا نصر بن أحمد بن مُقَاتل ، أنا جدي ، ثنا أبو علي الحسن بن علي الأهوازي ، ثنا أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن محمد الأزدي ، ثنا أبو الطيب محمد بن جعفر بن داران غندر ، ثنا هارون بن عبدالعزيز بن أحمد العباسي ، ثنا أحمد بن الحسن المقري البزار ، ثنا أبو عبدالله محمد بن عيسى الكسائي ، وأحمد بن زهير ، وإسحاق بن إبراهيم بن إسحاق ، قالوا : حدثنا علي بن الجهم[٤] قال :

---

(١) في تاريخ دمشق لابن عساكر : «السينة» . وفي بغية الوعاة للمصنف زيادة وهي : «هذا حديث مسلسل بالكتَّاب في أكثره» .

(٢) تاريخ دمشق ٩٣/٣٤ ، (تحقيق شكري فيصل وآخرين – دمشق ١٩٧٧م) ، وقال عقبه ابن عساكر : «سمعت سلامة يقول : سمعت أبا الفضل يقول : سمعت أبا الحسن الحافظ يقول : هذا حديث غريب من حديث عبدالملك بن مروان ، وليس له طريق غير هذا ، وليس لعبدالملك غير هذا إلا ستة أحاديث» . وانظر بغية الوعاة للمصنف ٤١٥/٢ .

(٣) هو الزين عبدالرحمن بن أحمد بن الموفق إسماعيل بن أحمد الصالحي الذهبي الحنبلي ، وكنيته : أبو الفرج وأبوهريرة ، ناظر المدرسة الصاحبية بالصالحية ممن سمع وأسمع . مات في جمادي الأولى سنة ٨٠١هـ . ترجمته في : إنباء الغمر ، لابن حجر ٦٤/٤ (تحقيق حسن حبشي – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة ١٩٥٠ – ١٩٥٥م) ، ووجيز الكلام ٣٤٠/١ (تحقيق بشار عواد وآخرين ، مؤسسة الرسالة – بيروت ١٩٩٥م) .

(٤) هو علي بن الجهم بن بدر بن الجهم بن أسد الشاعر ، من ناقلة خراسان ، له ديوان شعر مشهور ، وكان جيد الشعر ، عالمًا بفنونه ، وله اختصاص بجعفر المتوكل ، وكان متدينًا فاضلاً ، ويخرج للغزو وجهاد العدو .تاريخ بغداد ٢٦٧/١١ .

كنت عند المتوكل فتذاكروا عنده الجمال . فقال : إنَّ حُسْنَ الشَّعْرِ لمن الجمال .

ثم قال : حدثني المعتصم ، ثنا مروان ، ثنا الرشيد ، ثنا المهدي ، ثنا المنصور ، عن أبيه ، عن جده ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كانت لرسول الله ﷺ جُمَّة إلى شحمة أذنيه ـ كأنها نظام اللؤلؤ[١] ، لا بالطويل ولا بالقصير .

وكان لعبدالله جمة إلى شحمة أذنيه .

وكان لهاشم جمة إلي شحمة أذنيه .

وقال علي بن الجهم : وكان للمتوكل جُمّة إلى شحمة أذنيه ، [وكان من أجمل الناس ، وكان أسمر رقيق اللون][٢] .

وقال لنا المتوكل : وكان للمعتصم جمة ، وكذلك المأمون ، والرشيد ، والمهدي ، والمنصور ، ولابنه محمد ، ولجدِّه علي ، ولأبيه عبدالله بن عباس .

آخر الكتاب . والله أعلم بالصواب . والحمد لله رب العالمين ، وغفر الله لكاتبه ، ولقارئه ، ولصاحبه ، والمسلمين أجمعين . آمين .

وكان الفراغ من نسخه يوم الاثنين قبيل المغرب خامس شهر ربيع الثاني سنة سبع وسبعين وألف على يد ناسخه الفقير عبدالله بن السيد من ذرية سيدي أبي القاسم الحسيني الطهطاوي ، نفعنا الله به . آمين[٣] .

---

(١) في النسخ الخطية بعد كلمة «اللؤلؤ» : وكان من أجمل الناس ، وكان أسمر رقيق اللون» . وهذا مدرج وهو من كلام علي بن الجهم في صفة المتوكل كما جاء في ترجمته في تاريخ بغداد ١٦٥/٧ وسير أعلام النبلاء ٣٠/١٢ وما بعدها ، (تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين ، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠١هـ) ، ومورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة لابن تغرى بردي ١٥٨/١ (تحقيق نبيل محمد عبدالعزيز ، الهيئة العامة لدار الكتب - القاهرة - ١٩٩٧م) .
ومما جاء في الصحيح في صفة شعره ﷺ : «كان شعر رسول الله ﷺ إلي نصف أذنيه» . وفي رواية : «كان النبى ﷺ له شعر يبلغ شحمة أذنيه» . وفي رواية : «وكانت جُمَّته تضرب شحمة أذنيه» . صحيح مسلم رقم (٢٣٣٨) ، والبخاري (٣٦٣٤) ، «والجمَّة من شعر الرأس : ما سقط علي المنكبين» . النهاية ٣٠٠/١ . ومما جاء في صفته ﷺ : «ليس بالطويل ، ولا بالقصير ، أزهر اللون . .» . وفي رواية : «كان أبيض مليحًا مُقَصَّدًا» . وفي أخرى : «كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل البائن ولا بالقصير ، ولا بالأبيض الأمهق «الشديد البياض الذي لا يشوب بياضه الحمرة» . «ولا بالآدم (الأسمر الشديد السمرة) ، بل كان أزهر بياضه مشرب بحمرة ﷺ . صحيح البخاري (٣٠٦٧) ، ومسلم (٢٣٤٧) ، و(٣٤٠) .

(٢) ما بين المعقوفين كان قد تقدم في غير موضعه . انظر التعليق السابق .

(٣) في (ح) : «وهذا آخر الكتاب والحمد لله تعالي وحده ، تم» .

ببليوجرافيات :

المخطوطات التى حُققت كرسائل جامعية بكلية الآداب جامعة القاهرة منذ إنشائها وحتى عام ٢٠٠١م

جمع وإعداد/ أ . أحمد عبدالباسط
أ . أحمد عبدالستار*

مقدمة :

لا شكّ أن الأمم بماضيها قبل أن تكون بحاضرها ، وفرق بين أمة لها موروث وأمة لا موروث لها ، وما حرص الأمة العربية على تراثها إلا لكي تعيش حاضرًا موصولا بماضٍ ، ولكي تبني على هذا الماضي المجيد الحاضر الوطيد .

والتراث هو وسيلتنا الوحيدةُ إلى هذا الغرض النبيل ، فتراثُ كلِّ أمةٍ هو الرصيدُ الباقي ، والذخيرةُ الثابتةُ ، والمُدَّخر المعبِّرُ عما كانت عليه من تقدُّمٍ في كلِّ مجالاتِ الحياةِ والثقافة .

والنص ـ كما هو معروف ـ هو العُمدةُ والأساسُ لجميع الدراسات الأدبية في أي مجال من مجالاتها ، وشُعب تخصّصها ، فالدراسةُ تعتمدُ أساسًا على النصوص التي هي مادة الدرس : تاريخًا ونقدًا ، ومقارنة ، وتحقيقًا .

والتحقيقُ اصطلاحُ معاصرٌ يُقصد به بذل عناية خاصّةٍ بالمخطوطات حتى يُمكن التثبت من استيفائها لشرائط معينة ، إذن فالكتابُ المحقَّقُ هو الذي صحّ عنوانهُ ، واسم مؤلفه ونسبةُ الكتاب إليهِ ، وكان متنُهُ أقرب ما يكونُ إلى الصورة التي تركها المؤلِّف .

والتحقيق في حقيقة الأمر ليس بالشىء الهيّن ، بل هو أمرٌ جليلٌ يحتاج من الجَهدِ والعناية إلى أكثر مما يحتاج إليه التأليف ، وقديمًا قال الجاحظ في كتابه «الحيوان» : ((ولربَّما أراد مؤلف الكتاب أن يصلح تصحيفًا ، أو كلمة ساقطة ، فيكون إنشاء عشر ورقات من حُر اللفظ ، وشريف المعاني أيسر عليه من إتمام ذلك النقص حتي يردَّه إلى موضعه من اتّصال الكلام)) .

ونحن إذ نقدم اليوم هذه القائمة الببليوجرافية التي تضم جميع المخطوطات التي حُققت كرسائل جامعية من قِبل باحثين أجلاء بكلية الآداب/ جامعة القاهرة منذ إنشائها

(*) باحثان بمركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية .

كجامعة أهلية حتي عام ٢٠٠١م ، فإننا نُساهم مساهمة ضئيلة في مساعدة الباحثين من أمثالنا الذين يُعانون أشد المُعاناة في الكشف عن مخطوطاتهم التي يريدون الشروع في تحقيقها ، وهل حُققت قبل أم لا؟

وقد خصَّصنا هذه الدراسة لأقسام كلية الآداب التي لها صلة قريبة أو بعيدة بالتراث العربي الإسلامي المخطوط ، فشملت الدراسة أقسام :

أ- اللغة العربية ب - التاريخ ج - اللغات الشرقية د - الفلسفة

وقد أخذ قسم اللغة العربية النصيب الأكبر والسهم الأعظم من العناية بهذا التراث العربي المخطوط ، لذا راعينا الترتيب التاريخي داخل كل موضوع من موضوعاته .

وها نحن نُقدم هذا العمل المتواضع راجين من المولى - عز وجل - أن يكون لوجهه الكريم ولسُلطانه العظيم ، فإن أصبنا فهذا فضل من الله ومِنة منه علينا ، وإن أخفقنا وأخطأنا فمنا ومن الشيطان .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أولا : قِسم اللغة العربية :

١ - الدراسات الإسلامية : -

١ - تفسير سعيد بن جبير : جمع وتحقيق ودراسة - إبراهيم محمد عوض النجار ، ١٩٧٦م ، ٤٦٠ص . ماجستير .

٢ - تفسير قتادة : جمع وتحقيق ودراسة «من أول الفاتحة إلى آخر التوبة» - عبدالله أبو السعود بدر ، ١٩٧٧م ، في مجلدين . ماجستير .

٣ - تفسير ابن مسعود : جمع وتحقيق ودراسة - محمد أحمد عيسوي تركي ، ١٩٨٠م ، في مجلدين . ماجستير .

٤ - تفسير تنوير المقباس المنسوب إلى ابن عباس : توثيق ودراسة - إبراهيم محمد عوض النجار ، ١٩٨٠م ، ٣٣١ صفحة . دكتوراه .

٥ - تفسير السيدة عائشة رضي الله عنها : جمع وتحقيق ودراسة - عبدالله أبو السعود بدر عام ١٩٨١م ، ٢١٥ صفحة . دكتوراه .

٦ - تفسير السِّدي الكبير : جمع وتوثيق ودراسة - محمد عطا أحمد يوسف ، ١٩٨٥م ،

٤٤٩ صفحة . ماجستير .

٧ ـ تفسير ابن جُريج : جمع وتوثيق ودراسة ـ علي حسن عبد الغني إسماعيل ، ١٩٨٩م ، ٣١٩ صفحة . ماجستير .

٨ ـ تفسير أُبي بن كعب : جمع وتحقيق ـ نوال عبدالعزيز نور ، ١٩٩٢م . ماجستير .

٩ ـ تفسير عكرمة «مولى عبدالله بن عباس» : جمع وتحقيق ودراسة ـ امتثال محمد مصطفى سالم ، ١٩٩٤م ، ماجستير .

٢ ـ الدراسات اللغوية : ـ

أ ـ الدراسات العامة :

١ ـ كتاب النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري سعيد بن أوس : تحقيق ـ محمد عبد القادر أحمد ، ١٩٧١م ، ٣٢٩ صفحة . دكتوراه .

٢ ـ كتاب المُنْجِد في اللغة لأبي الحسن علي بن الحسن الرومي المعروف بكراعِ النمل : حققه وقدّم له ـ فوزي عبدالعزيز محمد علي مسعود ، ١٩٧٣م ، ٣١٥ صفحة . ماجستير .

٣ ـ كتاب المُلْمَع للحسين بن علي النمري : تحقيق ودراسة ـ وجيهة أحمد السّطل ، ١٩٧٣م ، ١٣٣ صفحة . ماجستير .

٤ ـ كتاب شرح اللمع لابن جني تصنيف أبي نصر الواسطى : تحقيق ودراسة ـ حسن عبدالكريم الشرع ، ١٩٧٣م ، ٣٣٢ صفحة . ماجستير .

٥ ـ شرح الفصيح لابن ناقيا البغدادي : تحقيق ودراسة ـ عبدالوهاب محمد العدواني ، ١٩٧٣م ، ١١٧ صفحة . ماجستير .

٦ ـ رصفُ المباني في شرح حروف المعاني للإمام أحمد بن النور المالقي ت ٧٠٢ هـ : تحقيق ودراسة ـ أحمد محمد الخراط ، ١٩٧٣م ، ٥٧٧ صفحة . ماجستير .

٧ ـ كتاب التكملة لأبي علي الفارسى : دراسة وتحقيق ـ كاظم بحر المرجان ، ١٩٧٣م ، ٤٢٩ صفحة . ماجستير .

٨ ـ شرح اللمحة البدرية في علم العربية لابن هشام الأنصاري المصري : تحقيق

ودراسة ـ هادي فِهر ، ١٩٧٤م ، في مجلدين . دكتوراه .

٩ ـ فصيحُ ثعلب لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب (٢٠٠ ـ ٢٩١هـ) : تحقيق ودراسة ـ عاطف سيد حسن مدكور ، ١٩٧٤م ، ٤١٠ صفحة . ماجستير .

١٠ ـ عُمدة الكتابِ لأبي القاسم الزجاجي المتوفى ٤١٥هـ : تحقيق ودراسة ـ صلاح عبدالقادر كزازة ، ١٩٧٥م ، ٢٦٠ صفحة . ماجستير .

١١ ـ شرحُ ابن هشام اللخمي لمقصورة ابن دريد : تحقيق ودراسة ـ كريم زكي حسام الدين ، ١٩٧٥م ، ٣٦٤ صفحة . ماجستير .

١٢ ـ كتاب الفرْقُ بين الحروف الخمسة لابن سيد البطليوسي : تحقيق ودراسة ـ علي عبدالحسين زوين ، ١٩٧٦م ، ٦٥٥ صفحة . ماجستير .

١٣ ـ كتاب الدر المصون في علوم الكتاب المكنون «من أول القرآن إلى نهاية المائدة» تأليف أحمد بن يوسف المعروف بالسّمين الحَلبي (ت٧٥٦هـ) ، تحقيق ـ أحمد محمد الخرّاط ، ١٩٧٧م ، في أربع مجلدات . دكتوراه .

١٤ ـ تفسير غريب ما في الصحيحين للحُمَيْدي «القسم الأول» : تحقيق ـ عبدالله محمد عبدالرحمن أحمد ، ١٩٨٥م ، ٦٠٠ صفحة . ماجستير .

١٥ ـ سِفْرُ السعادة وسفير الإفادة لعلم الدين السَّخاوي : تحقيق ودراسة ـ أحمد عبدالمجيد هريدي ، ١٩٧٨م في مجلدين . دكتوراه .

١٦ ـ النُّكَت في تفسير كتاب سيبويه وتبين الخفي من لفظه وشرح أبياته وغريبه تأليف ابن الحاج يوسف بن سليمان بن عيسى الأعلم الشنتمري (٤١٠ـ ٤٧٦هـ) : تحقيق ودراسة ـ بلجيت رشيد ، ١٩٨٧م ، في ثلاثة مجلدات . ماجستير .

ب ـ الدراسات الدلالية :

١ ـ شعر هوزان في الجاهلية : جمع وتحقيق ومعجم ودراسة دلالية ـ رغده عوني عبدالهادي ، ١٩٧٩م ، ٥٧٥ صفحة ماجستير .

٢ ـ لغة الرسائل الديوانية في العصر الفاطمى : تحقيق ومعجم ودراسة دلالية ـ عاطف سيد حسين مدكور ، ١٩٨٢م . دكتوراه .

٣ ـ ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني : تحقيق ودراسة ـ حسنة عبدالحكيم عبدالله

الزّهار ، ١٩٨٤م ، ٩٨٨ صفحة . ماجستير .

ج ـ الدراسات النحوية والصرفية :

١ ـ كتاب الإيضاح في علل النحو لأبي القاسم عبدالرحمن بن إسحق الزَّجَّاجي : تحقيق ودراسة ـ مازن المبارك ، ١٩٥٧م ، ١٩١ صفحة . ماجستير .

٢ ـ كتابُ الانتصار أو «كتاب نقض ابن ولاد البصري في ردّهِ على سيبويه» : تحقيق ـ عبدالحميد عوض محمد السيوري ، ١٩٦٩م ، ٧٠٢ صفحة . ماجستير .

٣ ـ تحقيقُ كتب الأصول المَنسوب إلى ابن السَّرَّاج «ضمن رسالة بعنوان ابن السراج النحوى : آراؤه النحوية والصرفية مع تحقيق كتاب الأصول المنسوب إليه» : عبدالحسين محمد الفتلي ، ١٩٧٠م ، في مجلدين . دكتوراه .

٤ ـ السيوطي النحوي وكتابه الاقتراح في أصول النحو : تحقيق ودراسة ـ عدنان محمد السلمان ، ١٩٧٠م ، ٦١٢ صفحة . دكتوراه .

٥ ـ شرحُ جمل الزجَّاجي لابن عُصْفُور : تحقيق ودراسة ـ جعفر أبو جناح ، ١٩٧١م ، في مجلدين . دكتوراه .

٦ ـ كتاب المقصور والممدود لأبي علي القالي : تحقيق ودراسة ـ أحمد عبدالمجيد هريدي ، ١٩٧٢م ، ٤٣٤ صفحة . ماجستير .

٧ ـ شرح اللمع لابن برهان العكبري : تحقيق ودراسة ـ فائز فارس محمد الحمد ، ١٩٧٤م ، ٧٠٧ صفحة . ماجستير .

٨ ـ كتاب كشف المُشكل في علم النحو : دراسة وتحقيق ـ كامل محمد يعقوب ، ١٩٧٥م ، في مجلدين . ماجستير .

٩ ـ اتفاق المباني وافتراق المعاني لابن الدقيقي النحوي : تحقيق وتعليق ـ يحيى عبدالرؤوف عثمان جبر ، ١٩٧٥م ، ٤٥٤ صفحة . ماجستير .

١٠ ـ كتاب إعراب القرآن ومعانيه للزجَّاجي : تحقيق ودراسة ـ هدى محمود قرّاعة عام ، ١٩٧٥م ، ٧٩٩ صفحة . دكتوراه .

١١ ـ تحقيق كتاب المقتصد في شرح الإيضاح لعبدالقاهر الجُرجاني : تحقيق ـ كاظم بحر المرجان ، ١٩٧٥م ، في مجلدين . دكتوراه .

١٢ ـ تفسير مشكل إعراب القرآن لابن طالب القيس الأندلسي : دراسة وتحقيق ـ عبدالحميد عوض محمد السيوري ، ١٩٧٥م ، في مجلدين . دكتوراه .

١٣ ـ كتاب اللباب في علل البناء والأعراب لأبي البقاء العكبري : تحقيق ودراسة ـ خليل بنيان الحسون ، ١٩٧٦م ، في مجلدين . دكتوراه .

١٤ ـ كتاب القطع والائتناف تصنيف أبي جعفر النحَّاس المتوفى ٣٣٨هـ «الجزء الثاني» : تحقيق ودراسة ـ أحمد خطَّاب العُمر ، ١٩٧٦م ، في مجلدين . دكتوراه .

١٥ ـ كتابُ شرح الجُمَل الكبرى لابن هشام الأنصاري : دراسة وتحقيق ـ علي توفيق محمد الحمد ، ١٩٧٦م ، ٣٠٨ صفحة . ماجستير .

١٦ـ كتاب إعراب القرآن لأبي جعفر أحمد بن إسماعيل النحَّاس ت ٣٣٨هـ : تحقيق ودراسة ـ زهير غازي زاهد ، ١٩٧٦م ، في ثلاث مجلدات . دكتوراه .

١٧ ـ معاني القرآن للأخفش الأوسط : دراسة وتحقيق ـ فائز فارس محمد الحمد ، ١٩٧٧م ، في مجلدين . دكتوراه .

١٨ ـ شرح ألفيه ابن معطي : تحقيق ودراسة ـ علي موسى الشوملي ، ١٩٨١م ، في مجلدين . دكتوراه .

١٩ـ شواهدُ الشعراء المخضرمين في التراث اللغوي : توثيق ودراسة ـ مجدي إبراهيم يوسف علي ، ١٩٨٧م ، في مجلدين . ماجستير .

٢٠ ـ كتاب الكناس في النحو والصرف لأبي الفداء بن شاهنشاه : تحقيق ـ جودة مبروك محمد مبروك ، ١٩٩٧م ، في مجلدين . ماجستير .

٢١ ـ اللفظ المُستعرَب من شواهد المُهَذّب لأبي عبدالله محمد بن علي بن الحسن القلعي ت ٦٣٠هـ ، ١٩٩٧م ، ٢٥٥ صفحة . ماجستير .

٢٢ ـ ما يُعَوّلُ عليه في المُضاف والمضاف إليه للمُحبي ت١١١١هـ : دراسة وتحقيق عاطف محمد المغاورى ، ١٩٩٨ ، في مجلدين . ماجستير .

٢٣ ـ كتاب شرح تذكرة الغريب لابن الوردي : دراسة وتحقيق ـ جمعة المبروك عون ، ١٩٩٩م ، ٢٤٥ صفحة . دكتوراه .

٢٤ ـ الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين لأبي البركات بن الأنباري : تحقيق ـ جودة مبروك محمد مبروك ، ٢٠٠٠م ، في مجلدين . دكتوراه .

٣ ـ الدراسات النقدية والبلاغية : ـ

١ ـ الباقلاني وكتابه «إعجاز القرآن الكريم» : تحقيق ـ عبدالحليم هاشم حسن الشريف ، ١٩٧٣م ، ١٩٧صفحة . ماجستير .

٢ ـ دراسة وتحقيق كتاب الإيجاز في علوم حقائق الإعجاز في تقرير العلوم البيانيّة والأسرار المعنوية للإمام يحيى بن حمزة العلوي (٦٦٩ ـ ٧٤٩هـ) : ـ رياض عبدالحبيب أحمد القرشي ، ١٩٨٤م ، في مجلدين . ماجستير .

٤ ـ النَّثرُ : ـ

١ ـ كتاب البخلاء للجاحظ : تحقيق ـ محمد طه الحاجري ، ١٩٣٩م ، ١٦٣ صفحة . ماجستير .

٢ ـ رسالة الغفران : تحقيق ودراسة ـ عائشة عبدالرحمن ، ١٩٥٠م ، دكتوراه .

٣ ـ المختار من رسائل أبي إسحق الصابي : تحقيق ودراسة ـ محمد يُونس عبدالعال ، ١٩٧٧م ، في مجلدين . دكتوراه .

٤ ـ شرح أدب الكاتب لأبي منصور موهوب الجواليقي تحقيق : طيبة محمد فهد ، ١٩٨٤م ، في مجلدين . دكتوراه .

٥ ـ صلة الجمع وعائد التذييل لموصول كتاب الإعلام والتكميل للبلنسى : تحقيق ودراسة ـ محمد عطا أحمد يوسف ، ١٩٩٠م ، في مجلدين . دكتوراه .

٥ ـ الشعر : ـ

١ ـ شعر الهذليين في العصر الجاهلي والإسلامي : توثيق ـ أحمد كمال محمد زكي ، ١٩٥٢م ، ٤١٩ صفحة . ماجستير .

٢ ـ شعر أميّة بن أبي الصَّلت : جمع وتحقيق ودراسة ـ عبد الحفيظ السطلي ، ١٩٦٤م ، ٤١٦ صفحة . ماجستير .

٣ ـ ديوان عنترة بن شداد : تحقيق ودراسة ـ محمد سعيد مولوي ، ١٩٦٤م ، ٢٨٧ صفحة . ماجستير .

٤ ـ ديوان حاتم الطائي «ضمن دراسة بعنوان حاتم الطائي ، دراسة لحياته وشعره وتحقيق لديوانه» ـ علي حسين العتوم ، ١٩٧٤م ، ٤٣٤ صفحة . ماجستير .

٥ ـ شعراء عبد القيس في العصر الجاهلي : جمع وتحقيق ودراسة ـ عبدالحميد محمود المعيني ، ١٩٧٦م ، في جزئين في مجلد واحد . ماجستير .

٦ ـ شعر تميم في العصر الجاهلي : جمع وتحقيق ودراسة ـ عبدالحميد محمود المعيني ، ١٩٧٩م ، ٧٥٥ صفحة . دكتوراه .

٧ ـ المعلقات العشر : توثيق ودراسة ـ علي حسين العتوم ، ١٩٨٠م ، ٥٣٠ صفحة . دكتوراه .

٨ ـ شعر يهود في الجاهلية وصدر الإسلام : تحقيق ودراسة ـ عبدالله جبريل مقداد ، ١٩٨١ ، ٣٥١ صفحة . ماجستير .

٩ ـ شعر قبيلة ذبيان في الجاهلية : جمع وتحقيق ودراسة ـ سلامة عبدالله السويدي ، ١٩٨٦م ، في مجلدين . ماجستير .

ب ـ شعر صدر الإسلام وبني أمية :

١ ـ نقائض جرير والفرزدق : تحقيق ودراسة تاريخية ـ محمود غناوي الزهيري ، ١٩٥١م ، ٣٧١ صفحة . دكتوراه .

٢ ـ ديوان عبدالله بن الدّمينَة : تحقيق ودراسة ـ راتب فارس النفاخ ، ١٩٥٨ . ماجستير .

٣ ـ ديوان حسان بن ثابت : تحقيق ودراسة ـ سيد حنفي حسنين ، ١٩٦١م ، ٤٢١ صفحة . دكتوراه .

٤ ـ شعر كعب بن مالك الأنصاري : جمع وتحقيق ودراسة ـ سامي مكي العاني ، ١٩٦٥م ، ٧٨٧ صفحة . ماجستير .

٥ ـ تحقيق ديوان خالد بن يزيد الكاتب : دراسة حياته وشعره ـ محمد لقمان الأعظمي ، ١٩٦٦م ، ٣٥٩ صفحة . ماجستير .

٦ ـ تحقيق ديوان جرير : تحقيق ـ نعمان محمد أمين طه ، ١٩٦٦م ، ٧٧٤ صفحة . دكتوراه .

٧ ـ ديوان العجاج بشرح الأصمعي : دراسة وتحقيق ـ عبدالحفيظ السلطي ، ١٩٦٩ ،

دكتوراه .

٨ ـ شعراء همدان في الجاهلية والإسلام : تحقيق ودراسة ـ حسن عيسى أبو ياسين ، ١٩٨١م ، ٥١٢ صفحة . دكتوراه .

٩ ـ شعر الناشيء الأكبر : جمع وتوثيق ودراسة ـ عبدالحافظ إبراهيم محمد ، ١٩٨٣م ، ٤٣٣ صفحة . ماجستير .

١٠ ـ شعر الراعي النميري : توثيق ـ سعد بو عياد ، ١٩٨٧م ، ٦١٦ صفحة . ماجستير .

١١ ـ ديوان عمر بن أبي ربيعة : تحقيق ودراسة ـ فهر محمود محمد شاكر ، ١٩٩٦م ، في أربع مجلدات . دكتوراه .

ج ـ الشعر العباسي : ـ

١ ـ ديوان سلامة بن جندل السعدي : توثيق ـ فخر الدين قباوة ، ١٩٦٤م . ماجستير .

٢ ـ شرح المفضليات للخطيب التبريزي : تحقيق ـ فخر الدين قباوة ، ١٩٦٦م ، ٩٥٢ صفحة . دكتوراه .

٣ ـ شعر آبان بن عبدالحميد اللاحقي : جمع وتوثيق ودراسة ـ عصمة عبدالله غوشة ، ١٩٦٧م ، ١٨٢ صفحة . ماجستير .

٤ ـ ديوان الباخرزي أبي الحسن علي بن أبي الطيب : تحقيق ودراسة ـ محمد قاسم مصطفى ، ١٩٧٠م ، في مجلدين . ماجستير .

٥ ـ الحماسة البصرية : دراسة وتحقيق ـ عادل سليمان جمال ، ١٩٧٠م ، في مجلدين . دكتوراه .

٦ ـ جمهرةُ أشعارِ العربِ في الجاهلية والإسلام : تحقيق ودراسة ـ محمد علي الهاشمي ، ١٩٧٠م ، في مجلدين . دكتوراه .

٧ ـ شرحُ ديوان ذي الرُّمّة لأبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي «صاحب الأصمعي» ، «رواية الإمام ثعلب» : تحقيق ـ عبدالقدوس محمد ناجي أبو صالح ، ١٩٧١م ، في مجلدين . دكتوراه .

٨ ـ شعر عمرو بن أذنية جمع وتحقيق ودراسة ـ الأمين محمد عثمان الزاكي ، ١٩٧٢م ،

٣٠٦ صفحة ، ماجستير .

٩ ـ شعر النمر بن تولب العكلي : جمع وتحقيق ودراسة ـ عبدالكريم رمضان ربيع ، ١٩٧٧م ، ٣٦٢ صفحة . ماجستير .

١٠ ـ شعر القتال الكلابي : توثيق ودراسة ـ عبدالرحمن حمزة الدعليس ، ١٩٨٠م ، ٤٠٢ صفحة . ماجستير .

١١ ـ شعرُ طيء في الجاهلية والإسلام في نهاية القرن الأول الهجري : جمع وتحقيق ودراسة ـ وفاء فهمي السنديوني ، ١٩٨١م ، ٥٠٥ صفحة . دكتوراه .

١٢ ـ شرح الزوزني على ديوان المتنبي : تحقيق ودراسة ـ عارف كرم أبو خضيري الحجاجي ، ١٩٨٦م ، في مجلدين . دكتوراه .

١٣ ـ ديوان الفتوح لأحمد بن علوان بن مطاعن اليمني : تحقيق ودراسة ـ حمود علي أحمد القيري ، ١٩٨٨م ، في مجلدين . ماجستير .

١٤ ـ الشعر في سيرة ابن هشام : توثيق ودراسة : موسى شيخي ، ١٩٨٨م ، ٤٩٣ صفحة . ماجستير .

١٥ ـ ديوان شمس الدين الخياط (ت ٧٥٦هـ) : تحقيق ودراسة ـ محمد فؤاد محمد ، ٢٠٠٠م ، ٣٣٥ صفحة . دكتوراه .

٦ ـ أدب مصر الإسلامية : ـ

١ ـ ديوان البوصيري «ضمن أطروحة بعنوان البوصيري حياته وشعره وتحقيق لديوانه»ـ محمد سيد الكيلاني ، ١٩٥٣م ، في مجلدين . ماجستير .

٢ ـ شعر تميم بن المعز لدين الله الفاطمي : تحقيق ـ إبراهيم الدسوقي جاد الرب ، ١٩٦٠م ، ٢١٢ صفحة . ماجستير .

٣ ـ ديوان ابن النبيه المصري : دراسة وتحقيق ـ عمر محمد عبدالكريم الأسعد ، ١٩٦٧م ، ١٩٦٢ صفحة . ماجستير .

٤ ـ دُمية القصر وخريدة أهل العصر للباخرزي ، تحقيق ـ سامي مكي العاني ، ١٩٦٩م ، ٦٤٢ صفحة . دكتوراه .

٥ ـ حِلية المحاضرة في صناعة الشعر للحاتمي ت ٣٨٨هـ : تحقيق ودراسة ـ جعفر الطيار الكتاني ، ١٩٦٩م ، في مجلدين . ماجستير .

٦ ـ كتاب المرتجل لعبدالله بن أحمد الخشاب : تحقيق ودراسة ـ مصطفى صالح ، ١٩٧٢م ، في مجلدين . دكتوراه .

٧ ـ ديوان أبي المظفر الأبيوردي : تحقيق ودراسة ـ عمر محمد عبدالكريم الأسعد ، ١٩٧٢م ، في مجلدين . دكتوراه .

٨ ـ التنبيهُ على شرح مُشكلات أبيات الحماسة لابن جني : تحقيق ودراسة ـ يسري قاسم القواسمي ، ١٩٧١م ، ٥٢٤ صفحة . ماجستير .

٩ ـ شعر الحسين بن الضحاك : دراسة وتحقيق ـ شوقي رياض أحمد ، ١٩٧٢م ، ٣٣٥ صفحة . ماجستير .

١٠ ـ رسالة في شعر الطغرائي : دراسة وتحقيق ـ عبدالقادر أحمد رمضان ، ١٩٧٢م ، ١٨٦ صفحة . دكتوراه .

١١ ـ شعر أبي عُيَيْنَة المهلبي : جمع وتحقيق ودراسة ـ صلاح مهدي الفرطوس ، ١٩٧٣م ، ٣٦٠ صفحة . ماجستير .

١٢ ـ ديوان السري الرفاء : تحقيق ودراسة ـ حبيب حسين الحسني ، ١٩٧٣م ، في مجلدين . دكتوراه .

١٣ ـ ديوان ابن الفارض : تحقيق ودراسة ـ عبدالخالق محمود عبدالخالق ، ١٩٧٦م ، ٣٨٢ صفحة . ماجستير .

١٤ ـ ديوان شهاب الدين التلعفري : تحقيق ودراسة ـ هنرييت زاهي سابا ، ١٩٧٦م ، في مجلدين . ماجستير .

١٥ ـ عبث الوليد لأبي العلاء المعري : دراسة وتحقيق ـ ناديا علي الدولة ، ١٩٧٦م ، ٣٢٠ صفحة . ماجستير .

١٦ ـ حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء : تحقيق ودراسة ـ محمد بهي الدين محمد سالم ، ١٩٧٨م ، ٧١٦ صفحة . دكتوراه .

١٧ ـ تحقيق كتاب تنبيه الهمم على مآخذ أبي الطيب من الشعر والحكم لأبي بكر

الزمزمي : تحقيق ـ ماهر ربيع محمد جوهري ، ١٩٨٤م ، في مجلدين . ماجستير .

١٨ ـ ديوان الأرجاني ناصح الدين أبي بكر أحمد بن محمد بن الحسين : تحقيق ـ محمد قاسم مصطفى ، ١٩٧٧م ، في مجلدين . دكتوراه .

١٩ ـ ديوان ابن قلاقس : دراسة وتحقيق ـ سهام الفريح ، ١٩٧٨م ، في مجلدين . دكتوراه .

٢٠ ـ الشعر في كتب الجبرتي التاريخية : جمع ودراسة ـ نصر الدين طالح سيد محمد ، ١٩٨٥م ، في مجلدين . ماجستير .

٢١ ـ ديوان حسام الدين الحاجري : تحقيق ودراسة ـ مصطفى محمد شوقي مصطفى الجزار ، ١٩٨٩م ، ٢٩٧ صفحة . ماجستير .

٢٢ ـ ديوان الشهاب الحجازي «ت ٨٧٥هـ» : دراسة وتحقيق ـ أحمد أبو زيد محمود ، ٢٠٠٠م ، ٣٨٩ صفحة . ماجستير .

٧ ـ الأدب الأندلسي والمغربي : ـ

١ ـ كتاب نثر فرائد الجمان في شعر فحول الزمان لابن الأحمر «ضمن رسالة بعنوان ابن الأحمر بن إسماعيل بن يوسف بن محمد حياته وأدبه مع تحقيق كتابه : نثر فرائد الجمان في شعر فحول الزمان ، تحقيق ـ محمد رضوان الداية ، ١٩٦٥م ، في مجلدين . ماجستير .

٢ ـ أمثال أبي يحيى الزجالي القرطبي : تحقيق ودراسة ـ محمد بن شريف ، ١٩٦٨م ، ٨٥٧ صفحة . دكتوراه .

٣ ـ مذكرات ابن الحاج النميري الأندلسي «٧٤٥هـ ـ ١٣٤٤م» تحقيق ودراسة ـ الفريد دي برمار ، ١٩٦٩م ، ٢٠٧ صفحة . ماجستير .

٤ ـ شعر ابن عبدربه : جمع وتحقيق ودراسة ـ موسى رزق ريحان ، ١٩٧١م ، ٣٩٦ صفحة . ماجستير .

٥ ـ ديوان الحكم وميدان الكلم لحكيم الزمان أبي الفضل عبدالمنعم بن عمر حسان الغساني الأندلسي الجياني : تحقيق ودراسة ـ فخري صالح سعيد ، ١٩٧٥م ، في مجلدين ، ماجستير .

٦ ـ شعر ابن حزم : تحقيق ودراسة ـ محمد بن سليمان بن عبيد ، ١٩٨١م ، ٤٤٤ صفحة . ماجستير .

٧ ـ ديوان العقدين لابن جابر الأندلسي «٦٩٨ ـ ٧٨٠هـ» : تحقيق ـ الفسري عيسى ، ١٩٨٨م ، ٦١٠ صفحة . ماجستير .

٨ ـ كتاب سجع الورق المنتخبة في جمع الموشحات المنتخبة لأحمد بن موسى السخاوي : دراسة وتحقيق ـ ماجد كمال محيي الدين حسن ، ١٩٨٩م ، ٥١٠ صفحة . ماجستير .

ثانيًا : قسم التاريخ :

١ ـ مخطوطة البرد الموشي في صناعة الإنشاء للموصلي الكاتب «وهو ضمن رسالة بعنوان : ديوان الإنشاء وتطوره في عصر الأيوبيين والمماليك ، مع تحقيق مخطوط البرد الموشي في صناعة الإنشاء للموصلي» : تحقيق ـ عفاف سيد محمد ، ١٩٧١م ، ٣١٤ صفحة . ماجستير .

٢ ـ نشر وتحقيق مخطوطة نهاية السؤال والأمنية في تعليم أعمال الفروسية في عصر سلاطين المماليك : تحقيق ـ نبيل محمد عبدالعزيز أحمد ، ١٩٧٢م ، ٨٢٩ صفحة . دكتوراه .

٣ ـ مخطوط زُبدةِ الفكر في تاريخ الهجرة تأليف بيبرس الدويدار «الجزء التاسع» : تحقيق مع دراسة لخصائص الكتابة التاريخية في العصر المملوكي ـ زبيدة محمد عطا ، ١٩٧٢م ، ٥٣٤ صفحة . دكتوراه .

٤ ـ الجزء الخاص بالزراعة من كتاب مباهج الفكر ومناهج العبر ، لجمال الدين محمد المعروف بالوطواط «ت ٧١٨هـ» ضمن رسالة بعنوان «الحياة الزراعية في مصر في العصر المملوكي مع تحقيق الجزء الخاص بالزراعة في كتاب مباهج الفكر ومناهج العبر لجمال الدين محمد المعروف بالوطواط ت ٧١٨هـ» : تحقيق ـ أحمد عبدالكريم سليمان ، ١٩٧٢م ، ٣٢٠ صفحة . ماجستير .

٥ ـ تحقيق مخطوطة الأحكام المملوكية والضوابط القاموسية في فن القتال في البحر : مع دراسة عن فن القتال في عصر سلاطين المماليك ـ عبدالعزيز محمود عبدالدايم ، ١٩٧٥م ، في مجلدين . دكتوراه .

٦ ـ تنوير الغبش في فضل السودان والحبش لابن الجوزي «ت ٥٩٧هـ» : دراسة وتحقيق ـ عبدالرحمن العبيد عبدالماجد ، ١٩٧٦م ، ٣٧٦ صفحة . ماجستير .

ثالثا : قسم اللغات الشرقية :

١ ـ دراسة وتحقيق وترجمة للسيرة النبوية في مخطوط روضة الصفا : تحقيق ـ يوسف صلاح الدين عبدالسلام ، ١٩٧٤م ، في ثلاثة مجلدات . دكتوراه .

رابعًا : قسم الفلسفة :

١ ـ السلوك الصوفي عند الحارث المُحَاسبي وتحقيق كتابه آداب النفوس : تحقيق - زهير حسين برتاوي ، ١٩٧٦م ، في مجلد . ماجستير .

٢ ـ الفكر السياسي عند الماوردي مع تحقيق مخطوطة عن قوانين الوزارة : تحقيق - صلاح الدين بسيوني رسلان ، ١٩٧٠م ، ٥٤٠ صفحة . ماجستير .

من أخبار التراث

إعداد/أ .حسام عبد الظاهر*

حصاد عام مضى

* في الفترة من ٢ ـ ٤ فبراير ٢٠٠٢م قامت جامعة حلب بتنظيم ندوة دولية عن (ابن حزم الأندلسي) وذلك بالتعاون مع معهد ثربانتيس الإسباني وقد شارك في هذه الندوة الكثير من الباحثين من الدول العربية كسوريا ومصر والعراق والمغرب ، والدول الأوربية كإسبانيا وفرنسا وإنجلترا . وناقشت الندوة الموضوعات المتعلقة بفكر ابن حزم وأدبه وفقهه وكتاباته التاريخية وفلسفته .

* وفي يومي ٢٠ ـ ٢١ مارس ٢٠٠٢م عقدت الجمعية المصرية لتعريب العلوم مؤتمرها السنوي الثامن عن تعريب العلوم ، وشملت محاور المؤتمر الموضوعات المتعلقة بقضايا التعريب مثل : اقتصاديات تعريب العلوم ، ومعوقات التعريب ، ودور شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت) في منظومة تعريب العلوم ، وتقييم أداء خريجي المدارس العربية ومدارس اللغات الأجنبية في الجامعات ، وظاهرة التلوث اللغوي في التعليم الجامعي .

* وفي شهر مارس أيضا عقدت بدولة الإمارات العربية ندوة أخري عن اللغة العربية تحت عنوان «اللغة العربية وتحديات العصر» .

* وخلال الفترة الممتدة من ٢٥ مارس إلى ٨ إبريل عقد مجمع اللغة العربية بالقاهرة دورته الثامنة والستين ونظم ندوة عن العلاقات بين الثقافة العربية والثقافات الأخري ألقيت فيها عدة محاضرات منها :

ـ تأثير الثقافة العربية في الثقافة الغربية الحديثة ، للدكتور شوقي ضيف .

ـ اللغة والمصطلحات العلمية عند ابن الهيثم ، للدكتور عبد الكريم خليفة .

ـ التداخلات اللغوية وأثرها في المجال الثقافي العربي ، للدكتور عباس الصوري .

ـ رسائل الإعلام والفصحي المعاصرة ، للدكتور عبد العزيز تركى .

ـ أهمية مصرفي العصور الإسلامية الأولى ، للدكتور رئيف خوري .

ـ التأثير المتبادل بين الأمثال العربية والأمثال الإسبانية ، للدكتور محمد بن شريفة .

* باحث بمركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية .

ـ العلاقات بين لغات الشعوب الإسلامية في المصطلحات العلمية والسياسية ، للدكتور فولفو ديتريش .

* وفي الفترة من ٢٠ ـ ٢٢ إبريل عقدت وزارة الثقافة في مصر ندوة موسعة بعنوان "رفاعة رافع الطهطاوي رائد التنوير" قُدِّم فيها ما يقرب من ستين بحثاً وعُقدت أثناءها بعض الموائد المستديرة والحلقات النقاشية .

ومن بحوث هذه الندوة :

ـ حضور التراث في كتابات الطهطاوي . . . الوظائف والدلالات ، للدكتور رضوان السيد .

ـ الدين والسياسة في مشروع الطهطاوي التحديثي ، للدكتورةزينب الخضيري .

ـ قضايا المصطلح عند رفاعة الطهطاوي ، للدكتورة طيبة الشذر .

ـ السرد وكتابة السيرة النبوية عند رفاعة الطهطاوي ، للدكتور سامي سليمان .

* وفي الفترة ٢٣ ـ ٢٥ إبريل أقامت الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ندوتها السنوية تحت عنوان التقاء الحضارات في عالم متغير حوار أم صراع وكان لهذه الندوة صدي واسع في وسائل الإعلام المختلفة ومن البحوث التي قدمت فيها :

ـ الحوار الديني في الأندلس ، للدكتور محمود علي مكي .

ـ دور الترجمة في لقاء الشرق العربي بالغرب ، للدكتور مجدي عبد الحافظ .

ـ عيون الأنباء في طبقات الأطباء نموذجاً لالتقاء الحضارات ، للدكتور محمد فريد حجاب .

ـ الإسلام والغرب ، للدكتور حسن حنفي .

هذا إلى جانب بحوث أخرى عن الأصول التاريخية لالتقاء الحضارات وعن التقاء الحضارات في العصر الحديث .

* واحتفاءً بالذكرى الثمانمائة للفيلسوف المسلم (ابن رشد) عُقدت بالقاهرة فيما بين ١١ ـ ١٤ مايو ندوة دولية نظمتها وزارة الثقافة المصرية تحت عنوان (ابن رشد ـ نهاية قرن وبداية قرن) وشارك فيها نخبة من الباحثين العرب ومن البحوث التي قُدمت فيها :

- الفلسفة السياسية عند ابن رشد ، للدكتور إبراهيم صقر .
- الموقف العقلاني من التصوف لدى ابن رشد ، للدكتور إبراهيم محمد تركي .
- موقف ابن رشد النقدي من الأشاعرة ، للدكتور جمال رجب .
- ابن رشد ونقده لابن سينا ، للدكتور جوزيف منتدى .
- توظيف ابن رشد في الثقافتين العربية والغربية ، للدكتور حسن حبشي .
- شروح ابن رشد لكتاب النفس لأرسطو ، للدكتور عصمت نصار .
- ملاحظات في المتن الطبي والفقهي ، للدكتور عمار الطالبي .
- جالينوس بين الرازي وابن رشد ، للدكتور مصطفي لبيب .

* وفي يومي ١١ ، ١٢ يونيو عقدت لجنة الآثار بالمجلس الأعلي للثقافة في مصر ندوة بعنوان "البرديات في تاريخ مصر" ومن البحوث المقدمة لهذه الندوة :

- مالية مصر عند الفتح العربي بين الوثائق البردية وكتابات المؤرخين ، للدكتور مصطفى العبادي .
- أضواء جديدة على صناعة النسيج من خلال أوراق البردي ، للدكتور أحمد عبدالرازق .
- النقود الإسلامية من واقع أوراق البردي وأقوال المؤرخين ، للدكتور رأفت النبراوي .

* وفي الفترة من ٢٢ - ٢٤ أكتوبر عقد اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة ندوته السنوية لعام ٢٠٠٢م تحت عنوان الحضارة العربية الإسلامية في العصور الوسطى ودورها في بناء الحضارة العالمية وكان من بحوث الندوة :

- الحضارة التي نحن بصددها هل هي إسلامية عربية أم عربية إسلامية؟ ، للدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور .
- العصور الوسطى ودورها في البناء الحضاري العالمي ، للدكتور محمد عبده السروري .
- التأثيرات الإجتماعية المتبادلة بين المسلمين والأسبان في الأندلس ؟ ، للدكتورة راوية شافع .
- معابر الحضارة الأندلسية إلى الغرب الأوربي ، للدكتورة سحر سالم .

ـ قواعد وآداب الطعام في الشرق وأثرها في المجتمع الغربي ، للدكتورة سامية عامر .

ـ آل حنين وأثرهم في التراث العلمي العربي ، للدكتور محمد زيود .

ـ الطب في الأندلس العربية وأثره في أوربا ، للدكتور صلاح خليل إبراهيم .

ـ مكانة علم الفلك في الأندلس الإسلامية ، للدكتور مصطفي دويدار .

ـ دور الحضارة الإسلامية في حركة الكشوف الجغرافية ، للدكتور السيد حسين جلال .

* وفيما بين ٢٦ إلي ٣٠ أكتوبر عقد مؤتمر موسع بالمجلس الأعلى للثقافة في مصر عن (المرأة العربية والإبداع) وشارك فيه ١٦٠ باحثاً مصرياً وعربياً وأجنبياً ومن البحوث التي اهتمت بالتراث :

ـ الموروث الثقافي كأحد معوقات الإبداع عند المرأة العربية ، لأنصاف الأحمد .

ـ الفهم السلفي بوصفه حائلاً دون الإبداع ، للأستاذ جمال البنا .

ـ فقه النساء ، للدكتور حسن حنفي .

ـ صورة الأعرابيات واللغة في السرد العربي ، للدكتورة سعاد المانع .

ـ دور المرأة في الحياة العلمية والدينية في عصر سلاطين المماليك ، للدكتورة ليلى عبد الجواد إسماعيل .

* وفي شهر نوفمبر عقدت ببغداد عدة ندوات في إطار الإحتفال السنوي بذكرى تأسيس بغداد سنة ١٤٥هـ في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور وكان من موضوعاتها :

ـ بغداد هوية عربية في الوظائف والتخطيط والتجارة ، للدكتور خالص الأشعب .

ـ البنية الحضارية لبغداد بني العباس ، للدكتور محمد المبارك .

ـ بغداد ألف ليلة وليلة للدكتور باسم حمودي .

* وفي الفترة من ٢٤ ـ ٢٦ ديسمبر عُقدت ندوة عن التراث بين الفلسفة والعلوم الاجتماعية نظمتها الجمعية الفلسفية المصرية بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الاجتماعية بكلية الآداب جامعة القاهرة وشارك فيها ما يقرب من خمسين باحثاً مصرياً وعربياً ومن بين الأوراق المقدمة في هذه الندوة :

ـ التراث والتجاوز ، للدكتور علي أومليل .

ـ التراث والتغير الاجتماعي ، للدكتور محمد محمود الجوهري .

ـ التراث بين البنية والتاريخ ، للدكتور حسن حنفي .

ـ معركة التراث والصراع الاجتماعي ، للأستاذ محمود أمين العالم .

ـ تاريخية التراث ، للدكتور محمود إسماعيل .

ـ التراث ومناهج العلوم الاجتماعية ، للدكتور صلاح قنصوه .

ـ المدخل الاجتماعي لدراسة التراث ، للدكتور أحمد زايد .

ـ التراث بين الفلسفة والتاريخ ، للدكتورة رفيقة بن مراد .

ـ أصول المنهج التحليلي في التراث القديم ، للدكتور محمد مدين .

ـ ابن خلدون بين التراث اليوناني والتراث الإسلامي ، للدكتور إسماعيل زروخي .

ـ علم تاريخ العلم العربي ، للدكتور ماهر عبد القادر .

ـ الاتجاهات الجمالية في التراث ، للدكتور رمضان بسطاويس .

* وخلال شهر ديسمبر أيضا عقد معهد المخطوطات العربية بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ندوة يومي ٢٥ ـ ٢٦ ديسمبر نحن والآخر تراث العرب والمسلمين في العلاقات الخارجية وقد عُرضت في هذه الندوة عشرة بحوث منها :

ـ الإسلام والعلاقات الخارجية ، للمستشار طارق البشري .

ـ الدولة الإسلامية والعلاقات مع الخارج ، للدكتور مصطفى منجود .

ـ تراث العلاقات الخارجية اشكاليات التعريف والتوصيف والتوظيف ، للدكتور سيف عبد الفتاح .

ـ العلاقات الخارجية في مصادر الفقه الإسلامي ، للدكتور محيي الدين قاسم .

ـ الجانب الدبلوماسي في رحلتي ابن بطوطة وخير الدين التونسي ، للدكتور يوسف زيدان .

ـ قراءة في سير الشيباني ، للدكتور أحمد عبد الونيس .

ـ نص فريد في السفارة بين بيرنطة والدولة الأموية في الأندلس ، للدكتور محمود علي مكي .

* وخلال شهر ديسمبر صدر عن مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي في لندن الجزء الرابع والأخير من كتاب «المخطوطات الإسلامية في العالم» تحرير جيو فري روبر(١) ، وترجمة وتحقيق د . عبد الستار الحلوجي . وقد قامت مؤسسة الفرقان بإصدار العمل الأصلي باللغة الإنجليزية في أربعة مجلدات بعنوان World Survey Of Islamic Manuscripts نشرت في لندن فيما بين ١٩٩٢ ـ ١٩٩٤ وبلغ مجموع صفحاتها ٢٥٠٠ صفحة . وصدرت الطبعة العربية في أربعة مجلدات أيضاً نشرت فيما بين عامي ١٩٩٧ ـ ٢٠٠٢م وبلغت صفحاتها ٣٤٦٠ صفحة وقد زودت هذه الإصدارة العربية بخمسة كشافات هي : اللغات ـ الأعلام ـ المجموعات ـ المدن ـ عناوين المخطوطات .

ويعرِّف هذا الكتاب في طبعتيه العربية والإنجليزية بمجموعات المخطوطات الإسلامية الموجودة في ١٠٧ دولة رتبت هجائياً ، ورتبت الولايات والمدن في كل دولة ترتيباً هجائياً أيضاً ، وتحت كل مدينة رُتِّبت المكتبات ترتيباً هجائيا .

ويعدّ الكتاب من أعظم الأعمال الببليوجرافية التي أصدرتها مؤسسة الفرقان كما يعد المصدر الوحيد للمعلومات عن عدد ضخم من المكتبات والمجموعات المنتشرة في شرق الدنيا وغربها وفي شمالها وجنوبها .

الموسم الثقافي لمركز تحقيق التراث بداية من يناير ٢٠٠٢م وحتى ديسمبر ٢٠٠٢م .

ندوات شوامخ المحققين .

١ ـ ٥ مارس ٢٠٠٢ أحمد تيمور باشا المتحدث أ . د . حسين محمد نصار ، أ . د . محمد فتحي عبد الهادي .

٢ ـ ٢٦ مارس ٢٠٠٢م أ . عبد السلام هارون ، المتحدث أ . د .علي أبو المكارم ، د . نبيل عبد السلام هارون .

٣ ـ ٩ إبريل ٢٠٠٢م أ . د . محمد مصطفى زيادة ، المتحدث أ . د . حسنين محمد ربيع ، أ . د . سعيد عبد الفتاح عاشور .

(١) من وحدة الببليوجرافيا الإسلامية بمكتبة جامعة كمبردج البريطانية

٤ ـ ٢٣ إبريل ٢٠٠٢م أ /محمود محمد شاكر ، المتحدث أ . أحمد فراج ، أ . د . محمود علي مكي

٥ ـ ٢ ديسمبر رمضان في التراث المصري أ . د . حسنين ربيع ، أ . د . أيمن فؤاد سيد .

٦ ـ ٢٣ ديسمبر بنت الشاطئ أ . د . عفت الشرقاوى ، أ . د . حسن جبر المالكي .

٧ ـ ٢٩ ديسمبر شيخ العروبة أحمد زكي أ . د . حسين نصار أ . د . محمد فتحي عبد الهادي .

ندوات واحتفالات عام ٢٠٠٣م

١ ـ ٦ يناير مناهج العلماء المسلمين في دراسة النباتات الطبية والعقاقير المتحدث أ . د . كمال البتانوني .

٢ ـ ٢٠ يناير : الشيخ أحمد محمد شاكر المتحدث أ . د . أحمد عمر هاشم .

٣ ـ ٣ فبراير : أهمية التراث العلمي المتحدث أ . د . أحمد فؤاد باشا .

٤ ـ ١٧ فبراير : المستشرق بيفان المتحدث أ . د . محمد عوني عبد الرءوف .

٥ ـ ١٧ مارس : د . جمال الدين الشيال المتحدث : أ . د . حسنين ربيع ، د . أيمن فؤاد سيد .

٦ ـ ١٤ إبريل : السيد أحمد صقر المتحدث أ . د . عبد الحميد مدكور ، د . عادل سليمان .

٧ ـ ١٢ مايو : عبد العزيز الميمني المتحدث أ . د . محمود علي مكي .

إصدارات مركز تحقيق التراث

الإصدارات الجديدة (٢٠٠٢) :

١ ـ أبكار الأفكار في علم أصول الدين ـ الآمدي ، الأجزاء من ١ : ٥ .

٢ ـ مدارج السالكين ـ ابن قيم الجوزية ، ج٤ .

٣ ـ المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ـ ابن تغرى بردي ، ج٩ .

٤ ـ التبر المسبوك في ذيل السلوك ـ السخاوي ، ج١ .

٥ ـ الخطط التوفيقية ـ علي باشا مبارك ، ج١٥ .

٦ ـ عقد الجمان ـ العيني ، (العصر الأيوبي) ج١ .

٧ ـ الحجة في علل القراءات السبع ـ أبو علي الفارسي ، ج٣ .

٨ ـ الحجة في علل القراءات السبع ـ أبو علي الفارسي ، ج١ ، ٢ .

٩ ـ عنوان الزمان ـ البقاعي ، ج١ .

١٠ ـ معاني القرآن ـ الفراء ، ج٢ ، ٣ .

١١ ـ معجم تيمور الكبير ـ أحمد تيمور ، الأجزاء ٤ ، ٥ ، ٦ .

١٢ ـ معجم تيمور الكبير ـ أحمد تيمور ، الأجزاء ١ ، ٢ ، ٣

١٣ - المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ـ الجواليقي .

١٤ - إغاثة الأمة بكشف الغمة ـ المقريزي

١٥ - شروح سقط الزند لأبي العلاء ، جـ ١ ـ ٥

١٦ - ديوان كعب بن زهير .

١٧ - ديوان زهير بن أبي سلمى

١٨ - ديوان عبيد بن الأبرص

١٩ - ديوان المعتمد بن عبّاد

٢٠ - نهاية الأرب في فنون الأدب ـ النويري ، جـ ٣٢ ، ٣٣ .

إصدارت تحت الطبع

١ – شرح السيرافي على كتاب سيبويه ـ السيرافي ، جـ ٥

٢ – رسالة في ترتيب أكل الفاكهة ـ الرازي

٣ – المعجم الصغير ـ البقاعي .

٤ – عنوان الزمان ـ البقاعي ، جـ ٢ .

٥ – التبر المسبوك ـ السخاوي ، ج٢ ٢ : ٤ .

٦ – عقد الجمان ـ العيني ، (العصر الأيوبي) ج٢ .

٧ – الخطط التوفيقية ـ على باشا مبارك ج ١٦ .

٨ – مستوفي الدواوين ـ الأزهري ، ج١ .

إصدارات تحت التحقيق

١ – ربيع الأبرار ـ للزمخشري

٢ – لقط المنافع ـ لابن الجوزي .

٣ – نيل مصر – للأقفهسي .

٤ – شرح عيون الحكمة ـ للرازي .

٥ – الآثار ـ للشيباني .

٦ – بغية الفلاحين ـ للملك الأفضل .

٧ – البراكين والزلازل ـ للقوصي

٨ – الفهرست ـ لابن النديم .

٩ – مدارج السالكين ـ لابن قيم الجوزية ، ج ٥ .

١٠ – شرح السيرافي على كتاب سيبويه ـ للسيرافي ، ج ٦ ، ٧ .

١١ – مستوفي الدواوين ـ للأزهري ، ج ٢ ، ٣ .

١٢ – عقد الجمان ـ للعيني ، ج ٣ .

القسم الأجنبي

فخر الدين الرازي : حياته وأعماله
ملاحظات حول المصادر
القسم الأول

ملخص

أ . د . عفت الشرقاوي*

تحاول هذه الدراسة التي تأتي في قسمين الكشف عن مصادر حياة فخر الدين الرازي ، وبيان أعماله المنشورة والمخطوطة ، من حيث قيمتها الفكرية في مواجهة قضية العلاقة بين الفكر الديني والفكر الفلسفي التى بلغ الصراع حولها أوجه في عصره .

وكان الغزالي الأشعري (ت . ٥٠٥ هـ) قد سبق الرازي الأشعري (ت . ٦٠٦ هـ) إلى الهجوم على الفلسفة في كتابه تهافت الفلاسفة ، ثم تابعه الرازي - فيما يرى كثيرون - في هذا الموقف النقدي من الفلسفة ، ولكنه فيما يبدو لكثيرين أيضاً يعد تابعاً حقيقياً لفلسفة ابن سينا ، وواحدًا من شراحه الكبار . تلك الازدواجية هي ما تحاول هذه الدراسة تبين ملامحها في مصادره ومصادر مؤرخيه ، وخصوصاً فيما تتجه إليه من الكشف عما تؤكده مؤلفاته من المطابقة المطلقة بين العقل والنقل ، ليصبح علم الكلام في فكره ، وكأنه علّم الفلسفة الأولى ، بكل ما يعنيه ذلك من قيام المتكلم الأشعري بدور الفيلسوف المسلم فيما يأتي بعد ذلك من الزمان ، حتى العصر الحديث .

* أستاذ بكلية الآداب ـ جامعة عين شمس .

45- Kraus, loc. cit.; in appreciation of his intelligence the great mystic Ibn ^{c}Arabī wrote begging him to turn to mysticism. He said: “I have seen of your works and saw the power of imagination and thought which God has bestowed upon you.” Ibn ^{c}Arabī, Majū^{c} Rasā’il Ibn ^{c}Arabī, (Hyderabad: Ma^{c}arif, 1938), I. P. 1.

46- Although Ibn Taymiyah was influenced by him (see Henri Laoust, Essai sur les doctrines socials et politiques de Taki-d-dīn Ahmed b.Taymiya, (Le Caire: l’Institut Francais, 1939), pp. 84 86, he nevertheless attacked him severely in his books; see for example, Ibn Taymiyah, Muwafaqat Sarīh al-Manqūl l-Sarīh al Ma^{c}qūl, (Cairo: Sunnah, 1951, I, p. 1f. and al-Radd ^{c}ala al-Mantiqiyyīn, (Bombay: Qayyimah press, 1949), p. 396.

47- See Tūsī’s criticism of Rāzī’s Muhassal, Passim.

29- Ibn Khallikān, op. cit., p. 382.

30- Subkī, op. cit., V. 33f.

31- Al-Safadī, op. cit., p. 257.

32- Ibn al-Athīr, A.M. al-Kāmil Vol. 9, Cairo; al-Tijariyyah, n.d., p. 247.

33- Ibn Khallikān, loc. cit.

34- Ibid.

35- Al-Dhahabī, Tārikh, quoted by Kraus, op. cit., p. 132.

36- See Sa^cidī, op. cit., p. 215.

37- Rāzī, al-Tafsīr al-Kabīr, (Cairo: Bahiyyah, n.d.), I, introduction; see also, M. Sabrī, Mawqif al-[c]aql wa al-[c]ilm, (Cairo: Halabī, 1950, I, p. 209.

38- See Rāzī, Jami'al-[c]Ulum, Index prepared by M. Husain Tasbihi, (Tehran: Asadi, 1967), p. 4; see also Goldziher, Aus der Theologie, p. 223.

39- The best handlist of Rāzī's work so far is the one provided by Kholeif, op. cit.; see the appendix, pp. 190 – 203. The number of the books which he arranged in alphabetical order is 119; cf. Anawātī, Mélanges, pp. 201 – 232.

40- Ibn Khallikān, op. cit., p. 383.

41- Ibid., cf. Rāzī, Muhassal, (Cairo: Husayniyyah, A. H. 1323), Tūsī's commentary, p. 3.

42- Ibn Khallikān, loc. cit.

43- Al-Shahrazūrī, S.M. Rawdat al-Afrāh wa Nuzhat al-Arwāh, MS., quoted by Kholeif, op. cit., p. 10.

44- Van Ess, loc. cit.; Alūsī, Hiwar bayn al-Falāsifah wa al-Mutakallimīn, (Baghdad: Al – Zahra, 1967), p. 126.

14- Kholeif, op. cit., pp. 9 – 25, and Appendix, pp. 189 – 203.

15- Ibn Abī ^{c}Usaybi^{c}ah, op.cit., p. 462; al-Maqdisī, op.cit., p. 68; Khwansāri, op. cit., p. 190; Ibn al-^{c}Imād, op.cit., p. 21; Ibn al-Qiftī, op.cit., p. 291; Ibn Khallikān, op.cit., p. 381.

16- Ibn Abī ^{c}Usaybi^{c}ah, op.cit., p. 462.

17- Ibn al-^{c}Ibrī, Mukhtasar al-Duwal, (Beirut: Kāthulikiyyah, 1958), p. 240.

18- Ibn Khallikān, op. cit., p. 382; cf. Goldziher, Aus Der Theologie, des Fachr al Dīn al Rāzī, Der Islam, III, (1912), 222.

19- Rāzī, Munāzarāt Fakhr al-Dīn al-Rāzī fī Bilād mā warā' al-Nahr, ed. Kholeif, in A Study on Fakhr al-Dīn, Arabic text, p. 7.

20- Ibn al-Athīr, al-Kāmil, (Cairo; al-Tijāriyyah, n.d.), IX, 247.

21- Safadī, op.cit., p. 249.

22- Ibn Abī ^{c}Usaybi^{c}ah, op. cit., p. 466; Subki, Tabaqāt al- Shāfi^{c}īyyah, V, 35, Cairo.

23- Khwansārī, op. cit., p. 190.

24- Ibn Khallikān, op. cit., p. 381.

25- Ghāzalī, Maqāsid al-Falāsifah, ed. S. Dunya, (Cairo: Ma^{c}arif, 1961), p. 31; cf. Nasr, op. cit., p. 643.

26- See Safadī, op. cit., p. 251; Ibn Khallikān, op. cit., p. 382.

27- Implicitly in Rāzī, Munazarāt, p. 32f; explicity in al-Mabāhith al-Mashriqiyyah (Tehran: al-Asadi, 1966), I, 3 – 5; Cf. Nasr, loc. cit., and J. Van Ess, Die Erkenntnislehre des 'Adudaddin al-Ici (Weisbaden Steiner, 1966), p. 31f.

28- Related by Safadī, loc. Cit.

3- Nasr, S.H., F. al Rāzī; in "A History of Muslim Philosophy", pp. 1, 642 – 644, edited by Sharif, Weisbaden, 1963.

4- See R. Arnaldez, "L'oeuvre de F. al Rāzī: commentaire du coran et philosophe, Cahiers de civilisation médiévale, III (1960), 312 – 314.

5- Al-Dhahabī, M.H. Al-Tafsīr Wa al-Mufassirūn, Cairo, 1961, I, 295.

6- Al-Sa^c^idī, A. Al Mujadidun fi al Islam, Cairo, 1961, p. 224.

7- The concept of the "Century – renovator in Islam" was originally based on a saying attributed to the prophet that every hundred years a renovator of the Muslim's faith would arise in the community. This tradition was cited by Abu Dawūd, Sahīh Sunan al-Mustafā, (Cairo, Taziyyah, n.d.) II, 290; for more information about the concept and the authenticity of the saying, see al-Sa^c^idī, ibid., p. 5; Kholeif, A Study on Fakhr al Dīn al Rāzī and his Controversies in Transoxiana, Beirut, Dar al Mashriq, 1966, pp. 9 – 14.

8- Rescher, N. The Development of Arabic Logic, (Pittsburgh; University of Pittsburgh Press, 1964) p. 183f.

9- Murād, Y. La Physiognomonie Arabe et al Kitab al-Farāsa de Fakhr al-Dīn al-Rāzī , (Paris: Librairie Orientaliste, 1939), p. 75.

10- Rāzī, I'tiqadat, the two introductions by ^c^Abd al-Rāziq and Nashshār, Beirut, 1966.

11- Gabrieli, G. Fachr al-Dīn al- Rāzī, in Isis, VII, (1925, pp. 9 – 13).

12- Nadvī, Imam Rāzī (^c^Azm Garh, Ma^c^arif Press, 1950, Introduction.

13- Anawātī, art. Fakhr al-Dīn al- Rāzī, in E.I. (Leiden: Brill, 1965) and art. Fakhr al-Dīn al-Rāzī: tamhid li-dirasāt hayatih wa-mu'allafatih, in Mélanges Taha Husain (Cairo: Ma^c^arif, 1962), pp. 193 – 234.

opened the way for a new system in which theology became a rational philosophy of being and the science *par excellence*.

Footnotes

1- Among the important sources which provide some information about Rāzī's life and works are the following:

Ibn Abī Usaybi 'ah, ᶜUyūn al-Anba' fī Tabaqāt al-Atibbā, (Beirut: al-Hayāh, 1965), pp. 462 – 470;

Ibn al-Qiftī, Tārikh al-Hukamā, ed. J. Lippert, (Leipzig: Dieterich, 1903), pp. 291 – 293;

Ibn Khallikān, Wafayāt al-Aᶜyān, (Cairo: Nahdah, 1948), III, 381 – 385;

Al-Maqdisī, Abu Shamah, al-Dhayl ᶜAlā al-Rawdatayn, (Cairo: Attar, 1947), p. 68;

Khwānsārī, M.B. Rawdāt al-Jannāt, (Tehran: 1306/1888), IV, 190 – 192;

Ibn al-ᶜImād, Shadharāt al-Dhahab, (Cairo; Qudsī, 1931), V, 21f;

Ibn Hajar, Lisān al-Mizān, (Hyderabad; Da'irat al-Maᶜarif, 1912), IV, 426 – 428;

Safadī, al-Wāfi bī al-Wafayāt, ed. S. Dedering, (Damascus: Hashimiyyah, 1959), IV, 248 – 259;

Subkī, Tabqāt al-Shāfi iyyah, (Cairo: Husayniyyah, n.d.), V, 33f.

2- Kraus, P. "The controversies of F. Al Rāzī", Islamic Culture, XII, (1938, pp. 131, 153).

lifetime, they circulated even in distant countries. It was said that the public took them for textbooks and rejected those of former authors.[41] According to Ibn Khallikan, Rāzī was the first to introduce the systematic arrangement so remarkable in his writings, which had never been employed by any person before him.[42]

Sometimes Rāzī spoke as a philosopher, as in his *al-Mabahith al-Mashriqiyyah* and in his commentary on some works of Ibn Sina such as *al-Isharat* and *ᶜUyun al-Hikmah.* But in other works he was the avid Ashᶜarī theologian, as in *al-Tafsir al-Kabir*, a voluminous commentary on the Qur'an, where he tried to defend the dogmatic Ashᶜarī system.

It is perhaps due to his active and sincere participation in two trends of thought, the major concepts of which had already clashed at the hands of Ghāzalī, that Rāzī has remained a controversial figure in the works of medieval and modern scholars. Some have claimed that he was a weak scholar lost in the twilight of false doctrine, never attaining true knowledge.[43] Other could easily accuse him of inconsistency and self-contradiction on certain points.[44] But still others have found in his works the intelligence and depth of an original thinker.[45] As a matter of fact, Rāzī was a distinguished theologian who tried to establish a new conception of theology. In his attempt to bridge the gap between philosophy and religious tradition he faced all the difficulties which a syncretist must face in his search for a positive compromise. Thus he completely satisfied neither the traditionally minded Muslims like Ibn Taymiyyah[46] nor the philosophically minded like Tusi[47]. Both camps criticized him severely. But for the Ashᶜarī theologian at least, Rāzī doubtless

We have accounts from contemporaries referring to him as the one who "turned away from the Sunnah and occupied the attention of the people with books of Ibn Sinā and Aristotle".[28] Ibn Khallikān, a biographer very close in time to Rāzī, reported that the conferences which he held at Herāt were attended by the chiefs of the philosophical schools, who came to propose questions to him and to hear his excellent answers.[29]

On the other hand, there are accounts about his activities as an Ashᶜarī theologian, who defended sunnism against Muᶜtazilis,[30] Hanbalis[31] and Karrāmis.[32] According to Ibn Khallikan, these conferences were attended also by the principal doctors of the orthodox sects.[33] A great number of the Karrāmis and other sectarians were said to have been converted to sunni doctrines by his efforts.[34] Thus ironically enough, his rationalism appeared so wild to some people that they charged him with having carried it so far as to oppose his authority to the authority of the prophet,[35] while on the other hand his achievement on behalf of sunnism appeared so sincere in the opinion of others, that he was called the sixth-century renovator of the Muslim faith.[36] He is identified in sunni writings as the Imam (the chief) without any need for mentioning his name,[37] but he is also identified as the Imam al-Mushakkikin (the chief of the doubters), probably in Shi'ᶜi writings only, without further qualification.[38]

Again, as the author of more than one hundred books,[39] Rāzī showed his wise range of interests. He wrote on almost every branch of knowledge, known in his time. Most of these books, however, deal either with theology or philosophy. Rāzī's books were considered highly constructive by his contemporaries and successors.[40] During his

more travels but he finally returned to Herat, where he died in 606 / 1210.[22]

The original oriental biographers of Rāzī do not provide us with much information about his early life. The little we know of his education shows a wide range of intellectual interests. The two contemporary trends of thought, the philosophical and the theological, are found side by side in his educational life; he pursued the Ashᶜarī-Ghāzalīan tradition, as well as the Farabian-Avicennian. The former of these he started with his father, whose pedigree as a theologian went back to al-Ashᶜarī himself. Later, he pursued this discipline with al-Samnānī [23]. The latter he studied with Muhammad al-Baghawī and Magd al-Dīn al-Jīlī [24], who was also the teacher of Suhrawardī al-Maqtūl.

Rāzī, apparently by private reading, continued his study of Islamic philosophy in the works of Abu Bakr Al- Rāzī, Farābī, Ibn Sina and Abu al-Barakāt al-Baghdādī, whose names and doctrines appear very often in his works. We shall see later to what extent he was influenced by these philosophers. For the time being it is sufficient to indicate this comprehensive interest of Rāzī, the student, in philosophical as well as theological thought.

As a teacher, Rāzī showed the same attitude. He taught and debated theological as well as philosophical problems. It is here that a real distinction between him and Ghāzalī can be found insofar as their professional careers are concerned. Unlike Ghāzalī who studied philosophy mainly with the aim of refuting the philosophers,[25] the Ashᶜarī Rāzī taught philosophy[26] and considered himself to be a philosopher.[27]

cAbbāsī caliphs to restore the central power of the caliphate were by no means successful. A few decades after Rāzī's death in 606/1210, the cAbbāsī caliphate suffered its final collapse at the hands of the Mongols (656/1258). Rāzī's family is said to have received special consideration during the Mongols' massacre at Herat out of respect for the memory of the learned father.

Rāzī, whose full name was cAbdullah Muhammad B. cUmar B. al-Husayn al-Rāzī, was born in Rayy in 543/1148 to a family famed for its learning and piety.[15] He completed his education at Rayy, then studied at Muraghah under the philosopher Majd al-Dīn al Jīlī.[16] Later, Rāzī set out for different countries, debating and teaching in accordance with the custom of Muslim scholars. In his journeys Rāzī encountered the opposition of many scholars of his time, but he also won the patronage of several princes and sultans.[17]

In Khwārizm he engaged in relentless disputation with the Muctazilis until they eventually forced him to leave the country.[18] In Transoxiana he met with further opposition because of his controversies with some theologians.[19] In Ghūr he entered into a relationship with Shihāb al-Dīn al-Ghūrī, the ruler of Ghaznah, and with this prince's brother Ghiyāth al-Dīn. Before long, however, he had a serious confrontation with the Karrāmis, following which he was expelled from Ghaznah in an atmosphere of public disorder.[20]

Returning to Khurasān, he accepted the patronage of cAla' al-Dīn Khwārizm Shāh Muhammed b. Takash. In his company Rāzī enjoyed a position of great influence. A madrasah was built especially for him in Herat and many disciples gathered there.[21] Rāzī is said to have had

without an interpretative synthesizing link to unify them: or else to claim an essential identification between the two, through a new system which would be for him both theological and philosophical at the same time.

As a matter of fact, Rāzī was a believer in the simple oneness of truth. It is through this oneness that an actual identification between theology and philosophy could be achieved at his hands. In his writing he does not show the need for a symbolic or allegorical interpretation of the Scripture as we sometimes find in Ibn Rushd, Ghāzalī and Ibn Sina, all of whom had maintained in one way or another a distinction between two different classes of readers, or two different levels of textual interpretation.

Because of this belief in the simple oneness of truth, Rāzī did not address himself directly to the problem of the relation between religion and philosophy. He tried neither to neutralize the relation between the two by way of separation as did Ibn Rushd, nor to affirm the superiority of revelation to reason in the way of Ghāzalī, the theologian or mystic. He simply ignored this basic question, assuming a complete concurrence between his rational presentation of the religious ideals and revelation.

Our biographical observations here on Rāzī's life and works are nothing more than hypothetical considerations of the potentialities of the man who represented both of the supposedly conflicting traditions; namely, philosophy and theology.

Rāzī lived in Persia at a time when the country was disputed among the Saljukis, Khwārizm Shāhs, Ghūris, Assassins of Alamūt and several other groups. The various attempts on the part of the

ra'y al- Jā'iz). The biography of al-Saᶜidī considers the possibility of placing him in the line of "century–renovators"[6] as the renovator (mujaddid) of the sixth century A.H. in accordance with the suggestion of some sources.[7] Rescher places him among the Arab logicians,[8] Murād among the physiognomists,[9] Nashshar and ᶜAbd al-Rāziq among the Muslim heresiographers.[10]

More balanced biographies, written with no specific underlying bias, are available to the reader in different languages, thanks to the works of Gabrieli,[11] Nadvī,[12] Anawātī,[13] and Kholeif.[14] The last two biographies represent the best attempts to date in the field in terms of documentation and survey of Rāzī's works.

Since all these biographies and quasi-biographies are available to the reader, and since the aim of furnishing a more comprehensive one is beyond our intention, our purpose here is simply to underline one significant fact, which happens to be particularly relevant to our hypothesis and which has not hitherto been clearly pointed out by previous biographers. This is that Rāzī represented, by his education, profession and writings, both of the supposedly conflicting traditions or currents of thought namely, philosophy and theology. Thus he was potentially prepared to be either a champion of a twofold truth or else a syncretist who could bridge the gap between two separate disciplines stemming from two different cultures, and thus win for philosophy (perhaps after some necessary modification) a permanent place in the Muslim intellectual world. In other words, such a man, thoroughly exposed to, and actively participating in both trends of thought, was bound to take one of two possible attitudes: to maintain some sort of separation between philosophical and theological truths, with or

Fakhr Al Dīn Al Razī

His Life and Works

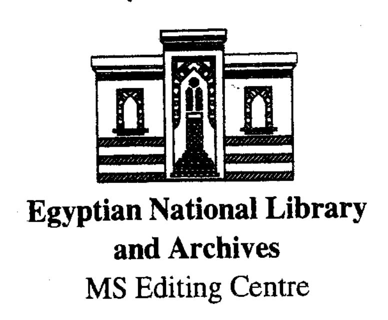
A Note on the Sources

Part 1

Dr. Effat Al Sharqāwī

It is not the main purpose of this study to establish a new, detailed biography of Rāzī. Little can we add, in this passing treatment, to the earlier biographies which have made good use of the important original sources[1] and provided the modern reader with an outline of Rāzī's life and works. However, the emphasis in such biographies has varied according to the underlying theme of each study. Thus, while Kraus attempted to show the vigour of Rāzī's spirit, his aggressiveness towards his opponents and his full consciousness of his power,[2] Nasr, having a particular opinion of the man, pointed out a similarity in terms of career between him and Ghāzalī.[3] In this connection he mentioned that each of them had been a Shāfi'ī, was versed in all the sciences and philosophy, was nevertheless opposed to many aspects of the Greek heritage and was critical of the Muslim philosophers and drawn towards Sufism.

Arnaldez's contribution to Rāzī's biography is more profound and interpretative. By attempting to put the man in a more strictly historical context, he tended to interpret Rāzī's thought in the light of a political desire to restore the internal unity of the Muslim world.[4] Dhahabī's biography presents him in the line of those commentators on the Qur'an who wrote according to the acceptable opinion,[5] (al-



Egyptian National Library
and Archives
MS Editing Centre

TURÁTHIYYÁT

A SEMI-ANNUAL PERIODCAL PUBLISHED BY THE MS EDITING CENTRE

ENGLISH SECTION

National Library Press
Cairo
2003